الخبز والحرية

بيتر كروبتكين
ترجمة: سامح سعيد عبود

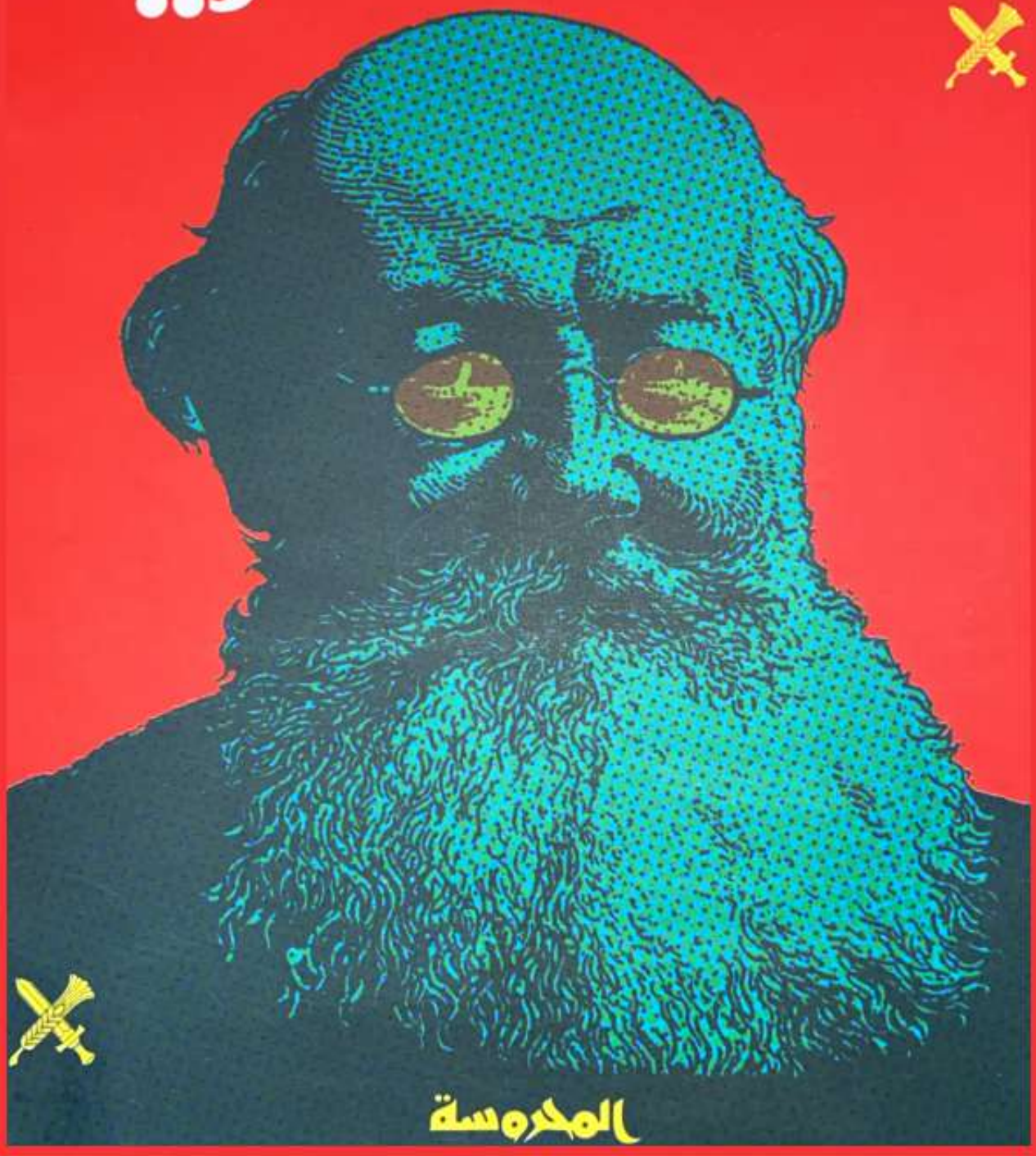

المحروسة

بيتر كروبوتكين

الخبز والحرية

ترجمة: سامح سعيد عبود

الخبز والحرية The Conquest of Bread

المؤلف : بيتر كروبوتكين peter kropotkin

ترجمة : سامح سعيد عبود

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفيه و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف : 002 02 28432157

www.mahrousaeg.com
e.mail : info@mahrousaeg.com
e.mail : mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة : فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع : ٢٠١٧/١٩٢٢٧
الترقيم الدولى : 978-977-313-686-4

جميع حقوق الطبع
محفوظة لمركز المحروسة
2017

بيتر كروبوتكين

الخبز والحرية

ترجمة: سامح سعيد عبود

الطبعة الأولى 2017

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

كروبوتكين، بيتر

الخبز والحرية/ بيتر كروبوتكين؛ ترجمة سامح سعيد عبود. ط1.

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2017.

250 ص؛ 17 × 24 سم؛

تدمك: 978-977-313-686-4

1- الاشتراكية

أ. عبود، سامح سعيد

ب. العنوان

335

رقم الإيداع: 2017/19227

الإهداء

إلى كل شركاء الأمل الذى لن تخبو جذوته فى عقولهم.. وما زالت تنبض بلحنه قلوبهم.. ومازلوا يقبضون عليه بأيديهم.. فى الخبز والحرية والكرامة والعدل والرفاهية للجميع على تلك الأرض.

سامح سعيد عبود

المحتويات

المقدمة	9
الفصل الأول : ثرواتنا	17
الفصل الثاني : الرفاهية للجميع	27
الفصل الثالث : الأناركية الشيوعية	39
الفصل الرابع : مصادرة الملكية	51
الفصل الخامس : الطعام	65
الفصل السادس: المساكن	91
الفصل السابع : الملابس	101
الفصل الثامن : الطرق والوسائل	105
الفصل التاسع : الحاجة إلى الرفاهية	113
الفصل العاشر : العمل المقبول	129
الفصل الحادى عشر : الاتفاق الحر	139
الفصل الثانى عشر : الاعتراضات	143
الفصل الثالث عشر : نظام الأجور الجمعية	161
الفصل الرابع عشر : الاستهلاك و الإنتاج	177

الفصل الخامس عشر: تقسيم العمل 185
الفصل السادس عشر : لا مركزية الصناعة 189
الفصل السابع عشر: الزراعة 199
الجدول 221
الهوامش 222
كروبوتكين وكتابه الخبز والحرية 225

المقدمة

إحـدى الاعتراضـات الحاليـة عـلى الشـيوعية والاشـتراكية إجـمالا، هـو أنهـا أفـكار قديمـة جـدا، منـذ أن اسـتقرت مخططـات الدولـة المثاليـة في عقـول مفكـري اليونـان القديمـة، وبالإضافـة إلى ذلـك، يقولـون لنـا بأنهـا من غـير الممكـن أن تتحقـق. بالرغم إنه في وقـت لاحـق، إرتبـط المسـيحيون الأوائـل فى جماعـات شـيوعية. وبعـد عـدة قـرون، نشـأت الأخويـات الشـيوعية الكبـيرة فى سـياق حركـة الإصـلاح الدينـى، ثـم تـم إحيـاء نفـس المثـل خـلال الثـورات الإنجليزيـة والفرنسـية الكـبرى. وأخـيرا، في الآونـة الأخـيرة، اسـتوحت الثـورة التـى وقعـت في فرنسـا في عـام 1848، المثـل الاشـتراكية إلى حـد كبـير، في حـين يقـال لنـا، "وهكـذا، كـما تـرى، كيـف لا يـزال تحقيـق مخططاتـك مسـتبعدا. ألا تظـن أن هنـاك ثمـة خطـأ أسـاسي في فهمـك لطبيعـة الإنسـان واحتياجاتـه؟".

يبـدو هـذا الاعـتراض جـاد جـدا للوهلـة الأولى. ومـع ذلـك، فى اللحظـة التـى نأخـذ فى اعتبارنـا التاريـخ البـشري بمزيـد مـن الفحـص المدقـق، فإنـه يفقـد قوتـه. ونحـن نـرى، أولا، أن مئـات الملايـين مـن البـشر نجحـوا في الحفـاظ فـيما بينهـم، في مجتمعـات قراهـم، لعـدة مئـات مـن السـنين، عـلى واحـدة مـن العنـاصر الأساسـية للاشـتراكية، وهـى الملكيـة المشـتركة للوسـيلة الأساسـية للإنتـاج، أى الأرض، وتقسـيمها عـلى العائـلات الفلاحيـة المختلفـة وفقـا لقدراتهـم عـلى العمـل. ونحـن نعلـم إنـه إذا كان تـم تدمـير الملكيـة الجماعيـة لـلأرض في غـرب أوروبـا، فلـم يكـن ذلـك لأسـباب فشـل داخليـة، ولكـن لعوامـل مؤثـرة مـن الخـارج، منهـا قـرارات الحكومـات التـى أدت إلى

احتكار الأراضي لصالح طبقة النبلاء والطبقة البرجوازية. في حين نعلم علاوة على ذلك، أن المدن نجحت خلال العصور الوسطى في الحفاظ لعدة قرون متتالية على تنظيم اشتراكي معين فى الإنتاج والتجارة؛ حينما شهدت هذه القرون فترات من التقدم السريع في الفكر والصناعة والفن، وأن تحلل هذه المؤسسات الكوميونية (البلدية)[1] جاء أساسا من عجز الناس على الربط بين القرية والمدينة، والجمع بين الفلاح والمواطن ساكن المدينة، وذلك وثيق الصلة جدا بمواجهة نمو قدرة الدولة العسكرية، التي دمرت المدن الحرة.

لا يقدم تاريخ البشرية، كما هو مفهوم ، إذن، حجة ضد الشيوعية. بل على العكس من ذلك، إنه يظهر لنا مثل تعاقب من المساعي لتحقيق نوعا من النظام الشيوعى، تلك المساعي التي توجت بالنجاح الجزئي لمدة معينة هنا أو هناك. وكلها أذن تجعلنا نستنتج أن البشرية لم تعثر بعد على الشكل المناسب لتحقيق مبادئ الشيوعية و للتوليف بين الزراعة والصناعة المتطورة بشكل متصاعد، والتجارة الدولية المتنامية بسرعة. ويبدو أن هذه الأخيرة تظهر خصوصا كعنصر مثير للقلق، لا سيما أنه لم يعد الأفراد فقط، أو المدن فحسب، يقومون بزيادة ثرواتهم من خلال التجارة البعيدة، والتصدير للأسواق الخارجية؛ بل الدول الغنية كلها تنمو على حساب تلك الدول التي تتخلف في مجال التنمية الصناعية.

بيد أن هذه الظروف، التي بدأت تظهر في نهاية القرن الثامن عشر، أخذت فى نضجها الكامل في القرن التاسع عشر فقط، بعد أن أشتعلت حروب نابليون فى نهايته. وأخذتها الشيوعية الحديثة فى حسابها.

من المعروف الآن أن الثورة الفرنسية، في عامى 1793 و1794 بصرف النظر عن أهميتها السياسية، كانت محاولة من جانب الشعب الفرنسي، في ثلاثة اتجاهات مختلفة لتحقيق درجة أكثر أوأقل قربا من الاشتراكية. كان عليه أولا تحقيق المساواة في الحظوظ والثروات، عن طريق فرض ضرائب على الدخل ورسوم على التركات، وكلاهما خطوتان تقدميتان بشكل كبير، وكذلك عن طريق المصادرة

---

(1) الكوميونة لها معنيين ...معنى إدارى هو البلدة الحرة في فرنسا وبلاد لاتينية أخرى، ومعنى سياسى وهى مجموعة الناس الذين يعيشون ويعملون سويا و يتمتعون بالمساواة ويتشاركون في العمل والاستهلاك واتخاذ القرارات الجماعية، و يتمتعون بدرجة من الاستقلال الذاتى عن الكيانات الاجتماعية الأخرى.ويستخدمها المؤلف بالمعنيين في مواقع مختلفة من الكتاب يفهم المراد منها من السياق العام للنص .... المترجم.

المباشرة للأرض من أجل تقسيمها على الفلاحين، وفرض ضرائب الحرب الثقيلة على الأغنياء فقط. وكانت المحاولة الثانية استحداث نظام وطني واسع لتحديد أسعار جميع السلع على نحو عقلاني، حيث أصبح من الواجب أن تؤخذ في الاعتبار التكلفة الحقيقية للإنتاج، والأرباح التجارية المعتدلة في الحسبان. وقد طبقت الجمعية الوطنية[1] بصعوبة هذا المخطط، وأكملت عملها تقريبا، عندما تصاعدت عاليا موجة الثورة المضادة في مواجهتها. وكان الاتجاه الثالث في المحل الأول نوعا من الشيوعية البلدية (الكوميونية) فيما يتعلق باستهلاك بعض الأشياء الضرورية، والتى اشترتها البلديات (الكوميونات)، ووفرتها لسكانها بسعر التكلفة.

ولدت الاشتراكية الحديثة خلال هذه الحركة الجديرة بالملاحظة، التي لم يتم إطلاقا دراستها بعد بشكل صحيح، ولدت حركة الفوريزم مع لانجيه، في مدينة ليون بفرنسا، والشيوعية السلطوية مع بوناروتى، و بابوف، ورفاقهم. وبرزت الاشتراكية للعيان مباشرة بعد الثورة الفرنسية العظمى(1789)؛ حيث ظهر مؤسسوا النظرية الاشتراكية الحديثة الثلاثة العظام فورييه، وسان سيمون، وروبرت أوين، وكذلك جودوين بمفهومه عن (الاشتراكية بلا دولة) في حين أنشأ بوناروتى وبابوف الجماعات الشيوعية السرية، و التى أضفت طابعها المتشدد على الشيوعية للخمسين سنة القادمة.

للتصحيح إذن، يجب أن نقول أن الاشتراكية الحديثة لم تبلغ المائة عام من عمرها بعد، و إنه في النصف الأول من هذه السنوات المئة، ظهرت في أمتين فقط شاركتا في صياغتها، أي بريطانيا وفرنسا، اللتان قامتا على رأس حركة التصنيع الحديث. و كلتاهما نزفتا في ذلك الوقت من الجروح الرهيبة التى ألحقتها بهما خمسة عشر عاما من الحروب النابليونية، أوائل القرن التاسع عشر، وكلتاهما طوقتهما ردة الفعل الرجعية الأوروبية الكبيرة التي هبت عليهما من شرق أوروبا.

في الواقع، إن ما حدث بعد ثورة يوليو عام 1830، في فرنسا فقط، و بدء حركة الإصلاح 1830-1832، في إنكلترا، قد أدى إلى رد فعل رهيب، و أصبحت مناقشة الاشتراكية ممكنة في ال 16-18 عاما التالية. وخلال تلك السنوات عمل أتباع كل من فورييه، وسان سيمون، وروبرت أوين لتحقيق مخططاتهم وتطلعاتهم، التى

---

(1) الجمعية الوطنية هو الاسم الذى أطلقه مجلس طبقات الأمة على نفسه أثناء الثورة الفرنسية الكبرى ومازال هو اسم البرلمان الفرنسى حتى الآن ..المترجم.

أخذت شكلها الواضح، وحددت مختلف المدارس الاشتراكية التي توجد في الوقت الحاضر.

نفذ روبرت أوين وأتباعه في بريطانيا، مخططاتهم للقرى الزراعية والصناعية الشيوعية في نفس الوقت. وقد بدأت الجمعيات التعاونية الهائلة تخلق بأرباحها المتراكمة المزيد من المستعمرات الشيوعية. وتأسست النقابات العمالية الموحدة - أسلاف أحزاب العمال فى أيامنا، وجمعية العمال الدولية.

نشر فورييه في فرنسا رؤيته، مطورة بشكل جميل، والتي توصف الآن بأنها "الاشتراكية العلمية" وبرنامجه الرائع للاشتراكية، والذي يحتوي على، جميع الرؤى النظرية التى تتجاوز نمو الرأسمالية. وأبدع برودون فكرته عن الأناركية، أو نظريته عن تبادل المنافع والمصالح، بدون تدخل الدولة. ونشر لويس بلان كتابه تنظيم العمل، الذي أصبح فيما بعد برنامج لاسال، في ألمانيا. وعمل كل من فيدال في فرنسا ولورينز شتاين في ألمانيا على تطوير المفاهيم النظرية لرؤية فورييه، في عملين رائعين، نشرا فى مطبوعتين في عامى 1846 و 1847 على التوالي. وأخيرا فيدال، وخصوصا بيسكو فهذا الأخير وضع تفاصيل نظام الجمعية[1]، في عمل معقد جدا، و كذلك في سلسلة من التقارير التي أراد من الجمعية الوطنية عام 1848 التصويت عليها في شكل قوانين.

ومع ذلك، فإن هناك سمة واحدة، مشتركة بين جميع مخططات الاشتراكية، في تلك الفترة، التي يجب الإشارة إليها. كان مؤسسوا الاشتراكية الثلاثة الكبار الذين كتبوا في مطلع القرن التاسع عشر، والتي فتحت الاشتراكية أمامهم آفاق واسعة سلبت ألبابهم ، حيث رأوها على أنها وحي جديد، ورأوا فى أنفسهم مؤسسين لدين جديد. حيث كان للاشتراكية أن تكون دين في اعتبارهم، وكان عليهم تنظيم مسيرتها، كرؤساء كنيسة جديدة. ولأنهم كتبوا خلال الفترة من ردود الفعل الرجعية التي أعقبت الثورة الفرنسية، ورؤية فشلها أكثر من نجاحها، إلى جانب ذلك، فإنهم لم يثقوا في الجماهير، ولم يتوقعوا منهم إحداث التغييرات التي فكروا فى ضرورتها. بل وضعوا ثقتهم، على العكس من ذلك، في حاكم عظيم ما.

---

(1) تقوم الجمعية على الملكية العامة لوسائل الانتاج، وتوزيع الناتج حسب مقدار العمل المبذول على عكس الشيوعية التى يتم فيها التوزيع حسب الحاجة المترجم.

يفهم الوحي الجديد. وأن تقنعه التجارب الناجحة للفلانستيرز[1] باستحسانها ، أو الجمعيات التعاونية التى اقترحها أوين. وأن ينجز سلميا بوسائل سلطته الخاصة الثورة التي من شأنها أن تجلب الرفاهية والسعادة للبشرية. وتسائلوا لماذا لا يتقدم عبقري اجتماعي إلى الأمام، ويحمل أوروبا معه للاشتراكية وينقل الإنجيل الجديد من الكتب إلى واقع الحياة؟ مثل نابليون، العبقرية العسكرية، الذى كان قد أستتب له حكم أوروبا... كان هذا الإيمان العميق متجذر جدا، و قد وقف لوقت طويل في طريق الاشتراكية. أكثر من أي وقت مضى، ومازالت آثاره بيننا، وصولا إلى يومنا هذا.

حدث فقط خلال السنوات من 1840-1848، عندما كان بدء الشعور باقتراب الثورة في كل مكان، وحينما بدأت البروليتاريا تزرع راية الاشتراكية على المتاريس، أن بدأ الإيمان بالناس و قدراتهم فى الدخول مرة أخرى لقلوب المخططين الاجتماعيين: الإيمان، فى جانب، بالديمقراطية الجمهورية، ومن الجانب الآخر بحرية تكوين الجمعيات والقوى المنظمة للرجال العاملين أنفسهم.

ولكن بعد ذلك جاءت ثورة فبراير 1848، بجمهورية البرجوازية، ومعها الآمال المكسورة. و إندلعت بعد أربعة أشهر فقط من إعلان الجمهورية، إنتفاضة يونيو للبروليتاريا الباريسية، والتى سحقت بالدم. حيث تم إطلاق النار على العمال بالجملة، والترحيلات الجماعية لغينيا الجديدة، وأخيرا جاء الإنقلاب النابليونى على الثورة. وحوكم على الاشتراكيين بضراوة بكل العقوبات، حتى كان استئصالهم رهيب جدا وشامل بحيث إنه للإثني عشر أو الخمسة عشر عاما التالية اختفت آثار الاشتراكية تماما. وتلاشت آدابها تماما من الأذهان، بحيث إنه حتى الأسماء، التى كانت مألوفة قبل عام 1848، نسيت تماما. والأفكار التى أسهم بها الاشتراكيون قبل 1848 والتى كانت تشكل ذلك التيار تم محوها من الذكريات، وتبنى الجيل الحالي، لاحقا اكتشافات وأفكار جديدة.

ومع ذلك، عندما جاء إحياء جديد، نحو عام 1866، عندما صعدت الشيوعية والجمعية مرة أخرى إلى الصدراة، وحدثت تغيرات عميقة للتصورات حول الوسائل التى تحققهما. ذهب الإيمان القديم بالديمقراطية السياسية، وقامت المبادئ الأولى

---

(1) الكتائب أو المستعمرات التعاونية الاشتراكية التى رسم ملامحها بالتفصيل شارل فورييه ملحوظة للمترجم

لعمال باريس، والتي اتفقت مع النقابيين و الأوينيين البريطانيين، عندما إلتقيا عام 1866 في لندن، على أن "تحرر العمال يجب إنجازه من العمال أنفسهم". وتلاقيا في نقطة أخرى أيضا هي أن نقابات العمال نفسها سيتعين عليها الحصول على أدوات الإنتاج، و على العمال تنظيم الإنتاج بأنفسهم. و تشابكت الأفكار التعاونية الفرنسية لأتباع فورييه و"جمعية" تبادل المنافع والمصالح لبرودون مع أفكار روبرت أوين عن "النقابات العمالية الكبيرة الموحدة"، "التي تم تمديدها الآن، وذلك لتصبح جمعية العمال الدولية[1].

استمر هذا الإحياء الجديد للاشتراكية لكن بعد سنوات قليلة مرة أخرى. فسرعان ما نشبت حرب 1870-1871، واندلعت انتفاضة كوميونة باريس[2] - ومرة أخرى: حقق التطور الحر للاشتراكية المستحيل في فرنسا. وفي حين قبلت ألمانيا الآن من أيدي معلميها الألمانيان، ماركس وإنجلز، الاشتراكية الفرنسية "لعام 1848" والاشتراكية من كونسيدران ولويس بلان، والجمعية من بيسكويه، - تقدمت فرنسا خطوة أخرى إلى الأمام.

في مارس 1871، كانت باريس قد أعلنت أنها ستتقدم إلى الأمام فورا، وإنها لن تنتظر مقاطعات فرنسا الأخرى، وإنها تهدف إلى البدء بدونها، من بلديتها، تطورها الاجتماعي الخاص بها.

و لكن الحركة لم تدم طويلا جدا لإعطاء أي نتيجة إيجابية. وظلت مشاعية (بلدية) فقط. ولكن الطبقات العاملة المنضوية في الأممية الأولى القديمة حازت فورا أهميتها التاريخية. لقد فهموا إنه من الآن فصاعدا ستكون "البلدة الحرة"

---

(1) في الثامن والعشرين من سبتمبر سنة 1864، اجتمع مندوبون من بلدان مختلفة في قاعة سان مارتن بلندن. كانت تلك هي المحاولة الأكثر جدية لتوحيد أكثر فئات الطبقة العاملة تقدما على المستوى الأممي لتأسيس الجمعية الدولية للعمال.أو الأممية الأولى التي حلت عام1873 للمترجم.

(2) كومونة باريس هي حكومة بلدية ثورية أدارت باريس، فرنسا لفترة قصيرة ابتداءً من منتصف مارس 1871. قامت الثورة في باريس وبعدها الكومونة كنتيجة لخسارة نابليون الثالث الحرب مع بروسيا ودخول الجيش البروسي المذل إلى باريس بعد حصارها. انتخب تسعون ممثلا في الكومونة أو مجلس مدينة باريس (بالفرنسية، "commune") بإقتراع عمومي وأعلنت حكمها على كامل فرنسا. كان نزاعها حول السلطة مع الحكومة المنتخبة لفرنسا سبباً رئيسياً في القمع الوحشي لها من طرف القوات الفرنسية النظامية فيما سمي بعد ذلك "بالأسبوع الدموي في 28 مايو 1871. صاحبت النقاشات حول سياسات ومآلات الكومونة تداعيات سياسية مهمة في داخل وخارج فرنسا خلال القرن العشرين حيث اعتبرت أول ثورة اشتراكية في العصر الحديث المترجم.

الوسط الذي يمكن أن تتحقق فيه الأفكار الاشتراكية الحديثة. حيث لا تحتاج البلدات الحرة الصناعية الزراعية، التى كان يتم التحدث عنها كثيرا في عام 1848، لأن تكون فلانستيرز (كتائب) صغيرة، أو مجتمعات صغيرة من 2000 شخص. بل يجب أن تكون تجمعات سكانية واسعة، مثل باريس، أو يبقى من الأفضل تحققها في المقاطعات الصغيرة. ومن شأن هذه البلدات الحرة أن تتوحد فيدراليا، حتى بصرف النظر عن الحدود الوطنية (مثل روابط موانئ سينك، أو الهانزا)؛ وقد حان الوقت لتأتى إلى حيز الوجود الجمعيات العمالية الكبيرة لتقوم بالخدمة بين البلدات مثل إدارة السكك الحديدية، والموانئ، وهلم جرا. مثل هذه الأفكار التي بدأت تسود بشكل غامض بعد 1871 فى تفكير العمال، في تنظيم اشتراكى مثل هذا، و تفاصيله التى سوف تقرها الحياة نفسها، وخاصة في البلدان اللاتينية (فرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال). حيث شهدت دوائر العمال فى هذه البلدان خلالها الوسيلة الواقعية لتحقيق الأشكال الاشتراكية القابلة للحياة التى يمكن أن يتم ادراكهم لها بشكل أسهل بكثير من النظام الجمعي لدولة الاشتراكيين.

هذه هي الأفكار التي وددت أن أقدم التعبير عنها بشكل أكثر أو أقل وضوحا في هذا الكتاب.

إذا نظرنا إلى الوراء الآن في السنوات التي مرت منذ كتابة هذا الكتاب، أستطيع أن أقول في وعى كامل أن أفكاره الرائدة يجب أن تكون صحيحة. حققت اشتراكية الدولة للنظام الجمعى بالتأكيد بعض التقدم. و قد تم إدخال قطارات الدولة، وبنوك الدولة، وتقدمت تجارة الدولة بوعى هنا وهناك. ولكن في كل خطوة تقدم في هذا الاتجاه، على الرغم من أنها قد أدت إلى تراجع أسعار سلع معينة، فقد وجد أنها تشكل عقبة جديدة في نضال العمال من أجل تحررهم. و لذلك نجد الآن بين العمال، لا سيما في إنكلترا، فكرة أنه حتى عمل مثل هذه الممتلكات الوطنية الكبرى مثل خط السكة الحديد يمكن أن تدار بشكل أفضل بكثير من مؤسسة الدولة عندما يتولاها اتحاد نقابات عمال السكك الحديدية.

على الجانب الآخر، نرى أن محاولات لا حصر لها قد بذلت فى جميع أنحاء أوروبا وأمريكا، وفكرتها الرائدة هي أن تصل إلى أيدي العمال أنفسهم فروع واسعة من الإنتاج، على جانب و على الجانب الآخر، التوسع الدائم فى الوظائف التي تؤديها المدينة لمصلحة سكانها في دوائر المدن، مع وجود اتجاه نقابى متزايد نحو تنظيم مختلف المهن دوليا، و اعتبارها ليست أداة لتحسين ظروف العمل فقط،

و لكـن أيضـا ليمكـن للمؤسسـة النقابيـة، في لحظـة معينـة، أن تأخـذ في يدهـا إدارة الإنتـاج؛ التعاونيـة، سـواء بالنسـبة للإنتـاج أو التوزيـع، سـواء في الصناعـة أو الزراعـة، و محـاولات الجمـع بـين كل أنـواع التعـاون في المسـتعمرات التجريبيـة. وأخـيرا، في مجـال متنـوع جـدا مـن مـا يسـمى الاشـتراكية الكوميونيـة البلديـة - هـذه هـي الاتجاهـات الثلاثـة التـي تـم تطويرهـا بأكـبر قـدر مـن الطاقـة الإبداعيـة في الآونـة الأخـيرة.

بالطبـع، لا أيـا مـن هـذه المحـاولات التـي ذكـرت للتـو فقـط تؤخـذ كبديـل للشـيوعية بـأي درجـة، أو حتـى مـن أجـل الاشـتراكية، فكلاهـما يعنـي حيـازة مشـتركة لأدوات الإنتـاج. ولكـن مـن المؤكـد أننـا يجـب أن ننظـر إليهـا، مثلـما ننظـر للتجـارب السـابقة التـي حـاول بناءهـا أويـن وفوريـيه وسـان سـيمون في مسـتعمراتهم، تلـك التجـارب التـي أعـدت الفكـر الإنسـاني لتصـور بعـض الأشـكال العمليـة التـي يمكـن أن تجـد تعبيرهـا في المجتمـع الشـيوعي. وتجميـع جميـع هـذه التجـارب الجزئيـة يجـب أن يتـم في يـوم مـن الأيـام مـن عبقريـة بنـاءة في واحـدة مـن الأمـم المتحـضرة، التـى قامـت بهـا. مجـرد عينـات مـن الطـوب لأي مبنـى مركـب كبـير سـوف يتعـين بنـاؤه، وحتـى إنهـا عينـات مـن بعـض غرفـه، التـي يجـري إعدادهـا حاليـا بالجهـد الكبـير للعبقريـة البنـاءة للإنسـان.

برومليي، كينت.

أكتوبر، 1906.

الفصل الأول

ثرواتنا

أولًا

سافر الجنس البشري بعيد جدا عن تلك العصور الغابرة التى كان ينحت فيها البشر أدواتهم الخشنة من الحجر الصوان، و كانوا يعيشون على الغنائم غير المستقرة من الصيد، ويتركون لأطفالهم إرثهم المحدود المكون من ملجأ تحت الصخور، وبعض الأواني الفقيرة - والطبيعة الواسعة، وغير المفهومة، والرائعة، التى كانت تربطهم بها للقتال ضدها من أجل استمرار وجودهم البائس.

مع ذلك فخلال العصور المثيرة التي انقضت منذ ذلك الحين، والتي استمرت لعدة آلاف من السنين، جمعت البشرية كنوزا لا حصر لها. وكانت قد مهدت الأرض، وجففت المستنقعات، واخترقت الغابات، وعبدت الطرق. وبنت، واخترعت، وراقبت، وتعقلنت؛ حتى ابتكرت الآلات المعقدة، وانتزعت أسرارها من الطبيعة، وأخيرا صنعت محرك البخار. والنتيجة هي أن طفل الرجل المتحضر الآن يولد مجهزا، وفي يده الثروة الهائلة المتراكمة من أولئك الذين ذهبوا قبله. حيث يمكنه اكتساب هذا الرأسمال بمجرد عمله، جنبا إلى جنب مع عمل الآخرين، ويتجاوز الأغنياء أحلام المشرق، التى عبرت عنها حكايات الجنيات لألف ليلة وليلة.

تـم اسـتصلاح التربـة إلى حـد كبـير، كى تصلـح لاسـتقبال أفضـل البـذور، ولتكـون جاهـزة لإثمـار ثـرى بنـاء عـلى المهـارة و العمـل الـذى يبـذل فيهـا، ويمكنهـا أن تنتـج مـا فيـه الكفايـة لاشـباع جميـع الرغبـات الإنسـانية. بطـرق الزراعـة المعروفـة.

في البـراري الواسـعة مـن أمريـكا فـإن كل مئـة رجـل، بمسـاعدة مـن الأجهـزة القويـة، يمكنهـم أن ينتجـوا في غضـون أشـهر قليلـة مـا يكفـي مـن القمـح للحفـاظ عـلى حيـاة عـشرة آلاف شـخص لمـدة عـام كامـل. وإذا رغـب الرجـل في مضاعفـة إنتاجـه، إلى ثلاثـة أضعـاف ذلـك، أو لأن يضاعفـه لمائـة ضعـف، فإنـه يقـوى التربـة، ويعطـي كل الرعايـة المطلوبـة لـكل نبـات، وبالتـالي يحصـل عـلى عوائـد كبـيرة. بينـما كان الصيـاد القديـم يمسـح خمسـين أو سـتين ميـلا مربعـا في سـبيل العثـور عـلى الطعـام لعائلتـه، فالرجـل المتحـضر يدعـم بيتـه، مـع آلام أقـل بكثـير، ويقـين أكـثر بكثـير، عـلى جـزء مـن الألـف مـن هـذه المسـاحة.

لم يعـد المنـاخ عائقـا أمامـه. فعندمـا تغيـب الشـمس، يسـتبدلها الإنسـان بفعـل الحـرارة الاصطناعيـة. ونـرى مجـيء وقـت الضوء الاصطناعـي أيضا حيث يتم اسـتخدامه لتحفيـز النباتـات. وفي الوقـت نفسـه، مـن خـلال اسـتخدام الصـوب الزجاجيـة، وأنابيب الميـاه السـاخنة، يمكـن للإنسـان مضاعفـة إنتاجيـة مسـاحة محـددة عـشرة وخمسـين مـرة أكـثر مـما كانـت عليـه في حالتهـا الطبيعيـة.٠

المعجـزات التـى يتـم انجازهـا في الصناعـة لا تـزال أكـثر لفتـا للانتبـاه. مـع التعـاون بـين كل تلـك الكائنـات الذكيـة والماكينـات الحديثـة – ثمـار لثلاثـة أو أربعـة أجيـال مـن المخترعـين أنفسـهم، ومعظمهـم غـير معروفـين - يصنـع مائـة إنسـان الآن ملابـس لكسـاء عـشرة آلاف شـخص لمـدة عامـين. في مناجـم الفحـم التـى تـدار بشـكل جيـد ويعمـل بهـا مئـة مـن عـمال المناجـم يجهـزون مـن الوقـود مـا يكفـي لتدفئـة عـشرة آلاف مـن العائـلات تحـت السـماء العاصفـة لعـام. وشـهدنا في الآونـة الأخـيرة مرتـين مشـهد لمدينـة رائعـة شـيدت في غضـون بضعـة أشـهر في باريـس، [1] دون انقطـاع في أدنى درجـة للعمـل العـادي للأمـة الفرنسـية.

وإذا كان الحـال في الصناعـات كـما هـو الحـال في الزراعـة، وكـما هـو في الواقـع مـن خـلال مجمـل نظامنـا الاجتماعـي، حيـث يفيـد عمـل، واكتشـافات، واختراعـات أسـلافنا القلـة غالبـا، فإنـه لا شيء أقـل مـن المؤكـد أن الجنـس البـشري بشـكل عـام، و بمسـاعدة

مـن مخلوقـات الحديـد والصلـب التـي يمتلكهـا بالفعـل، يمكنـه بالفعـل توفـير وجـود الـثروة واليـسر لـكل عضـو مـن أعضائـه.

حقـا، نحـن أغنيـاء، أكـثر ثـراءا بكثـير مـما نعتقـد. أغنيـاء بمـا لدينـا مـن إمكانيـات بالفعـل، أكـثر ثـراء بمـا لا يـزال في إمكانيـات إنتـاج أجهزتنـا الميكانيكيـة الفعليـة؛ أغنـى مـع كل مـا يمكـن أن ينتـج مـن أرضنـا، مـن صناعتنـا، مـن علومنـا، مـن معرفتنـا التقنيـة، حينـما تسـتخدم لتحقيـق الرفاهيـة للجميـع.

ثانيًا

و لمـا كنـا أغنيـاء في المجتمعـات المتحـضرة. فلـماذا هنـاك العديـد مـن الفقـراء إذن؟ لمـاذا هـذا الكـدح المـؤلم للجماهـير؟ لمـاذا هـذا الاحسـاس بعـدم اليقـين فيـما يتعلـق بالغـد؟، حتـى بالنسـبة لعامـل يحصـل عـلى أفضـل أجـر، في خضـم كل تلـك الـثروة الموروثـة مـن المـاضي، وعـلى الرغـم مـن وجـود وسـائل قويـة للإنتـاج، والتـي يمكـن أن تضمـن الراحـة للجميـع في مقابـل بضـع سـاعات مـن الكـدح اليومـي؟.

قـال الاشـتراكيون ذلـك، وكـرروه بـلا كلـل. كـرروا ذلـك يوميـا، و برهنـوا عليـه بشـتى الحجـج المأخـوذة مـن جميـع العلـوم. فذلـك لأن كل مـا هـو ضروري لإنتـاج - الأرض، والمناجـم، والطـرق السريعـة، و و الآلات والمـواد الغذائيـة والمـأوى والتعليـم والمعرفـة - اسـتولت القلـة عليهـا جميعـا في سـياق تلـك القصـة الطويلـة مـن السرقـة، والإكـراه عـلى الهجـرة، والحـروب، ومـن الجهـل و الظلـم، و التـي كانـت تختـصر حيـاة الجنـس البـشري قبـل أن يتعلـم إخضـاع قـوى الطبيعـة. كان ذلـك بسـبب، اسـتفادة تلـك القلـة مـن الحقـوق المزعومـة التـى حصلـوا عليهـا في المـاضي، وتسـتحوز هـذه القلـة اليـوم عـلى ثلثـي منتجـات العمـل البـشري، ومـن ثـم تبديدهـا بأكـثر الطـرق غبـاءا وخزيـا. وبسـبب إفقـار الجماهـير وإيصالهـم إلى النقطـة التـى لا يكـون لديهـم فيهـا وسـيلة للعيـش لمـدة شـهر، أو حتـى لمـدة أسـبوع مقدمـا، تسـمح القلـة للكثيريـن بالعمـل بشروطهـا فقـط، و تتلقـى بنفسـها حصـة الأسـد. فذلـك لأن هـذه القلـة تمنـع مـن يتبقـى مـن البـشر مـن إنتـاج الأشـياء التـي يحتاجـون إليهـا، وتجبرهـم عـلى إنتـاج، ليـس ضرورات الحيـاة للجميـع، ولكـن كل مـا يوفـر أكـبر قـدر مـن الأربـاح للمحتكريـن. وفى هـذا يكمـن جوهـر الاشـتراكية كلهـا.

خذ، دولة متحضرة في الواقع، الغابات التي كانت تغطيها ذلك مرة قد تمت إزالتها، وجففت المستنقعات، وتحسن المناخ. مما جعلها صالحة للسكن. والتربة، التي كانت لا تتحمل سوى النباتات الخشنة، تغطي اليوم بالمحاصيل الغنية. والجدران الصخرية المرتبة في الوديان فى مدرجات، والمغطاة بالكروم الذهبية المثمرة. وحولت أجيال من المزارعين النباتات البرية غير المثمرة بشكل كافى أو التوت اللاذع، أو الجذور غير القابلة للأكل، إلى الخضروات النضرة، أو الأشجار المغطاة بالثمار اللذيذة. وشقت الآلاف من الطرق السريعة والسكك الحديدية الأرض، و أخترقت الجبال. ويسمع هدير المحركات في الوديان البرية بين جبال الألب، والقوقاز، و الهيمالايا. وتم إعداد الأنهار كى تكون صالحة للملاحة. ودرست السواحل، بعناية، كى يكون من السهل الوصول إليها. وحفرت الموانئ الصناعية، بمشقة وتمت حمايتها من غضب البحر، كى توفر المأوى للسفن. وقد حفرت مداخل المناجم العميقة في الصخور. وقد تم حفر متاهات من السراديب تحت الأرض حيث ينتزع الفحم أو تستخرج المعادن. وظهرت المدن الكبرى على مقاطع الطرق السريعة، وقد تراكمت فيها جميع كنوز الصناعة والعلوم والفن داخل حدودها.

وسلمت أجيال بأكملها من البشر، عاشوا وماتوا مظلومين بائسين، متهالكين من الكدح، و من اساءة معاملتهم على أيدي أسيادهم هذا الإرث الهائل لهذا القرن.

جاهد الملايين من البشر لآلاف السنين لإزالة الغابات، وتجفيف الأهوار، وشق الطرق فى اليابسة والماء. وقد زرعت كل التربة الخصبة في أوروبا، ورويت بعرق عدة أجناس من الناس. فكل فدان له قصته من العمل القسري، ومن الكدح الذى لا يطاق، ومن معاناة الشعب. كل ميل من السكك الحديدية، كل ياردة من نفق، لقيت نصيبها من الدم البشري.

مازالت مدرجات المناجم تحمل على جدرانها الصخرية العلامات التي تدل على العمال الذين كدوا لحفرها. ويمكن أن تشير المسافة بين كل الدعامات في السراديب تحت الأرض إلى قبر عامل منجم. ومن يستطيع أن يخبرنا ما كلفته كل هذه المقابر، من البكاء، والحرمان، والبؤس الذى لا يوصف لعائلة تعتمد على أجر هزيل لعامل يموت في ريعانه بنيران غاز سام، أو سقوط صخرة عليه، أو طوفان يغرقه؟

تترابـط المـدن، وهــي الكائنــات التــي تعيــش عـبر القــرون بالســكك الحديديــة والممـرات المائيـة. أحفـر تحتهـا وسـوف تجـد أساسـيات الشـوارع والمنـازل، والمسـارح، والمبـاني العامـة بعضهـا فـوق بعـض. أبحـث في تاريخهـا، وسـوف تـرى كيـف أن حضـارة المدينـة، وصناعتهـا، والخصائـص التـي اختصـت بهـا، ونمـت ببـطء نضجـت مـن خـلال تعـاون أجيـال مـن سـكانها قبـل أن تصبـح مـا هـي عليـه اليـوم. وحتـى إلى اليـوم؛ فـإن قيمـة كل مسـكن، ومصنـع، ومسـتودع، والتـي تـم إنشـاؤها مـن قبـل العمـل المتراكـم مـن ملايـين مـن العـمال الذيـن ماتـوا و دفنـوا، وتحافـظ عـلى وجودهـا فقـط مـن خـلال وجـود و عمـل جحافـل مـن البـشر يسـكنون الآن فى ركـن خـاص مـن الكـرة الأرضيـة. فـكل ذرة مـن الـذرات التـى تؤلـف مـا نسـميه ثـروة الأمـم تديـن فى قيمتهـا إلى حقيقـة أنهـا جـزء مـن كل كبـير. هـل كان يمكـن لترسـانات بنـاء السـفن فى لنـدن أو المسـتودعات الكبـيرة فى باريـس أن توجـد لـو لم تقـع في هـذه المراكـز الكبـيرة للتجـارة الدوليـة؟ هـل كان يمكـن أن توجـد مناجمنـا، ومصانعنـا وورش عملنـا، وسـكك حديدنـا، دون الكميـات الهائلـة مـن البضائـع المنقولـة كل يـوم عـن طريـق البحـر والـبر؟

حيـث جاهـد الملايـين مـن البـشر لخلـق هـذه الحضـارة التـي نفخـر بهـا اليـوم. ويعمـل الملايـين الأخـرى، المنتشريـن عـبر العـالم، عـلى الحفـاظ عليهـا. والذيـن بدونهـم لا شيء مـن شـأنه أن يبقـى لخمسـين عامـا، ولكنـه سـوف يتحـول لأنقـاض.

ليـس هنـاك أى فكـر، أو اخـتراع، ولـد في المـاضي و الحـاضر ليـس ملكيـة مشـتركة. و قـد لقـى الآلاف مـن المخترعـين، المعروفـين وغـير المعروفـين، حتفهـم في الفقـر، وتعاونـوا في اخـتراع كل هـذه الآلات التـي تجسـد عبقريـة الإنسـان.

وقـد جاهـد الآلاف مـن الكتـاب والشـعراء والعلـماء، مـن أجـل زيـادة المعرفـة، ولتبديـد الأخطـاء، وخلـق هـذا المنـاخ-مـن الفكـر العلمـي، والـذي بدونـه مـا كان يمكـن لروائـع قرننـا أبـدا أن تظهـر للوجـود. وقـد دعـم الآلاف مـن الفلاسـفة والشـعراء، والعلـماء، والمخترعـين، أنفسـهم بأعـمال مـن القـرون الماضيـة. تـم الحفـاظ عليهـا واسـتيعابها مـن خـلال الحيـاة، جسـديا وعقلياعـلى حـد السـواء، مـن قبـل جحافـل مـن العـمال والحرفيـين مـن جميـع الأنـواع. أكتسـبوا قـوة دوافعهـم مـن البيئـة.

و قـد عملـت بالتأكيـد عبقريـة سـاجان، ومايـر، وجـروف، الكثـير لإنطـلاق الصناعـة في المزيـد مـن الاتجاهـات الجديـدة أكـثر مـن جهـود جميـع الرأسـماليين في العـالم. ولكـن هـؤلاء البـشر العباقـرة أنفسـهم هـم أبنـاء الصناعـة فضـلا عـن العلـم. فلـم

يكـن حتـى لآلاف مـن محـركات البخـار أن تعمـل لسـنوات أمـام كل المراقبـين، وتحـول الحـرارة باسـتمرار إلى قـوة حركيـة، وهـذه القـوة الحركيـة إلى الصـوت والضـوء والكهربـاء، حتـى يمكـن للبصـيرة العبقريـة مـن أن تعلـن الأصـل الميكانيـكي للطاقـة ووحـدة القـوى الطبيعيـة. وإذا كنـا نحـن أطفـال القـرن التاسـع عـشر، قـد اسـتوعبنا أخـيرا هـذه الفكـرة، و إذا كنـا قـد عرفنـا الآن كيفيـة تطبيقهـا، فذلـك لأن التجربـة اليوميـة أعـدت الطريـق لذلـك مـرة أخـرى. رأى مفكـروا القـرن الثامـن عـشر، وأعلنـوا ذلـك، جنبـا إلى جنـب المحـرك البخـارى، ولكـن ظلـت الفكـرة غـير متطـورة، لأنهـم فى القـرن الثامـن عـشر لم يكونـوا قـد تطـوروا مثلنـا. تخيـل العقـود التـي قـد مـرت حـين بقينـا في الجهـل بهـذا القانـون، الـذي أحـدث ثـورة في الصناعـة الحديثـة، ولم يكـن وات عـثر عـلى عـمال حـى سـوهو المهـرة لتجسـيد أفـكاره بتشـكيل المعـادن، وجهـزوا جميـع أجـزاء محركـه عـلى أكمـل وجـه، بحيـث أصبـح البخـار المكبـوت في آليـة كاملـة، أكـثر أنصياعـا مـن الحصـان، وأكـثر سـهولة مـن الميـاه، وأصبـح فى النهايـة روح الصناعـة الحديثـة.

وقـد كان لـكل آلـة نفـس التاريـخ مـن التطـور - سـجل طويـل مـن الليـالي بـلا نـوم والفقـر، ومـن الصحـوة والأفـراح، ومـن التحسـينات الجزئيـة التـي اكتشـفتها عـدة أجيـال مـن العـمال المجهولـين الذيـن أضافـوا إلى الاخـتراع الأصـلي مـا ليـس بالـشيء القليـل، والتـى بدونهـا تبقـى أى فكـرة خصبـة عقيمـة. وأكـثر مـن ذلـك: فـكل اخـتراع جديـد مـا هـو إلا توليـف، ناتـج مـن اختراعـات لا تعـد و لا تحـصى سـبقته في ميـدان واسـع مـن الميكانيـكا والصناعـة.

تـؤدي فتوحـات العلـم والصناعـة والمعرفـة والتطبيـق، والاكتشـافات والتطبيقـات العمليـة إلى اكتشـافات جديـدة، فالـكل يعمـل معـا براعـة اليـد والعقـل وتعـب العضـل. و يديـن كل اكتشـاف، وكل تقـدم، و وكل زيـادة في مجمـوع ثـروات الإنسـان، فى وجـوده للعنـاء المـادي والمعنـوي فى المـاضي والحـاضر.

فبـأي حـق إذن يمكـن لأي شـخص مهـما كان أن يسـتولى عـلى أقـل جـزء مـن هـذا الـكل الهائـل ليقـول هـذا لي، وليـس لـك؟

ثالثًا

مـع ذلـك، وعـبر العصـور التـى اجتازهـا الجنـس البـشري فقـد أصبـح ، كل مـا تمكـن الإنسـان مـن إنتاجـه، ومـن زيـادة فى قوتـه الإنتاجيـة، تقريبـا، يسـتولى عليـه عـدد قليـل مـن المـلاك. ربمـا، في وقـت مـا، سـوف نـدرس كيـف حـدث هـذا. أمـا في الوقـت الحـاضر فسـوف نكتفـي بمعرفـة حقيقتـه وتحليـل نتائجـه.

اليـوم الأرض، التـي تديـن فعـلا بقيمتهـا لاحتياجـات السـكان المتزايـدة، تملكهـا أقليـة تمنـع النـاس مـن زراعتهـا - أو لا تسـمح لهـم بزراعتهـا وفقـا للأسـاليب الحديثـة.

المناجـم، عـلى الرغـم مـن أنهـا تجسـد عمـل عـدة أجيـال، و تسـتخلص قيمتهـا الوحيـدة مـن متطلبـات صناعـة أمـة وكثافـة السـكان - تملكهـا أيضـا القلـة مـن السـكان؛ وهـذه القلـة تقيـد إنتـاج الفحـم، أو تمنعـه تمامـا، إذا وجـدت اسـتثمارات أكـثر ربحيـة لرأسـمالها. الآلات، أيضـا، أصبحـت ملـكا خالصـا لقلـة، وبـلا شـك حتـى عندمـا تجسـد الآلـة التحسـينات المضافـة إلى الاخـتراع الخـام الأصـلي لثلاثـة أو أربعـة أجيـال مـن العـمال، وعـلى الرغـم مـن ذلـك يملكهـا عـدد قليـل مـن المـلاك. ولـو قـدم نسـل المخـترع ذاتـه الـذي شـيد أول آلـة لصنـع الدانتيـل قبـل قـرن مـن الزمـان أنفسـهم اليـوم إلى مصنـع الدانتيـل في بـإلى أو نوتنجهـام، وطالبـوا بحقوقهـم، فسـوف يقولـون لهـم: "إرفعـوا أيديكـم.. قفـوا! هـذه الآلـة ليسـت لكـم "، وسـوف تطلـق عليهـم النـيران إذا حاولـوا الاسـتيلاء عليهـا.

السـكك الحديديـة، والتـي كانـت سـتكون عديمـة الفائـدة مثـل الكثـير مـن الحديـد المهمـل بـدون كـدح سـكان أوروبـا، بصناعتهـا، والتجـارة بهـا، وتجميعهـا، يملكهـا عـدد قليـل مـن المسـاهمين، يجهلـون ربمـا بمـكان وجـود خطـوط السـكك الحديديـة التـي تـدر عليهـم عائـدات أكـبر مـن تلـك التـى كانـت للملـوك في القـرون الوسـطى. وإذا كان أطفـال هـؤلاء الذيـن لقـوا حتفهـم بـالآلاف بينـما كانـوا يحفـرون الأنفـاق ويقطعـون السـكك الحديديـة و يجمعونهـا فى يـوم مـا، تزاحمـوا في خرقهـم جائعـين، للمطالبـة بالخبـز مـن المسـاهمين، فسـوف يتلقـون طعنـات الحـراب وتطلـق عليهـم النـار ، لتفريقهـم حمايـة "للمصالـح الشـخصية" للقلـة مـن المسـاهمين.

بمقتـضى هـذا النظـام الوحـشي، يـأتى ابـن العامـل للحيـاة، وهـو لا يجـد الحقـل الـذي يمكـن أن يحرثـه، ولا الآلـة التـي يمكـن أن يشـغلها ولا المناجـم التـي يمكـن أن يحفرهـا، دون أن يقبـل أن يـترك جـزءا كبـيرا مـن مـا سـوف ينتجـه لسـيد مـن

السادة الملاك. وانه يجب أن يبيع عمله مقابل أجر ضئيلغير مؤكد. في حين كد والده وجده لاستصلاح هذا الحقل، ولبناء ذاك المصنع، ولإتقان تشغيل تلك الآلة. إنهم أعطوا للعمل القدر الكامل من قوتهم، وأكثر ما يمكن أن يعطوا؟ ولكن وريثهم يأتي في العالم أكثر فقرا من الإنسان الأدنى وحشية. ولو حصل على فرصة ليحرث الحقول، فإنه يجب أن يسلم ربع إنتاجه لسيده، والربع الآخر للحكومة والوسطاء. وتتزايد دائما هذه الضريبة، التي تفرض عليه من قبل كل من الدولة، والرأسمالي، والسيد الاقطاعي، والوسيط.. ونادرا ما تترك له القدرة على تحسين نظامه للزراعة. وإذا تحول إلى الصناعة، وسمح له بالعمل فبشرط أن يعطى نصف أو ثلثي منتجه فقط للذى تقر البلد إنه مالك الآلة، ولكن حتى ذلك ليس دائما.

نهتف "العار" على البارون الإقطاعي الذي يمنع الفلاح من زراعة قطعة من الأرض إلا إذا سلم لسيده ربع محصوله. ونسمى تلك العصور الاقطاعية في نفس الوقت بالهمجية. ولكن مهما تغيرت الأشكال، فالعلاقات تظل نفسها، حيث تجبر العامل، تحت اسم العقد الحر، لقبول الالتزامات الإقطاعية بدوره، حيث انه لا يمكنه ايجاد ظروف أفضل. فلقد أصبح كل شيء ملكية خاصة، وإنه يجب أن يقبل بشروط من يملك، أو يموت من الجوع.

ونتيجة هذه الحالة من الأوضاع، هي أن كل إنتاجنا يميل في الاتجاه الخاطئ. لا تشغل الشركة الرأسمالية فكرة تلبية احتياجات المجتمع. فهدفها الوحيد هو زيادة مكاسب المضارب. وبالتالي تحدث التقلبات المستمرة في التجارة، والأزمات الصناعية الدورية، التي ترمي كل منها عشرات الآلاف من العمال في الشوارع.

لا يمكن للشعب العامل شراء الثروة التي كان قد أنتجها بأجوره ، وتسعى الصناعة للأسواق الخارجية بين الطبقات الثرية في الدول الأخرى. في الشرق، وفي أفريقيا، في كل مكان، في مصر، أو تونكين أو الكونغو، والأوروبي بالتالي مقيد في استهلاكه بتعزيز القنانة المتنامية. ولكن سرعان ما يوجد في كل مكان المنافسين المماثلين. تتطور جميع الدول على نفس المنوال، وتندلع الحروب بينها، و تستمر الحروب، حول حق الأولوية في السوق. والحروب من أجل حيازة ثروات الشرق، والحروب من أجل سيطرة الإمبراطورية في البحر، والحروب لفرض الرسوم على الواردات، وإملاء الشروط التجارية على الدول المجاورة. والحروب ضد هؤلاء "السود" الذين يثورون على استعبادهم! ومن ثم لا يتوقف هدير المدافع في

العـالم، وتذبـح أعـراق بأكملهـا، وتنفـق دول أوروبـا ثلـث ميزانياتهـا في مجـال التسـلح؛ و نحـن نعـرف كيـف تقـع بشـدة هـذه الضرائـب عـلى كاهـل العـمال.

لا يـزال التعليـم إمتيـاز أقليـة صغـيرة، لأنـه مـن العبـث الحديـث عـن التعليـم عندمـا يضطـر الطفـل للعمـل، وهـو يبلـغ مـن العمـر ثلاثـة عـشر عامـا، وينـزل إلى المنجـم أو لمسـاعدة والـده في المزرعـة. ومـن العبـث الحديـث عـن توفـير الدراسـة للعامـل، الـذي يعـود إلى المنـزل في المسـاء مسـحوقا بسـبب الكـدح المفـرط بظروفـه الوحشـية. و بذلـك يلتـزم المجتمـع بالبقـاء منقسـما إلى معسـكرين، وفي مثـل هـذه الظـروف فـإن الحريـة تصبـح كلمـة فارغـة بـلا معنـى. ويبـدأ الراديـكالي يطالـب بامتـداد أكـبر للحقـوق السياسـية، لكنـه سرعـان مـا يـرى أن ميـلاد الحريـة يـؤدي إلى رفـع مسـتوى وعـى البروليتاريـا، ومـن ثـم يتحـول مسـتديرا ، مغـيرا رأيـه، ويعـود إلى التشريـع القمعـى والحكـم بالسـيف.

وتنشـأ الحاجـة إلى مجموعـة واسـعة مـن المحاكـم والقضـاة والجلاديـن ورجـال الشرطـة، والسـجانين للحفـاظ عـلى هـذه الامتيـازات؛ وتـؤدى هـذه المجموعـة بدورهـا إلى منظومـة كاملـة مـن أعـمال التجسـس، وشـهادة الـزور، ومـن تجنيـد الجواسـيس، والتهديـدات والفسـاد.

ينمـى النظـام الـذي نعيـش بموجـب ظوابطـه الشـعور الاجتماعـي. ونحـن نعلـم جميعـا أنـه بـدون الاسـتقامة، ودون احـترام الـذات، ودون التعاطـف والمسـاعدة المتبادلـة، يجـب عـلى النـوع البـشري أن ينقـرض، كـما تنقـرض بعـض أجنـاس الحيوانات التـي تعيـش مـن السـلب والنهـب، أو النمـل حافـظ الرقيـق. ولكـن مثـل هـذه الأفـكار لا توافـق ذوق الطبقـات الحاكمـة، والتـى لذلـك وضعـت نظامـا كامـلا مـن العلـم الزائـف لتعليـم العكـس.

وقـد بـشرت المواعـظ الجميلـة بالنـص بـأن أولئـك الذيـن يملكـون ينبغـي عليهـم تقاسـم ثرواتهـم مـع أولئـك الذيـن لا يملكـون، ولكـن الـذي سـوف يعمـل بهـذا المبـدأ سـوف يعلـم عـلى وجـه السرعـة أن كل هـذه المشـاعر الجميلـة شيء جيـد جـدا، و لكـن في الشـعر فقـط، وليـس في الممارسـة العمليـة." ليتحلـل منهـا، ويلطـخ نفسـه بالكـذب" حيـث يمكننـا القـول، يصبـح الشـخص مجـرد كذبـة ضخمـة بعـد كل تلـك الحيـاة المتحـضرة. فنحـن نعـود أنفسـنا وأطفالنـا عـلى النفـاق، وعـلى ممارسـة أخلاقيـة ذات

وجهين. وحيث يمرض العقل بسهولة عبر الأكاذيب التي نحياها، ولكننا نخدع أنفسنا بالسفسطة. ويصبح النفاق والسفسطة طبيعة ثانية للإنسان المتحضر.

ولكن المجتمع لا يمكن أن يعيش هكذا. لا بد له من العودة إلى الصدق أو يزول من الوجود.

وبالتالي تنتشر العواقب التي تنبع من الفعل الأصلي لاحتكار الملكية خلال كل الحياة الاجتماعية. وسوف تضطر المجتمعات البشرية إلى العودة إلى المبادئ الأولى أو تبقى تحت طائلة الموت: فكون وسائل الإنتاج نتيجة عمل جماعي للبشرية، يعني إنه يجب أن يكون المنتج ملكية جماعية للجنس البشرى. فالحيازات الفردية ليست عادلة ولا يجب مراعاتها. كل الأشياء ملك للجميع. كل الأشياء لجميع البشر، لأن جميع البشر يحتاجونها، ولأن جميع البشر قد بذلوا قصارى قوتهم لإنتاجها، ونظرا لأنه لا يمكن تقييم جهد كل واحد منهم في إنتاج الثروة في العالم.

كل شيء للجميع. هنا المخزون الهائل من الأدوات والآلات. هنا كل هؤلاء العبيد الحديدين الذين نسميهم الآلات، التي تجرى وتطير، وتغزل وتنسج لنا، تفكك وتركب، وتعمل على المواد الخام لإنتاج المعجزات في عصرنا. لكن لا أحد لديه الحق في الاستيلاء على واحد من هذه الآلات ويقول: "هذا لى؛ و إذا كنت ترغب في استخدامه، يجب أن تدفع لي ضريبة على كل ما تنتجه، "أكثر من ما كان لأي إقطاعي من العصور الوسطى كان من حقه أن يقوله للفلاح،" هذا التل، هذا المرج ملكى، ويجب عليك أن تدفع لي ضريبة على كل حزمة من الذرة تحصدها وعلى كل حجر تبنيه".

كل شيء للجميع! إذا كان الرجل والمرأة يتحملان نصيبهما العادل من العمل، فلديهما الحق في نصيبهما العادل من كل ما ينتجه كل شيء، وهذه الحصة كافية لتأمين رفاهيتهم. لا مزيد من هذه الشعارات الغامضة ب "الحق في العمل"، أو " إلى كل نتيجة عمله" ما نعلنه هو الحق في الرفاهية: الرفاهية للجميع!

الفصل الثاني
الرفاهية للجميع

أولا

الرفاهية للجميع ليست حلما. بل من الممكن تحقيقها، بسبب كل ما فعله أجدادنا لزيادة قدرتنا على الإنتاج.

وفي الواقع نحن نعلم، أن المنتجين، على الرغم من أنها يشكلون بالكاد ثلث سكان الدول المتحضرة، وإنهم حتى الآن ينتجون هذه الكميات من السلع التي يمكن أن توفر درجة معينة من الراحة لكل منزل. ونحن نعرف كذلك أنه إذا أجبر جميع أولئك الذين يهدرون يوميا ثمار كدح الآخرين لتوظيف وقت فراغهم في عمل مفيد، فإن من شأنه أن تتزايد ثرواتنا متناسبة مع عدد المنتجين، وأكثر من ذلك. وأخيرا، نحن نعلم أنه خلافا للنظرية التي أعلنها مالتوس التى تشكل الجواب الواثق لاقتصاد الطبقة البرجوازية فإن القوى الإنتاجية للجنس البشري تزيد بنسبة أسرع بكثير من قدرتهم على الإنجاب. ويزدحم البشر بشكل أكثر غزارة على الأرض، في حين تنمو قدرتهم على خلق ثرواتهم بسرعة أكثر.

وهكذا، على الرغم من أن عدد سكان إنجلترا زاد فى الفترة من 1844 إلى 1890 بنسبة 62 في المائة، فإنه للسخرية قد نمى إنتاجها، على أقل تقدير، إلى ضعف

معدلـه أي بنسـبة 130 في المائـة. في فرنسـا، حيـث ازداد عـدد السـكان ببـطء أكـثر، فـإن الزيـادة في الإنتـاج مـع ذلـك سريعـة جـدا. عـلى الرغـم مـن الأزمـات التـي كثـيرا مـا تمـر بهـا الزراعـة بشـكل متكـرر، وعـلى الرغـم مـن تدخـل الدولـة، وضريبـة الـدم (التجنيـد الاجبـارى)، والمضاربـة التجاريـة والماليـة، فقـد زاد إنتـاج القمـح في فرنسـا أربعـة أضعـاف، والإنتـاج الصناعـي أكـثر مـن عـشرة أضعـاف، في سـياق الثمانـين عامـا الماضيـة. ولا يـزال التقـدم في الولايـات المتحـدة أكـثر لفتـا للأنظـار. عـلى الرغـم مـن الهجـرة، أو بالأحـرى بسـبب تدفـق العمالـة الأوربيـة الفائضـة عـلى وجـه التحديـد، ضاعفـت الولايـات المتحـدة ثرواتهـا عـشرة أضعـاف.

ومـع ذلـك، تعطـي هـذه الأرقـام فكـرة باهتـة جـدا عـن مـا قـد تصبـح عليـه ثروتنـا في ظـل ظـروف أفضـل. جنبـا إلى جنـب مـع التطـور السريـع لقوانـا المنتجـة للـثروة فلدينـا زيـادة هائلـة في صفـوف العاطلـين والوسـطاء. وبـدلا مـن ذلـك يتركـز رأسـالمال نفسـه تدريجيـا في أيـدي قلـة مـن النـاس، بحيـث يكـون ضروري للمجتمـع تجريـد عـدد قليـل مـن أصحـاب الملايـين مـن ملكياتهـم بمـا يتجـاوز ميراثهـم الشرعـى فقـط، ولكـن فبـدلا مـن أن يتحقـق هـذا التوقـع الاشـتراكي الثابـت صحتـه، فعـلى العكـس تمامـا يتزايـد سرب الطفيليـات باسـتمرار.

في فرنسـا ليـس هنـاك سـوى عـشرة مـن المنتجـين الفعليـين لـكل ثلاثـين نسـمة. فالـثروة الزراعيـة بأكملهـا مـن البـلاد نتيجـة عمـل أقـل مـن سـبعة ملايـين مـن البـشر، وفى اثنـين مـن الصناعـات الكبـيرة التعديـن والمنسـوجات، سـوف تجـد أن العـمال يبلـغ عددهـم أقـل مـن مليونـين ونصـف مليـون. لكـن كـم يبلـغ مسـتغلي العمـل؟ - في إنجلـترا (بإسـتثناء إسـكتلندا وأيرلنـدا)، يعمـل مليـون عامـل فقـط الرجـال و النسـاء والأطفـال في جميـع مجـالات الغـزل والنسـيج، ويعمـل ليـس أكـثر مـن نصـف مليـون فى المناجـم، ويكـدح ليـس أقـل مـن نصـف مليـون فى الأرض ، وتحـدد أقـصى جميـع أرقـام الإحصـاء ثمانيـة ملايـين منتـج مـن سـتة وعشريـن مليـون نسـمة بالمبالغـة. بالمعنـى الدقيـق للكلمـة فـإن مبدعـي السـلع المصـدرة مـن بريطانيـا إلى جميـع أقـاصي الأرض يشـملون فقـط مـا بـين 6 إلى 7 مليـون عامـل. فـما هـو مجمـوع المسـاهمين والوسـطاء الذيـن يسـتحوزون عـلى أول ثمـار العمـل مـن القـاصي والـداني، ويكدسـون أربـاح غـير مكتسـبة بالجهـد، ويقحمـون أنفسـهم مـا بـين المنتـج والمسـتهلك، و يدفعـون للمنتـج لا خمـس ولا واحـد عـلى العشريـن، مـن الثمـن الـذي يأخذونـه بالضبـط مـن المسـتهلك؟

وليس هذا كل شيء. أولئك الذين يحجبون رأسالمال، ويقللون الناتج باستمرار عن طريق الحد من الإنتاج. لا نحتاج إلى الحديث عن العربات المحملة بالمحار التى تلقى في البحر لمنع طعام لذيذ، من أن يصبح غذاءا للشعب لتوفيره للأغنياء فقط حتى الآن. ولا نحتاج إلى الحديث عن ألف نوع من المواد الغذائية الفاخرة، وهلما جرا التى تعامل على نفس منوال المحار. ويكفي أن نتذكر الطريقة التي يتم بها إنتاج أكثر الأشياء الضرورية بشكل محدود. فجحافل من عمال المناجم جاهزون ومستعدون لاستخراج الفحم كل يوم، وإرساله إلى أولئك الذين يرتجفون من البرد. ولكن كثيرا ما يحظر الثلث، أو حتى الثلثين من عدد عمال المناجم أكثر من ثلاثة أيام في الأسبوع، للإبقاء على سعر الفحم ثابتا في السوق؟ ويحظر على الآلاف من النساجين تشغيل الأنوال، على الرغم من أن زوجاتهم و أطفالهم يرتدون الخرق، وعلى الرغم من أن ثلاثة أرباع سكان أوروبا ليس لديهم ملابس تستحق هذا الاسم.

تقف مئات من أفران الصهر، والآلاف من المصانع بشكل دوري خاملة، والبعض الآخر يعمل فقط لنصف الوقت، وفي كل أمة متحضرة هناك نحو مليوني من الأفراد من السكان الدائمين الذين يطلبون العمل فقط، ولكن يتم رفضهم طلبهم.

كيف أن هذه الملايين من الرجال سوف يكونوا مسرورين للعمل على استصلاح الأراضي المهملة، أو لتحويل الأرض غير المزروعة إلى حقول خصبة، غنية بثمارها! حيث من شأن عام من الكد يوجه بشكل جيد أن يكفي لمضاعفة المحصول خمس مرات في الأراضي الجافة في جنوب فرنسا والتي لا تثمر الآن إلا عن ثمانية بوشل[1] من القمح للإكر[2] الواحد. ولكن هؤلاء البشر، الذين سيكونوا سعداء لكونهم أصبحوا رواد أقوياء في العديد من فروع النشاط المنتجة للثروة، يجب أن تقيد أيديهم لأصحاب الأرض، والمناجم، والمصانع الذين يفضلون استثمار رؤوس أموالهم - المسروقة في المقام الأول من المجتمع - في السندات التركية أو المصرية، أو في مناجم الذهب فى باتاجونيا، و هكذا يجعلون الفلاحين المصريين، والمنفيين الإيطاليين، والكوإلى الصينيين عبيدهم المأجورين.

---

(1) وحدة قياس وزن تساوى 4،36 لتر في بريطانيا و 2،35 لتر في الولايات المتحدة المترجم

(2) وحدة قياس مساحة تساوى 4047 متر المترجم

مظاهـر التقييـد المبـاشر و المتعمـد للإنتـاج كثـيرة جـدا؛ ولكـن هنـاك أيضـا تحديـد غـير مبـاشر وليـس لغـرض معـين، والـذي يكـون في إنفـاق مـا ينتجـه الكـدح البـشري عـلى موضوعـات غـير مفيـدة إطلاقـا، أو يـراد بهـا فقـط إرضـاء الأنانيـة المملـة للأغنيـاء.

فمـن المسـتحيل أن نحسـب بالأرقـام مـدى الـثروة التـى قيـدت بشـكل غـير مبـاشر، والمـدى الـذى يتـم فيـه تبديـد الطاقـة ، التـي كان مـن الممكـن أن تقـدم للإنتـاج، وقبـل كل شيء لإعـداد الآليـة اللازمـة للإنتـاج. ويكفـي أن نذكـر المبالـغ الهائلـة التـى تنفقهـا أوروبـا في مجـال التسـلح لغـرض وحيـد هـو أن تحـرز السـيطرة عـلى الأسـواق، وبذلـك تفـرض معاييرهـا التجاريـة الخاصـة عـلى الأراضي المجـاورة، وجعـل الاسـتغلال أسـهل في الوطـن الأم. وتدفـع الملايـين كل عـام للمسـؤولين الحكوميـين مـن جميـع الأنـواع، الذيـن يـؤدون مهمتهـم في الحفـاظ عـلى حقـوق ملكيـات الأقليـات، تلـك الحقـوق التـى تكـون لعـدد قليـل مـن البـشر الأغنيـاء - ويتـم التلاعـب بالأنشـطة الاقتصاديـة للأمـة؛ وتنفـق الملايـين عـلى القضـاة والسـجون ورجـال الشرطـة، وجميـع أدوات مـا يسـمى بالعدالـة - التـى لا تـؤدى أي غـرض، لأننـا نعـرف أن كل تخفيـف، مهـما كان طفيفـا، مـن بـؤس مدننـا العظيمـة يتبعـه نقـص كبـير جـدا فى الجريمـة؛ وأخـيرا، تنفـق الملايـين عـلى نـشر الأفـكار الخبيثـة عـن طريـق الصحافـة، والأخبـار "المطبوخـة" في مصلحـة هـذا الطـرف أو ذاك، لهـذا السـياسي أو تلـك الشركـة مـن المسـتغلين.

و لكـن و فـوق كل هـذا يجـب أن نأخـذ بعـين الاعتبـار كل العمـل الـذي يذهـب إلى الإهـدار التـام، عـلى سـبيل المثـال في المحافظـة عـلى إسـطبلات الخيـل، وبيـوت الـكلاب، وحاشـية الأغنيـاء، وفي إرضـاء الأهـواء والأذواق الفاسـدة المألوفـة للجماهـير. وفي إجبـار المسـتهلك لـشراء مـا لا يحتـاج إليـه مـن ناحيـة ، ومـن ناحيـة أخـرى في إنتـاج سـلع مـضرة للغايـة، ولكنهـا مربحـة للشركـة المصنعـة أو دس مـادة رديئـة عليـه عـن طريـق الاغـراء. فـما يبـدد بهـذه الطريقـة سـيكون كافيـا لمضاعفـة ثروتنـا الحقيقيـة، أو لتزويـد مطاحننـا ومصانعنـا بـالآلات التـي سرعـان مـا سـتفيض بمنتجاتهـا بـكل مـا يفتقـر إليـه ثلثـي الأمـة فى المحـلات التجاريـة. ويجـبر فى ظـل نظامنـا الحـالي ربـع كامـل مـن المنتجـين في كل أمـة عـلى أن يكونـوا خاملـين لمـدة ثلاثـة أو أربعـة أشـهر في السـنة، وأن يعمـل الربـع الآخـر، إن لم يكـن أكـثر مـن النصـف، ليـس لهـم مـن وسـائل أفضـل للعيـش مـن تسـلية الأغنيـاء أو اسـتغلال الجمهـور.

وهكـذا، إذا أخذنـا في الاعتبـار مـن ناحيـة السرعـة التـي يمكـن بهـا للأمـم المتحضرة زيـادة قدرتهـا عـلى الإنتـاج، ومـن ناحيـة أخـرى الحـدود الموضوعـة عـلى هـذا الإنتـاج،

سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، من خلال الظروف الحالية، لا يمكن للمرء إلا أن يستنتج بأن نظام اقتصادي أكثر استنارة من ذلك المبدد للطاقة من شأنه أن يسمح لها بتراكم من الثروة يصل في غضون سنوات قليلة للكثير من المنتجات المفيدة التي كانت مقيدة ليصرخوا - "كفى! لدينا ما يكفي من الفحم والخبز والملابس! دعونا نستريح وننظر في أفضل السبل لاستخدام قوانا، وفى أفضل السبل لتوظيف أوقات فراغنا.

بالقطع، الرفاهية للجميع ليست حلما - على الرغم من أنها كانت حلما بالفعل في تلك الأيام الخوالي عندما كان الإنسان، مع كل آلامه، يمكنه بالكاد الفوز ببوشل من القمح من إكر من الأرض، ويملك طراز يدوى لجميع الأدوات التي يستخدمها في الزراعة والصناعة. و الآن لم يعد حلما، لأن الإنسان هو الذي اخترع المحرك الذي مع قليل من الحديد وبضعة أرطال من الفحم، أعطاه التمكن من مخلوق قوي و سهل الانقياد كحصان، و قادر على صنع آليات أكثر تعقيدا تتحرك لتوفر الوقت والجهد.

ولكن، لكى تصبح الرفاهية للجميع حقيقة واقعة، فإن هذا الرأسمال الهائل - المدن والمنازل والمراعي والأراضي الصالحة للزراعة والمصانع والطرق السريعة والتعليم - يجب أن يتم التوقف عن اعتبارها ملكية خاصة لمحتكرها يحقق بها سعادته على حساب تعاسة المحرومين.

هذا التراث الغني من وسائل الإنتاج، المكتسب بشكل مؤلم، والذى بناه، أو أبدعه، أو اخترعه أجدادنا، يجب أن يصبح ملكية مشتركة، بحيث يمكن للمصالح الجماعية للبشر أن تكسب منه أكبر فائدة للجميع.

يجب أن يكون هناك مصادرة للملكية و لجميع وسائل الإنتاج. لكى نحقق الرفاهية للجميع.

ثانيًا

مصادرة الملكية، إذن هي المهمة التي وضعها التاريخ أما بشر القرن العشرين: العودة إلى الشيوعية في كل المجالات لتحقيق الرفاهية للإنسان.

ولكن هذه المشكلة لا يمكن حلها عن طريق وسائل التشريع. لا أحد يتصور ذلك. والفقراء وهم في ذلك ليسوا أقل من الأغنياء، يفهمون أنه لا الحكومات القائمة، ولا تلك التي قد تنشأ عن التغيرات السياسية المحتملة، سوف تكون قادرة على إيجاد حل. و ترى ضرورة اندلاع ثورة اجتماعية. ويدرك الأغنياء و الفقراء على حد سواء أن هذه الثورة باتت وشيكة، وأنها قد تندلع في غضون سنوات قليلة جدا.

تم إنجاز تغير كبير في الفكر خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر. لكن قمعته حيثما وجد، الطبقات المالكة، وأنكرت تطوره الطبيعي، فيجب أن تكسر هذه الروح الجديدة الآن قيودها بالعنف، وتحقيق ذاتها في الثورة.

من أين تأتي الثورة؟، وكيف سيكون إعلان قدومها؟ لا يمكن الإجابة على هذه الأسئلة. فالمستقبل غيب خفي لا يعلمه أحد. ولكن أولئك الذين يشاهدون ويفكرون لا يسيئون تفسير العلامات الدالة عليه: العمال والمستغلون، الثوريون والمحافظون، المفكرون ورجال العمل، الجميع يشعرون بأن الثورة على الأبواب.

حسنا! ما علينا القيام به عندما تهبط الثورة كالصاعقة؟

درسنا جميع الجوانب المثيرة من الثورة كثيرا جدا، والقليل جدا من الممارسة العملية للثورة، وأننا لا نميل لرؤية سوى آثار تلك المرحلة، من هذه الحركات الكبرى إذا جاز التعبير. أو معركة الأيام الأولى على المتاريس. ولكن هذه المعركة، هذه المناوشات الأولى، تنتهي سريعا، وأنها ليست سوى الإطاحة بالدستور القديم في حين أن العمل الحقيقي للثورة لا يمكن أن يقال أنه بدأ بعد.

بسبب الهجوم من جميع الجهات، سرعان ما يكنس ميلاد الانتفاضة الحكام القدماء بعيدا عاجزين بلا حول ولا قوة. ففي غضون أيام قليلة كانت ملكية الطبقة البرجوازية لعام ١٨٤٨ قد اختفت، وبينما كان لويس فيليب يجهز لفراره بمركبة، كانت باريس قد نسيت بالفعل «ملكها المواطن» . واختفت حكومة تيير يوم ١٨ مارس، ١٨٧١، في ساعات قليلة، تاركة باريس لمصيرها. ففي انتفاضتي

١٨٤٨ و١٨٧١ فقط. أختفى قبل الثورة الشعبية سادة «النظام القديم» بسرعة مثيرة للدهشة. و غادر داعموه البلاد، للتآمر على الثورة في مكان آمن، و لوضع التدابير اللازمة لعودتهم.

تردد الجيش بعد أن اختفت الحكومة السابقة، أمام تيار الرأي العام، ولم يعد يطيع قادته، الذين رحلوا بحكمة أيضا. ووقفت القوات على الحياد بدون أن تتدخل، أو تنضم إلى المتمردين. ووقفت الشرطة متساهلة، غير متأكدة ما إذا كان عليها مهاجمة الحشود الثائرة أو أن تهتف معها «عاشت الكوميونة»: في حين انسحب البعض لأحيائهم قائلين «لننتظر دواعي السرور من الحكومة الجديدة». وحزم المواطنون الأثرياء أمتعتهم كى يلجأوا إلى أماكن آمنة. وبقى الشعب. هذه هي الطريقة التي تحدث بها الثورة. وتعلن الكوميونة الحرة في العديد من المدن الكبيرة. ويهيم على وجوههم الآلاف من الرجال في الشوارع، ويحتشدون بارتجال في الأندية في المساء، يسألون: «ما ينبغى علينا أن نفعل؟» ويناقشون بحماس الشؤون العامة، حيث يأخذ الجميع فى الاهتمام. حتى أولئك الذين كان بالأمس غالبا غير مبالين يصبحون ربما الأكثر حماسا. ويوجد في كل مكان الكثير من حسن النية، والحرص على جعل النصر مؤكدا. بل هو وقت ظهور الدوافع العليا. حيث يكون الناس مستعدون للمضي قدما للتضحية.

كل هذا رائع، وعظيم. ولكن يظل ليس ثورة حتى الآن. كلا، ليس سوى أن العمل ثوري يبدأ الآن.

بلا شك سوف يرتوى التعطش للانتقام. سوف يدفع أمثال Watrins و (١) Thomases جلادوا النظام القديم ثمن عدم شعبيتهم، ولكن هذا ليس سوى حادث من النضال وليس ثورة. ويهرع الساسة الاشتراكيون، والجذريون، والعبقريات المهملة للصحافة، وخطباء المنابر والمواطنون من الطبقة البرجوازية، والعمال إلى مبنى البلدية حيث المكاتب الحكومية، ويستولون على المقاعد الشاغرة. البعض تفرح قلوبهم بالزركشات على الملابس الرسمية، ويعجبون بأنفسهم في المرايا الوزارية، ويدرسون إعطاء أوامر فى جو من الأهمية يتناسب مع الموقف الجديد.

---

(1) الإشارة لحدثين على إسم شخصين قتلا في الحادثين ، هما واتران كان مهندس و مسئول في منجم في مدينة ديكازفيل في فرنسا، أضرب العمال بعد تقليل الأجر للتلت في 1886، و وقتل واتران في أحداث الإضراب. كليمون توماس ظابط فرنساوي قتل أثناء كميونة باريس.

و لأن الثورة قد حانت فيجب أن يكون لديهم أوشحة حمراء، وقبعات مطرزة، ويقومون بالإيماءات السيادية لإقناع رفاقهم من المكتب أو ورشة العمل! في حين يدفن آخرون أنفسهم في الأوراق الرسمية، ويحاولون، مع أفضل النوايا، فهم رأسها من ذيلها. أنهم يشجبون القوانين و يصدرون المراسيم بلغة دقيقة لأن لا أحد يأخذ على عاتقه عناء القيام بذلك. لإعطاء أنفسهم سلطة تفتقر إلى السعى إلى فرض عقوبات على الأشكال القديمة من الحكومة. أنها تأخذ أسماء مثل «الحكومة المؤقتة»، «لجنة السلامة العامة»، «العمدة»، «محافظ مبنى البلدية»، «مفوض المصلحة العامة»، ولم لا. سواء منتخبين أو مكلفين ، يتجمعون في الهيئات أو في المجالس البلدية. و تتكون هذه الهيئات من عشرة أو عشرين من رجال المدارس المختلفة، والتي، إن لم تكن بالضبط «منابر خاصة،» وما لا يقل عن هذا العدد الكبير من الطوائف التي تمثل العديد من المذهب السياسية فيما يتعلق بالنطاق، و الوضع، والهدف من الثورة. الإمكانيون، والجمعيون، والجذريون، واليعاقبة، والبلانكيون، ويتوجهون معا، ويضيعون الوقت في حرب الألفاظ. و يتلاقى الرجال الصادقون مع ذلك الطموح، الذين يكون لديهم حلم بالسلطة فقط و يرفضون الجماهير من حيث ظهرت. يأتون معا بوجهات نظرهم المتعارضة تماما، ولذلك فإنهم يضطرون إلى تشكيل تحالفات تعسفية من أجل خلق الأغلبيات، هذا الهدف الذى يمكن أن يستمر لمجرد يوم فقط. و يتشاحنون، ويصف كل منهم الأخرين بالرجعيين، والسلطويين، والأوغاد، ويصبحوا غير قادرين على التوصل إلى تفاهم على أي تدبير جدي، و ينجرون إلى مناقشات حول تفاهات، ولا ينتجون شيء أفضل من التصريحات الرنانة، بعد أخذ أنفسهم على محمل الجد، غير عالمين أن القوة الحقيقية للحركة في الشوارع.

كل هذا قد يرضى أولئك الذين يحبون المسرح، و لكنها ليست ثورة. لا شيء حتى الآن قد أنجز و في الوقت نفسه مازال الشعب يعانى. و المصانع عاطلة، و الورش مغلقة؛ والصناعة في طريق مسدود. والعامل لا يكسب حتى الأجر الضئيل الذي كان يكسبه من قبل. و ترتفع أسعار الغذاء. مع الإخلاص البطولي الذي يتميزون دائما به، والذي يصل في الأزمات الكبرى إلى السمو، فالناس ينتظرون بصبر. قالوا في عام ١٨٤٨،»نحن نضع هذه الأشهر الثلاثة من العوز في خدمة الجمهورية،» وفي حين أن»ممثليهم» والسادة فى الحكومة الجديدة، استلموا رواتبهم بانتظام سقطوا هم فى هاوية البؤس.

يعـانى الشـعب. مـع إيمانـه الطفـولي، مـع روح الدعابـة لـدى الجماهـير الذيـن يؤمنـون بقادتهـم، وكانـوا يعتقـدون أن «هنالـك»، في البرلمـان، أو في دار البلديـة، أو في لجنـة السـلامة العامـة، يجـري النظـر فى أمـر رفاهيتهـم. ولكـن «هنالـك» يناقـش كل شيء تحـت الشـمس إلا رفاهيـة الشـعب.

في عـام ١٧٩٣، حـين اجتاحـت المجاعـة فرنسـا و شـلت قـوى الثـورة فى مواجهتهـا. حـين هبـط النـاس إلى أعـماق البـؤس، أصطـف أبطـال الإليزيـه فى العربـات الفاخـرة، حيـث اسـتعرضت النسـاء مجوهراتهـن وروائعهـن مـن الملابـس، و حـث روبسـبير اليعاقبـة عـلى مناقشـة أطروحتـه حـول الدسـتور الإنجليـزي. وفي حـين أن العـمال كانـوا يعانـون في عـام ١٨٤٨ مـن التوقـف العـام للتجـارة، فإنهـم فى الحكومـة المؤقتـة ومجلـس النـواب كانـوا يتشـاجرون بشـأن المعاشـات العسـكرية والعمـل في السـجون، دون قلـق حـول كيـف كان النـاس يعيشـون خـلال هـذه الأزمـة. ويمكـن للمـرء أن يلقـي اللـوم عـلى كوميونـة باريـس، التـي ولـدت تحـت نـيران المدفـع البروسي، ولم تسـتغرق سـوى سـبعين يومـا، و سـيتكرر هـذا الخطأ نفسـه - و هـذا الفشـل ذاتـه في فهـم أن الثـورة لا يمكـن أن تنتصر مـا لم يكـن أولئـك الذيـن يقاتلـون إلى جانبهـا يجـب أن تتـم تغذيتهـم، حيـث لا يسـتطيع الرجـل مقابـل خمسـة عـشر بنسـا أن يحـارب عـلى الأسـوار يومـين، و في الوقـت نفسـه عليـه أن يدعـم أسرتـه.

يعانى الشعب ويقول: «كيف يعثر على طريقة للخروج من هذه الصعوبات؟»

ثالثًا

ويبـدو لنـا أنـه لا يوجـد سـوى إجابـة واحـدة عـلى هـذا السـؤال: علينـا أن نعـترف، وبصـوت عـال أن نعلـن، أن كل واحـد، مهـما كانـت درجتـه في المجتمـع القديـم، سـواء كان قويـا أو ضعيفـا، قـادرا أو عاجـزا، فـإن لديـه، قبـل كل شيء، الحـق في الحيـاة، وإن المجتمـع ملتـزم بالمشـاركة بـين الجميـع، دون اسـتثناء، فى أن تكـون سـبل العيـش تحـت تصرفـه. علينـا أن نعـترف بذلـك، ونعلـن بصـوت عـال، ونعمـل عـلى أن نصـل إلى ذلـك.

إنـه يجـب أن نكـون مبدعـين بحيـث إنـه مـن اليـوم الأول للثـورة سـوف يعـرف العامـل أن عهـدا جديـدا ينفتـح أمامـه. مـن الآن فصاعـدا لا يحتـاج إلى أن يقبـع تحـت الجسـور، ويمنـع مـن القصـور، ولا يحتـاج للصـوم في ظـل وفـرة الطعـام، ولا يلـزم أن يهلـك مـن الـبرد بالقـرب مـن المحـلات المليئـة بالفـراء. حيـث أن كل شيء للجميـع،

في الممارسة العملية، وكذلك من الناحية النظرية، وهكذا أخيرا، للمرة الأولى في التاريخ، يتم إنجاز الثورة التي تأخذ في اعتبارها حاجات الناس قبل تعليمهم واجباتهم.

لا يمكن لهذا أن يتأتى من خلال أعمال البرلمان، وإنما فقط بحيازة فورية وفعالة لكل شئ، بما هو ضروري لضمان رفاهية الجميع. هذا هو السبيل العلمي الوحيد حقا المؤدي للعمل. الطريق الوحيد الذي تفهمه وترغبه جماهير الشعب. ويجب أن تتم الحيازة، باسم الناس، على صوامع الحبوب، ومتاجر الملابس العامرة ومنازل السكن . ولا يجب أن يضيع شيئا . علينا أن ننظم بغير تأخير طريقة لإطعام الجائع، ولإشباع جميع الحاجات، وللوفاء بكل طلب، وللإنتاج بما يضمن حياة ونمو المجتمع ككل، وليس لمنفعة خاصة لهذا أو لذاك.

كفانا كلمات غامضة على شاكلة (الحق في العمل) . تلك التي أضلت الناس في عام 1848، وما زالت تستخدم لنفس السبب . لنمتلك شجاعة الاقرار أن الرفاهية الممكنة للجميع لابد أن تتحقق من الآن فصاعدا.

عندما طالب العمال بالحق في العمل، عام 1848، تم تنظيم ورش العمل على مستويات قومية ومحلية، وتم إرسالهم ليكدحوا هناك مقابل دخول بمعدلات متدنية يومية، وعندما طالبوا بضرورة تنظيم العمل، كانت الإجابة: " صبرا يا رفاق، إن الحكومة تنظر في الأمر، أما الآن فلتستريحوا أيها الكادحون الشجعان بعد طول كفاحكم من أجل الطعام ". في نفس الوقت كانوا يعدون المدافع، ويستدعون الاحتياطي، ويفككون تنظيمات العمال بطرق عديدة تعرفها الطبقة البرجوازية جيدا، حتى قيل لهم ذات يوم أن عليهم أن يذهبوا لاستعمار أفريقيا أو سوف يُطلقون النار عليهم.

ستكون النتيجة أكثر اختلافا، لو طلب العمال الحق في الرفاهية. لو طلبوا حق حيازة ثروة المجتمع، فبطلبهم للرفاهية يمكن أن يحتلوا منازلا للسكن، حسب حاجة كل أسرة. وأن يضعوا أيديهم على متاجر الطعام، ويعرفوا معنى الوفرة، بعد أن عرفوا معنى الندرة جيدا جدا. و عندما يطالبون بحقهم في كامل الثروة وهي ثمرة جهد أجيال من الماضي والحاضر، ويتعلموا من خلال وسائلها أن يستمتعوا بالمتع الأسمى من فنون وعلوم، تلك التي احتكرتها الطبقة البرجوازية طويلا .

و بينما يؤكدون حقهم فى العيش برفاهية، يفعلون نفس الأمر لما هو أكثر أهمية: حقهم فى تحديد ماهية تلك الرفاهية بالنسبة لهم . ما الذى يجب إنتاجه لضمانها؟. وما الذى يجب نبذه باعتباره غير مهم.

ان الحق فى الرفاهية، يعنى إمكانية العيش كآدميين، وتنشئة أطفال يكونوا أعضاء فى مجتمع أفضل من مجتمعنا الحالى. بينما الحق فى العمل لا يعنى غير الحق فى أن تكون عبدا دائما للأجر، كادحا أبديا محكوما ومُستغَلا من قبل الطبقة البرجوازية.

الحق فى الرفاهية هو ثورة اجتماعية. الحق فى العمل، ليس غير طاحونة من النشاط التجارى .

لقد آن الآوان للعمال أن يؤكدوا على حقهم فى حيازة الإرث المشترك للبشرية.

الفصل الثالث

الأناركية الشيوعية[1]

اولًا

كل مجتمع سوف يصادر الملكية الخاصة[2] سوف يضطر للبقاء، أن ينظم نفسه على غرار الأناركية الشيوعية. تؤدي الأناركية إلى الشيوعية، والشيوعية إلى الأناركية ، على حد سواء كلاهما متشابهان حين يجري التعبير عن الميل السائد في المجتمعات الحديثة، فى السعي لتحقيق المساواة.

مر الوقت الذى كان يمكن فيه لعائلة من الفلاحين أن تعتبر الذرة الذى يزرعونه، أو الملابس الصوفية المنسوجة في الكوخ، منتجات كدهم الخاص. ولكن

---

(1) الأناركية الشيوعية المعروفة أيضا باسم الشيوعية التحررية هي نظرية الأناركية التي تدعو إلى إلغاء كل من الدولة، والأسواق، والنقود، والملكية الخاصة والرأسمالية لصالح الملكية العامة لوسائل الإنتاج، والديمقراطية المباشرة وشبكة أفقية من الجمعيات الطوعية ومجالس العمال للإنتاج والاستهلاك على أساس مبدأ: "من كل حسب قدرته، ولكل حسب حاجته"، في حين تحتفظ باحترام الملكية الشخصية أو ما يسمى بالحيازة أو حق الاستخدام والانتفاع.المترجم

(2) حق الملكية الخاصة يتضمن ثلاث حقوق فرعية هى التصرف والاستغلال و الاستخدام وهى ما يرفضه الشيوعيون الأناركيون ويسعون لإلغائها، في حين يقبلون الملكية الشخصية أو ما يسمى بالحيازة أو حق الاستخدام والانتفاع للأشخاص والجماعات فقط.المترجم

حتى ذلك الحين كانت هذه الطريقة في النظر إلى الأمور غير صحيحة تماما. هناك الطرق والجسور المصنوعة التى تعتبر من القواسم المشتركة، والمستنقعات التى جففها الكدح الجماعى للسكان، و المراعيالجماعية المحاطة بسياج من الأشجار حتى تم الاحتفاظ بها صالحة للكل بواسطة الجميع. فلو تم تحسين الأنوال للنسج أو الأصباغ لتلوين الأقمشة، يستفيد منها الجميع. و ذلك حتى في تلك الأيام فإن عائلة من الفلاحين لا يمكن أن تعيش وحدها، ولكنها كانت تعتمد بألف طريقة وأخرى على القرية أو البلدة.

لكن في الوقت الحاضر، بينما كل شيء مترابط في الوضع الراهن للصناعة، وعندما يكون كل فرع من فروع الإنتاج متماسك مع بقية فروعه فى العالم، فإن أى محاولة للمطالبة بالعودة للأصل الفردي لمنتجات الصناعة لا يمكن الدفاع عنها على الإطلاق. حيث يرجع الكمال المذهل الذي تم تحقيقه في الصناعات النسيجية أو التعدين في الدول المتحضرة إلى التطور المتزامن لألف من الصناعات الأخرى، الكبيرة منها والصغيرة، إلى تمديد نظام السكك الحديدية والملاحة بين المحيطات، إلى المهارة اليدوية التى اكتسبها الآلاف من العمال، إلى المستوى المعين من الثقافة التي توصلت إليها الطبقات العاملة ككل، وباختصار، إلى عمل البشر في كل ركن من أركان المعمورة.

الايطاليون الذين لقوا حتفهم بالكوليرا حين كانوا يعملون فى حفر قناة السويس، أو فى أنشوفي في نفق سانت جوثارد، والأمريكيون الذين لقوا حتفهم بإطلاق النار في الوقت الذي قاتلوا فيه من أجل إلغاء العبودية، ساعدوا على تطوير صناعة القطن في فرنسا وإنجلترا، فضلا عن عمل الفتيات الذين يقبعون في المصانع من مانشستر وروان، والمخترع الذي (بناء على اقتراح من بعض العمال) نجح في تحسين المغازل.

كيف، إذن، يمكن أن نقدر تقدير حصة كل منهم في الثروات التي أسهموا جميعا في جمعها؟

بالبحث في الإنتاج من وجهة النظر التحليلية العامة، فنحن لا يمكن أن نتمسك مع الجمعيون[1] بأن الأجر يجب و أن يتناسب مع عدد ساعات العمل التي قدمها العامل باعتباره الترتيب المثالي، أو حتى خطوة في الاتجاه الصحيح.

---

(1) يتمسك الجمعيون بمبدأ توزيع عائد الإنتاج حسب العمل، من كل حسب طاقته لكل حسب

يكفي للقول هنا، إن الفكرة الجمعية تظهر لنا بشكل لا يمكن الدفاع عنه في المجتمع الذى يعتبر أدوات العمل كتراث مشترك دون مناقشة ما إذا كان يتم قياس قيمة تبادل السلع بكمية العمل اللازمة لإنتاجها حقا في المجتمعات القائمة، وفقا لمبدأ سميث وريكاردو، الذى تابعهما ماركس فى خطاهما، وانطلاقا من هذا المبدأ، فإن مثل هذا المجتمع يجد نفسه مضطرا منذ البداية إلى التخلي عن كل أشكال الأجور، ونترك لأنفسنا الحرية في العودة إلى هذا الموضوع في وقت لاحق.

الفردانية المخففة للنظام الجمعى في توزيع العائد بالتأكيد لا يمكن أن تحافظ على نفسها جنبا إلى جنب مع الشيوعية جزئيا، فاجتماعية الأرض وأدوات الإنتاج شكل جديد من الملكية يتطلب شكلا جديدا من التعويض عن العمل. وبالتإلى الطريقة الجديدة للإنتاج لا يمكن أن توجد جنبا إلى جنب مع الأشكال القديمة للاستهلاك، أي أكثر مما يمكن أن تتكيف معها الأشكال القديمة للتنظيم السياسي.

ينشأ نظام الأجور من الملكية الفردية للأرض وأدوات العمل. وكان هذا شرط ضروري لتطور الإنتاج الرأسمالي، وسوف يموت معه، على الرغم من محاولة إخفاء ذلك بأنه طريقة ل"تقاسم الأرباح." فيجب للحيازة المشتركة لأدوات العمل أن تجلب معها بالضرورة التمتع المشترك بثمار العمل المشترك.

ونحن نتمسك أيضا بأن الشيوعية ليس أمر مرغوب فيه فحسب، بل أن المجتمعات الحالية، التي تأسست على الفردانية، سوف تندفع حتما في إتجاه الشيوعية. فمن الواضح أن تطوير الفردانية خلال القرون الثلاثة الماضية كان بفضل جهود الفرد لحماية نفسه من طغيان رأس المال والدولة. كان هذا ما تم تصوره لفترة، وأعلن أولئك الذين عبروا عن أفكاره، أنه يمكن للفرد أن يتجرد كليا من الدولة والمجتمع. وقالوا " إن الفرد بالوسائل المالية يستطيع شراء كل ما يحتاج." ولكن كان الفرد على المسلك الخطأ، وقد علمه التاريخ الحديث أن يدرك أنه بدون مساعدة من الكل، فأنه لا يستطيع أن يفعل أي شيء، على الرغم من خزائنه المليئة بالذهب.

في الواقع، جنبا إلى جنب مع هذا التيار من الفردية، نجد في كل التاريخ الحديث ميل، من جهة، للاحتفاظ بكل ما تبقى من الشيوعية جزئيا من

عمله.. وهم على عكس الشيوعيين المتمسكين بمبدأ توزيع عائد الإنتاج حسب الحاجة، من كل حسب طاقته لكل حسب حاجته.المترجم

العصور القديمة، ومن جهة أخرى، إلى ترسيخ المبدأ الشيوعي في آلاف التطورات في الحياة العصرية.

بمجرد أن نجح سكان البلدات في القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر في تحرير أنفسهم من سادتهم سواء الكنسيين أو الوضعيين، بدأت أعمالهم الكوميونية و استهلاكهم الجماعي في التوسع والتطور بسرعة. تشحن البلدة بنفسها السفن وتجهز البعثات التجارية، وليست الجهات الخاصة ولا الأفراد، ولا تعود الاستفادة الناشئة عن التجارة الخارجية على الأفراد ولكن يتم تقاسمها بين الجميع. واشترت البلدات أيضا المؤن لمواطنيها. وقد بقيت آثار هذه المؤسسات حتى القرن التاسع عشر، ويعتز الناس بذكرياتهم عنها في أساطيرهم على نحو ديني.

وقد أختفى كل ذلك الآن. لكن البلدة الريفية لا تزال تناضل للحفاظ على آخر آثار هذه الشيوعية، و تنجح في ذلك إلا عندما تلقي الدولة سيفها الثقيل في الميزان.

وتقوم في الوقت نفسه، منظمات جديدة على نفس المبدأ - لكل إنسان على حسب احتياجاته - ينبعث في ظل ألف شكل مختلف؛ لأنه بدون خميرة معينة من الشيوعية في المجتمعات الحالية لا يمكن أن توجد في المستقبل. على الرغم من التحول الأناني ضيق النظر لعقول البشر بسبب النظام التجاري، يظهر الميل نحو الشيوعية باستمرار، ويؤثر في أنشطتنا في مجموعة متنوعة من الطرق

الجسور، التي كان يتم فرض رسوم لاستخدامها في الأيام الخوالي، أصبحت الآن من الممتلكات العامة ومجانا للجميع؛ وهكذا هي حال في كل الطرق الرئيسية، إلا في الشرق، حيث ما زالت تفرض رسوم على المسافرين عن كل ميل من رحلتهم. المتاحف والمكتبات المجانية والمدارس المجانية، والوجبات المجانية للأطفال؛ والحدائق العامة والحدائق المفتوحة للجميع؛ والشوارع المعبدة والمضاءة، مجانا للجميع؛ و المياه الموردة إلى كل بيت دون مقياس أو قيد حيث تأسست كل هذه الترتيبات على مبدأ: "خذ ما تحتاجه."

وأدخلت خطوط الترام والسكك الحديدية بالفعل تذاكر الاشتراك الشهرية والسنوية، دون تحديد عدد الرحلات التي تقطع بها. وأدخلت في بلدين المجر وروسيا، على سككهما الحديدية نظام المناطق، الذي يسمح لحامله بالسفر خمسمائة أو ألف ميل بنفس السعر. انها ليست سوى خطوة قصيرة من حيث

أن الرسوم موحدة، تسود بالفعل في الخدمة البريدية. الميل ليس لقياس الاستهلاك الفردي في كل هذه الابتكارات، والآلاف الأخري. يريد رجل واحد السفر الألف ميل، وآخر خمسمائة. هذه هي المتطلبات الشخصية. ليس هناك سببا كافيا لأن أحد ينبغي أن يدفع ضعفي الآخر بسبب أن حاجته هي ضعف الأخر. تلك هي العلامات التي تظهر حتى الآن في مجتمعاتنا الفردية.

وعلاوة على ذلك، هناك ميل، وإن كان لا يزال ضعيفا، للنظر في احتياجات الفرد، بغض النظر عن ماضيه أو الخدمات الممكنة للمجتمع. بدأنا التفكير في المجتمع ككل، حيث يرتبط كل جزء منه بشكل وثيق جدا مع الآخرين بحيث أن الخدمات المقدمة إلى واحد هي خدمة يقدمها للجميع.

عندما تذهب إلى مكتبة عامة فى الواقع ليس المكتبة الوطنية في باريس، ولكن، قل، إلى المتحف البريطاني أو مكتبة برلين - لا يطلب منك أمين المكتبة إيضاح بالخدمات التي تقدمها للمجتمع قبل أن يتيح لك الكتاب، أو الخمسين كتابا التي تحتاجها، ويأتي لمساعدتك إذا كنت لا تعرف كيفية التعامل مع دليل المكتبة. يفتح المجتمع العلمي متاحفه، وحدائقه، ومكتبته، ومختبراته، ومناقشاته السنوية إلى كل عضو من أعضائه، سواء كان داروين، أو مبتدىء بسيط بواسطة أوراق اعتماد موحدة، وكثيرا جدا ما يفضل المساهمة فى العمل.

في سانت بطرسبرغ، إذا كنت تسعى لاختراع، تذهب إلى مختبر خاص أو ورشة عمل، حيث يتم إعطاءك مكان، مجهز بمنضدة نجارة، ومخرطة تشكيل، والأدوات العلمية وجميع الأدوات اللازمة ، شريطة فقط أن تعرف كيفية استخدامها. ويسمح لك بالعمل هناك طالما كنت تريد. هناك سوف تجد الأدوات اللازمة؛ وآخرون قد يجعلهم اهتمامهم بفكرتك، ينضمون إليك مع زملائهم الآخرين من العمال المهرة في مختلف الحرف، أو تظل تعمل وحدك إذا كنت تفضل ذلك. فى اختراع آلة تطير، أو ابتكار أي شيء، وهذا هو شأنك الخاص. وهذا يكفي لسعيك لتحقيق فكرة.

في نفس الطريق، هذا الرجل فى قارب نجاة لا يطلب أوراق اعتماد من طاقم السفينة المعرضة للغرق. إنه ينطلق بقاربه، ويخاطر بحياته في خضم موجات مستعرة، وأحيانا يموت، لينقذ جميع الرجال الذين لا يعرفهم حتى. ولما يحتاج

إلى معرفتهم؟ " أنهم بشر، وإنهم بحاجة لمساعداتنا و هذا يكفي، كي يضع حقهم في الإنقاذ! في اعتباره "

وهكذا نجد ميل شيوعي بارز، يظهر في جميع الجوانب، وفي مختلف المظاهر، في قلب المجتمعات الفردية من الناحية النظرية.

لنفترض إن أحدى مدننا العظيمة، الأنانية جدا في الأوقات العادية، تمت إصابتها غدا بمصيبة ما كأن تعرضت لحصار ما، على سبيل المثال، فسرعان ما ستقرر تلك المدينة الأنانية نفسها أن الاحتياجات الأولى بتلبيتها وإشباعها سوف تكون للأطفال والمسنين. دون أن يسأل أحد ما هي الخدمات التي قدموها، أو كان من المرجح أن يفعلونها للمجتمع، والذى عليه أولا وقبل كل شيء أن يقوم بإطعامهم. ثم يهتم بالمقاتلين من أجله، بغض النظر عن الشجاعة أو الذكاء الذي يبرزها كل منهم، وأن الآلاف من الرجال والنساء سوف ينافسون بعضهم البعض في الإخلاص غير الأناني للجرحى.

وجود هذا الاتجاه والشعور به لتلبية الاحتياجات الأكثر إلحاحا بحيث تكون مشبعة للجميع، و بما يتناسب مع زيادة القوة المنتجة للجنس البشرى. يصبح قوة فاعلة في كل مرة بمجرد أن تأتي فكرة عظيمة تطيح بانشغالات الحياة اليومية الرئيسية.

كيف يمكننا أن نشك، إذن، أنه عندما يتم وضع أدوات الإنتاج في خدمة الجميع، عندما يجري العمل على المبادئ الشيوعية، بينما يستعيد العمل مكانة الشرف في المجتمع، وينتج أكثر بكثير مما هو ضروري للجميع - كيف يمكننا أن نشك إلا أن هذه القوة (القوية جدا بالفعل) سوف توسع مجال عملها حتى تصبح مبدأ حكم للحياة الاجتماعية؟

وبمتابعة هذه المؤشرات، وبالنظر أيضا إلى الجانب العملي من مصادرة الملكية، والذي سنتحدث عنه في الفصل التالي، نحن مقتنعون بأن واجبنا الأول، عندما تكسر الثورة قوة دعم النظام الحالي، سيتم تحقيق الشيوعية دون تأخير.

ولكن الشيوعية بالنسبة لنا ليست شيوعية فورييه، والفلانتسيرز، ولا اشتراكية الدولة الألمانية. إنها الشيوعية الأناركية، - الشيوعية بدون حكومة - شيوعية الحرية. إنها تركيب من أثنين من المثل العليا التي ناضلت الإنسانية من أجلهما على مر العصور - الحرية الاقتصادية والحرية السياسية.

ثانيًا

في اتخاذنا "الأناركية" كعنوان لرؤيتنا للتنظيم السياسي نعطي التعبير فقط عن اتجاه آخر ملحوظ للتقدم البشري. كلما تطورت المجتمعات الأوروبية إلى نقطة معينة هزت نير السلطة واستبدلته بنظام يتأسس أكثر على مبادئ الحرية الفردية تقريبا. ويبين لنا التاريخ أن هذه الفترات من الثورة الجزئية أو العامة، عندما تتم الإطاحة بالحكومات، فإنها تكون كذلك فترات من التقدم المفاجئ على حد سواء في المجالات الاقتصادية والمجال الفكرى. حين جاء وقت منح حق التصويت العام للبلديات، التي أنتجها العمل الحر للنقابات الحرفية، التى لم يتم تجاوز آثارها. وحين جاء وقت صعود هبات الفلاحين كان من نتائجه حرية الإصلاح الدينى وتعرض البابوية للخطر. ثم مرة أخرى المجتمع الحر لفترة وجيزة، الذي أنشأه في الجانب الآخر من المحيط الأطلسي المتذمرون من العالم القديم.

وعلاوة على ذلك، لو لاحظنا التطور الحالي للشعوب المتحضرة سوف نرى بشكل لا لبس فيه غالبا، حركة تتجه للحد من نطاق عمل الحكومة أكثر من أي وقت مضى وأكثر وضوحا، وللسماح بالمزيد والمزيد من الحرية للفرد. وهذا التطور يجري أمام أعيننا، على الرغم من إعاقة أنقاض وقمامة المؤسسات القديمة والخرافات القديمة. وإنه مثل كل التطورات، ينتظر فقط ثورة للإطاحة بالعقبات القديمة التي تعيق الطريق، وإنها قد تجد نطاق حر في المجتمع المجدد.

بعد أن سعت البشرية لفترة طويلة دون جدوى لحل مشكلة غير قابلة للحل - مشكلة بناء الحكومة "والتي ينبغى أن تقيد الفرد بالطاعة بدون إلزام نفسه عن أن يكون خادما للمجتمع" يسعى البشر في محاولة أخيرة لتحرير أنفسهم من كل شكل من أشكال الحكومة ولتلبية حاجتهم للتنظيم عن طريق التعاقد الحر بين الأفراد والجماعات لنفس الهدف. يصبح استقلال كل وحدة أراضي صغيرة حاجة ملحة. حيث يحل الاتفاق المتبادل محل القانون، وتنظم في كل مكان المصالح الفردية بالنظر للكائن الاجتماعى المشترك.

أصبح اليوم محل التساؤل كل ما كان ينظر إليه ذات يوم بوصفه وظيفة الحكومة. ويتم ترتيب الأمور بشكل أكثر سهولة وأكثر إرضاءا دون تدخل من الدولة. وفي دراسة التقدم المحرز في هذا الاتجاه، انتهت بنا إلى استنتاج أن ميل

الجنس البشري هو تقليل التدخل الحكومي إلى الصفر. وفي الواقع، إلى إلغاء الدولة، التى تجسد الظلم والقمع والاحتكار.

يمكننا اللحاق بالفعل بلمحات من العالم حيث أصبحت الروابط التي تربط الأفراد لم تعد القوانين، ولكن العادات الاجتماعية - نتيجة للحاجة التي يشعر بها كل واحد منا للحصول على دعم، وتعاون، وتعاطف جيرانه.

بالتأكيد فكرة مجتمع دون دولة سوف تؤدي إلى العديد من الاعتراضات بما لا يقل عن ما تلقاه فكرة الاقتصاد السياسي للمجتمع دون رأس المال الخاص. كلنا تربينا من طفولتنا على اعتبار أن الدولة هي نوع من العناية الإلهية. كل تعليمنا، والتاريخ الروماني الذى تعلمناه في المدرسة، والقانون البيزنطي الذي درسناه في وقت لاحق تحت اسم القانون الروماني، ومختلف العلوم التي تدرس في الجامعات، عودتنا على أن نؤمن بالحكومة وبفضائل الدولة الإلهية.

فقد تم وضع وتعليم أنظمة كاملة من الفلسفة للحفاظ على هذه الخرافات. و تستند كل السياسة على هذا المبدأ؛ وكل سياسي، مهما كان لونه، يأتي إلى الأمام، ويقول للشعب: "أعطني السلطة، وأنا سوف يمكنى أن أحررك من كل المآسي التي تضغط بشدة عليك على حد سواء."

تسترشد جميع أعمالنا من المهد إلى اللحد بهذا المبدأ. أفتح أي كتاب في علم الاجتماع أو الفقه، وسوف تجد هناك الحكومة أو مؤسساتها، وأعمالها، تشغل حيز كبير جدا منها بحيث يمكن أن نعتقد أنه لا يوجد شيء خارج الحكومة وعالم رجال الدولة.

وتعلمنا الصحافة هذا بنفسها بكل طريقة يمكن تصورها. حيث تخصص أعمدة كاملة حول المناقشات البرلمانية والمؤامرات السياسية. فى حين لا تذكر حياة كل يوم للأمة الشاسعة إلا بالكاد في بضعة أسطر عند التعامل مع الموضوعات الاقتصادية، والقانون، أو في كشف "الحقائق الغامضة" المتعلقة بقضايا الشرطة. ويصعب عليك التفكير عند قراءة هذه الصحف، في العدد الذى لا يحصى من البشر أو فلتقل كل البشر الذين يكبرون ويموتون، والذين يعرفون الحزن والفرح، والذين يعملون ويستهلكون، ويفكرون ويبدعون خارج العدد قليل من الشخصيات المنتفخة التى يتم تضخيمها جدا بحيث أن الإنسانية تختفى فى ظلالها التى تتوسع بسبب جهلنا.

وبمجرد أن نمر على المواد المطبوعة. إلى الحياة نفسها، وبمجرد أن نرمي نظرة على المجتمع، فسوف نصدم بالجزء المتناهي الصغر الذي تقوم به الحكومة. وقد لاحظ بلزاك بالفعل كيف أن الملايين من الفلاحين ينفقون كل حياتهم دون أن يعرفوا شيئا عن الدولة، ويوفرون الضرائب الباهظة المجبرون على دفعها. تتم كل يوم الملايين من المعاملات دون تدخل الحكومة، و الأعظم منها - تلك التى فى التجارة و الصرافة - والتى تمارس بمثل هذه الطريقة بحيث أن الحكومة لا يمكن أن تكون مطالبة بالتدخل لو أن أيا من أحد طرفى التعاقد كان لديه العزم على عدم الرجوع لموافقتها. ويجب عليك التحدث إلى إنسان يفهم فى التجارة حيث سيقول لك إن الأعمال اليومية التى يتداولها التجار ستكون مستحيلة تماما إذا لم تقم على الثقة المتبادلة. هذه العادة بالإلتزام بالكلمة، وعدم الرغبة في أن تقل الثقة به، تكفي للحفاظ على هذا الصدق النسبي. فالرجل الذي لا يشعر بأدنى شعور بتأنيب الضمير بينما يسمم زبائنه بالعقاقير الضارة بتغطيتها بتسميات مبهرة، يعتقد انه ملزم بشرف بالحفاظ على ارتباطاته. الآن إذا كانت هذه الأخلاق النسبية قد تطورت في ظل الظروف الحالية، بينما الإثراء الشخصى هو الحافز الوحيد والهدف الوحيد، فهل يمكن أن نشك فى تقدمها السريع عندما يكون الاستيلاء على ثمار عمل الآخرين لن يكون أساس المجتمع؟

الحقيقة الصادمة الأخرى، والتي تميز جيلنا خاصة، ولا تزال تتحدث أكثر لصالح أفكارنا. هو الامتداد المستمر لمجال الشراكة بسبب اللجوء للمبادرة الخاصة، والتطوير الهائل للجماعات الحرة من جميع الأنواع. وسنناقش هذا أكثر بشكل مطول في الفصل المخصص للاتفاق الحر. ويكفي هنا أن نذكر أن وقائع كثيرة جدا وعرفية جدا بحيث يمكن أن تكون جوهر النصف الثاني من القرن التاسع عشر، على الرغم من أن الكتاب السياسيين والاشتراكيين يتجاهلونها، مفضلين دائما الحديث معنا عن وظائف الحكومة.

هذه المنظمات حرة ومتنوعة بشكل لا نهائي، وطبيعية جدا نتيجة لحضارتنا. أنها تتوسع بسرعة كبيرة وتجمع نفسها مع الكثير من السهولة. إنها نتيجة ضرورية لذلك النمو المستمر لاحتياجات الإنسان المتمدن. وأخيرا، هى مفيدة لاستبدال التدخل الحكومي بحيث يجب أن نعترف بهم عاملا له الأهمية المتزايدة في حياة المجتمعات. حتى ولو لم تنتشر بعد على كامل مظاهر الحياة، فلأنها تجد عقبة لا يمكن تخطيها في فقر العامل، وفي قوالب المجتمع الحالي، وفي

الملكيـة الخاصـة لـرأس المـال، وفي الدولـة. وبإلغـاء هـذه العقبـات، فسـوف نراهـم يغطـون المجـالات الهائلـة مـن نشـاط الإنسـان المتحـضر.

يقـدم تاريـخ السـنوات الخمسـين الماضيـة الدليـل الحـي عـلى أن الحكومـة التمثيليـة عاجـزة عـن القيـام بالمهـام التـى سـعينا كى تحققهـا. في الأيـام القادمـة في القـرن التاسـع عـشر سـيمكن القـول بأنهـا شـهدت فشـل البرلمانية.

و لكـن هـذا العجـز أصبـح واضحـا للجميـع؛ وأخطـاء البرلمانيـة، والرذائـل المتأصلـة في مبـدأ التمثيـل، بديهيـة، وعـدد قليـل مـن المفكريـن الذيـن قدمـوا دراسـة نقديـة لـه (جـون سـتيورات ميـل و ليفـر دايـز) لكنهـا لم تعطـي الشـكل الأدبي للاسـتياء الشـعبي. وليـس مـن الصعـب، في الواقـع، فهـم عبثيـة اختيـار عـدد قليـل مـن الرجـال والقـول لهـم، "شرعـوا القوانـين التـي تنظـم كافـة مجـالات النشـاط، عـلى الرغـم مـن عـدم معرفـة واحـد منكـم أي شيء عنهـا!"

نحـن بدأنـا نـرى أن الحكومـة بالأغلبيـات تعنـى التخـلي عـن جميـع شـؤون البـلاد إلى النـواب الذيـن يشـكلون الأغلبيـة في مجلـسي النـواب وفي اللجـان المنتخبـة. في كلمـة واحـدة، لهـؤلاء الذيـن ليـس لديهـم رأي خـاص بهـم. لكـن البـشر يسـعون ويجـدون بالفعـل أشـكال جديـدة.

الاتحـاد الـدولي للبريـد، ونقابـات السـكك الحديديـة، والجمعيـات العلميـة تعطينـا أمثلـة عـلى الحلـول المبنيـة عـلى الاتفـاق الحـر محـلا عـن القانـون وبـدلا منـه.

اليـوم، بينـما ترغـب الجماعـات المنتـشرة الآن بشـدة لتنظيـم نفسـها فى بعـض الوجـوه أو غيرهـا، فأنهـا لم تعـد تنتخـب برلمـان دولي مـن ممثلـين لـكل الفـروع. لا فحيـث أنـه ليـس مـن الممكـن أن يلتقـوا مبـاشرة أو يتوصلـوا إلى إتفـاق عـن طريـق المراسـلة، فإنـه يتـم إرسـال مندوبـين عنهـم ضليعـين في حـل هـذه المسـألة، ولعـلاج هـذه القضيـة مكلفـين بتعليـمات منهـم: "تسـعى للتوصـل إلى إتفـاق بشـأن هـذه القضيـة أو مثـل هـذه المسـألة، ومـن ثـم العـودة وليـس معهـم القانـون في جيبهـم، ولكـن معهـم اقـتراح الاتفـاق الـذي قـد يوافقـون عليـه أو لا يقبلـوه ".

هـذا هـو أسـلوب كـبرى الـشركات الصناعيـة والجمعيـات العلميـة، والجمعيـات مـن كل نـوع، والتـي تغطـي بالفعـل أوروبـا والولايـات المتحـدة. وعـلى هـذا الأسـاس يجـب أن تكـون وسـيلة مجتمـع متحـرر. في حـين نصـل إلى مصـادرة الملكيـة، فالمجتمـع لا يمكـن أن يسـتمر فى تنظيـم نفسـه عـلى مبـدأ التمثيـل البرلمـاني. المجتمـع القائـم عـلى

العبودية يتماشى مع الملكية المطلقة. والمجتمع القائم على نظام الأجور واستغلال الجماهير من قبل الرأسماليين يجد التعبير السياسي له في الحياة البرلمانية. لكن المجتمع الحر، والذى استعاد حيازة الميراث المشترك، يجب أن يسعى، إلى حرية تكوين الجماعات والاتحادات الحرة للجماعات، وهي منظمة جديدة، في وئام مع مرحلة اقتصادية جديدة من التاريخ.

كل مرحلة اقتصادية لديها المرحلة السياسية المقابلة لها، وسيكون من المستحيل لمس الملكية دون العثور في نفس الوقت على نمط جديد من الحياة السياسية.

الفصل الرابع

مصادرة الملكية

أولا

مما روى عن روتشيلد إنه حينما رأي أن ثورة 1848هددت بضياع ثروته، توصل إلى الحيلة التالية: قال "أنا على استعداد تام للقبول بأن ثروتي قد تراكمت على حساب الآخرين، لكن لو قسمت غدا بين الملايين من أوروبا، فإن حصة كل منهم سوف تصل فقط إلى خمس شلنات. جيد جدا، إذن، أتعهد بأن أدفع لكل فرد الخمس شلنات التى تخصه إذا طلبها منى".

وبموجب الإعلان، ووفاءا بوعده، شرع المليونير كالمعتاد في التنزه بهدوء في شوارع فرانكفورت. وطلب ثلاثة أو أربعة من المارة منه الخمسة شلنات، التي أعطاها لهم مع إبتسامة تهكمية. ونجحت حيلته، حيث مازالت عائلة المليونير تحوز ثرواته.

هذا مشابه كثيرا لنفس الطريقة التي تفكر بها الرؤوس اللامعة بين الطبقات البرجوازية عندما يقولون: "آه، إلغاء الملكية! نحن نعرف ماذا يعني ذلك. تأخذون كل المعاطف و تضعونها في كومة، وكل واحد حر في مساعدة نفسه، و الكفاح للحصول على الأفضل منها."

ولكن مثل هذه الدعابات ليس لها علاقة بالموضوع بقدر ما هى وقحة. فما نريده ليس إعادة توزيع المعاطف، على الرغم من أنه لا بد من القول أنه حتى في هذه الحالة، فإن الشعب المرتجف من البرد سوف لا يرى ميزة في ذلك. ولا نريد تقسيم ثروة عائلة روتشيلد بين الناس. ما نريده إذن هو ترتيب الأمور بحيث أن كل إنسان يولد في العالم ينبغى أن يضمن الفرصة في المقام الأول لتعلم مهنة مفيدة ما، وامتلاك المهارات اللازمة في ذلك. وتاليا لذلك، أنه يجب أن يكون حرا للعمل في مهنته دون أن يطلب إجازة للعمل من سيد أو مالك، ودون تسليم حصة الأسد من ما ينتجه إلى المالك أو الرأسمالي. أما بالنسبة للثروة التي تحتفظ بها عائلتى روتشيلد أو فاندربلد، فسوف تخدمنا لترتيب نظامنا للإنتاج الكوميونى.

اليوم الذي يمكن للعامل فيه أن يحرث فيه الأرض من دون أن يدفع نصف ما ينتجه لآخر، واليوم الذي تكون فيه الآلات اللازمة لإعداد التربة لزراعة المحاصيل الغنية تحت التصرف الحر للمزارعين، واليوم الذي يمكن فيه للعامل في المصنع أن ينتج للمجتمع وليس للمحتكر هو ذلك اليوم الذى سوف يجد فيه العمال الملابس والطعام، وسوف لن يكون هناك المزيد من عائلة روتشيلد أو أى مستغلين آخرين.

لا يمكن لأحد بعد ذلك أن يبيع قوة عمله مقابل أجر لا يمثل سوى جزء بسيط من ما ينتجه.

بينما يقول نقادنا "حتى الآن هذا جيد جدا، ولكن سيكون لديك عائلة روتشيلد القادمة من الخارج. ما سيكون عليه حالك لمنع أي شخص من جمع الملايين في الصين، ومن ثم يستوطن بينكم؟ و ماذا سوف تفعل لمنع مثل هذا الشخص من إحاطة نفسه بالأذناب والعبيد المأجورين، ومن استغلالهم وإثراء نفسه على حسابهم؟".

"لا يمكنك إحداث ثورة في جميع أنحاء العالم في نفس الوقت. حسنا، إذن، هل سوف تسعى إلى إنشاء الجمارك على الحدود لتفتيش جميع الذين يدخلون البلاد و مصادرة الأموال التي جلبوها معهم؟ بلا شك إن اطلاق رجال الشرطة الأناركيون النار على المسافرين سيكون مشهدا رائع "!

ولكـن في جـذور هـذه الحجـة هنـاك خطأ كبـير. فأولئـك الذيـن يتبنونهـا لا يتوقفون أبـدا للاستفسـار مـن أيـن تـأتي ثـروات الأغنيـاء. و مـع ذلـك، فمـن شـأن التفكـير قليـلا، أن يكفـي ليبـين لهـم أن تلـك الـثروات لهـا بداياتهـا في بـؤس الفقـراء. وعندمـا لـن يعـد هنـاك أي معوزيـن فلـن يكـون هنـاك أي أغنياء لاسـتغلالهم.

دعونـا نأخـذ لمحـة عـن لحظـة في العصـور الوسـطى، عندمـا بـدأت الـثروات الكبـيرة تتشكل .

يسـتولي البـارون الإقطاعـي بالقـوة في البدايـة عـلى الـوادي الخصيـب. ولكـن طالمـا الـوادي الخصيـب فـارغ مـن السـكان فالبـارون ليـس غنيـا بعـد. حيـث أرضـه لا تجلـب لـه أى شيء. ويصبـح كمـن يملـك عقـار في القمـر.

مـاذا عـلى بارونـنـا القيـام بـه لإثـراء نفسـه؟ انـه يتطلـع للفلاحـين - للفلاحـين الفقـراء!

إذا كان كل فـلاح مـزارع لديـه قطعـة مـن الأرض، وليـس عليهـا أى التزامـات بإيجـار وضرائـب، وإذا كان لديـه بالإضافـة إلى ذلـك الأدوات والأوراق الماليـة اللازمـة لممارسـة الزراعـة، فمـن الـذي سـوف يحـرث أراضيَ البـارون؟ في الوقـت الـذى يتعـين عـلى الجميـع الاعتنـاء بأنفسـهم. و لكـن هنـاك الآلاف مـن الأشـخاص المعوزيـن دمرتهـم الحـروب بـين البارونـات، أو الجفـاف، أو الأوبئـة. وليـس لديهـم الخيـل ولا المحـراث. (وكان الحديـد مكلفـا في العصـور الوسـطى، وعـدة الحصـان لا تـزال أكـثر تكلفـة مـن ذلـك.)

تحـاول كل هـذه الكائنـات المعدمـة تحسـين حالتهـا. وفي أحـد الأيـام يـرون عـلى الطريـق عـلى حـدود عقـار بارونـنـا لوحـة إعـلان تحـوى الإشـارة إلى بعـض المعلومـات تكفـى لفهمهـم أن العامـل الـذي عـلى اسـتعداد للاسـتقرار في هـذا العقـار سـوف يحصـل عـلى الأدوات والمـواد اللازمـة لبنـاء كوخـه وزراعـة حقلـه، وإن جـزء مـن الأرض سـوف يؤجـر لـه مجانـا لعـدد معـين مـن السـنوات. ويمثـل عـدد السـنوات المكتوبـة عـلى لوحـة الإعـلان بالعديـد مـن الصلبـان ، ويفهـم الفلاحـون معنـى هـذه الصلبـان.

لذلـك يتـسرب التعسـاء الفقـراء إلى أراضي البـارون، ويأخـذون في تمهيـد الطـرق، وتجفيـف الأهـوار وبنـاء القـرى. ويبـدأ البـارون بعـد تسـع سـنوات في فـرض الضرائـب عليهـم. ويزيـد مـن الإيجـار بعـد خمـس سـنوات. ثـم انـه يضاعفـه بعـد ذلـك. ويقبـل الفـلاح هـذه الـشروط الجديـدة لأنـه لا يمكـن أن يجـد أفضـل منهـا في أي مـكان آخـر.

وشيئا فشيئا، مع معونة القوانين التي وضعها البارونات، يصبح فقر الفلاحين مصدرا لثروة مالك الأرض. وليس فقط سيد الإقطاعية الذي يفترسهم بعده.

وتنقض مجموعة كاملة من المرابين على القرى، ويتضاعفون كلما زاد بؤس الفلاحين. هذه هي الطريقة التي سارت عليها الأمور في العصور الوسطى. وإنه لا يزال يوجد نفس الشيء حتى اليوم؟ إذا كانت هناك أراض خالية يمكن للفلاح أن يزرعها إذا شاء ذلك، فإنه سوف يدفع 50 جنية إسترليني "لخزينة الدوق" [2] كي يعطيه قصاصة من الورق؟ فهل يتحامل على نفسه فيقبل بعقد الإيجار الذي يتيح له ثلث المنتج؟ حيث يتأسس النظام الزراعي على الموافقة على إعطاء نصف محصوله لمالك الأرض؟

لكنه لا يملك شيئا. لذلك سوف يقبل أي شرط من الشروط، فقط إذا استطاع الحفاظ على الجسم والروح معا، في حين انه يحرث التربة ويثري المالك.

وذلك في القرن التاسع عشر، كما كان الحال في العصور الوسطى، فقر الفلاح هو مصدر الثروة لمالك الأرض.

ثانيا

يدين المالك بثرائه إلى فقر الفلاحين، و تأتي ثروة الرأسمالي من نفس المصدر.

لنأخذ حالة مواطن من الطبقة البرجوازية، الذي بطريقة ما أو بأخرى يجد نفسه يحوز 20000 جنية إسترليني. يمكنه، بطبيعة الحال، أن ينفق ماله بمعدل 2000 جنية إسترليني في السنة في مظاهر الروعة والفخامة التي لا معنى لها، وإنها مجرد شيء تافه في هذه الأيام. ولكن بعد ذلك لن يتبقى له شيء في نهاية العشر سنوات. لذلك، لكونه "شخص عملي"، ويفضل ان تبقى ثروته على حالها، وأن يكسب لنفسه دخل سنوي دافئ بالإضافة لذلك.

هذا أمر سهل جدا في مجتمعنا، لسبب وجيه أن البلدات والقرى تحتشد بالعمال الذين ليس لديهم المال الكافي للعيش لمدة شهر، أو حتى أسبوعين. حتى يبدأ مواطنا الثرى في إنشاء مصنع. وتسرع البنوك إلى إقراضه 20000 جنية استرليني أخرى، وخاصة إذا كان يتمتع بسمعة " رجل أعمال قادر". و مع هذا المبلغ المقترض يستطيع إدارة عمل من خمسمائة عامل.

إذا كان توفر بالتأكيد لدى الرجال والنساء في الجانب الآخر خبزهم اليومي، ويشبعون احتياجاتهم اليومية بالفعل، فمن الذى سوف يعمل من اجل رأسماليينا مقابل أجور تصل لنصف كرونة يوميا، في حين أن سلعة الشخص التى تنتج في اليوم تباع في السوق بكرونة أو أكثر؟

ونحن نعرف ذلك جيدا، فلسوء الحظ فالأحياء الفقيرة في مدننا والقرى المجاورة مليئة بالتعساء المحتاجين، الذين يطالبون بالخبز للأطفال. لذا، وقبل أن يشرف المصنع على الانتهاء بشكل جيد، يبادر العمال إلى تقديم أنفسهم للعمل. و بينما يكون المطلوب مائة فقط فهناك ثلاثمائة يحاصرون الأبواب، ومن الوقت الذى يبدأ معمله فى العمل، فإن المالك إذا كان لديه فقط قدرات تجارية متوسطة، فسوف يستخلص 40 جنية في السنة من عمل كل عامل يستخدمه.

وهو بالتالي قادر على الحصول على ثروة صغيرة دافئة. وإذا اختار تجارة مربحة، وكان له "مواهب الأعمال" فانه سرعان ما سوف يزيد دخله عن طريق مضاعفة عدد الرجال الذين يستغلهم.

عندما يصبح شخصية ذات أهمية. فإنه يستطيع أن يدعوا للعشاء الشخصيات الآخري ذات الأهمية - الأقطاب المحليين، وكبار الشخصيات المدنية والقانونية والسياسية. ويستطيع بماله الدخول فى صفقة "زواج مصلحة مالية". وبذلك يمكنه أن ينتقى ويختار أماكن أفضل لأولاده، وفي وقت لاحق ربما يمكنه الحصول على صفقة طيبة من الحكومة مثل عقد للجيش أو للشرطة. ويصبح ذهبه يولد ذهبا. حتى في نهاية المطاف حينما حتندلع حرب، أو حتى تسرى إشاعة حرب، أو تأتيه فرصة للمضاربة في البورصة، تتوفر له فرصة كبيرة للثراء.

و(كما أظهر هنري جورج في كتابه "المشاكل الاجتماعية") فإن تسعة أعشار الثروات الكبيرة التي تحققت في الولايات المتحدة كانت نتيجة للاحتيال على نطاق واسع، وبمساعدة من الدولة. في أوروبا، فإن تسعة أعشار من الثروات المحرزة فى ممالكنا وجمهورياتنا لها نفس المنشأ. فليست هناك طريقتان لتصبح مليونيرا.

هذا هو سر الحصول على الثروة؛ العثور على الجوعى والمعوزين، لتدفع لهم نصف كرونة، وتجعلهم ينتجون ما قيمته خمسة شلنات في اليوم، جمع ثروة من

خلال هذه الوسائل، ومن ثم زيادتها بسبب ضربة حظ ما ، مصنوعة بمساعدة من الدولة.

نحتاج إلى الحديث عن الثروات الصغيرة التي يعزوها الاقتصاديون إلى التدبر والتدبير، بينما نعرف أن مجرد التوفير في حد ذاته لا يجلب شيئا، طالما البنس المدخر لا يستخدم لاستغلال الجوعى؟

خذ إسكافي ، على سبيل المثال. سلم بأن عمله يدر عليه دخلا جيدا، وأن لديه الكثير من الزبائن، وإنه يرسم خطط ليحقق ما بين ثمانية عشر بنسا لشلنين في اليوم، وإنه بفضل التدبير الصارم يحقق ربما جنيهين في الشهر.

سلم بأن إسكافينا لن يمرض أبدا، وإنه نصف جائع على الدوام، ونظرا لحبه التوفير. فإنه لم يتزوج أو ليس لديه أطفال. حتى انه لا يموت من الاستهلاك؛ لتفترض أي شيء وكل شيء تفضله!

حسنا، أنه في سن الخمسين لن يكون حتى قد وفر 800 جنية، وإنه لن يكون له ما يكفي للعيش أثناء شيخوخته، مثلما كان الحال عندما كان يعمل في الماضي. بالتأكيد هذه ليست الطريقة التي تحقق الثروات الكبيرة. ولكن لنفترض أن إسكافينا، بمجرد أن يوفر عدد قليل من البنسات، يودعهم في بنك الادخار كي تزداد، ويمنحها بنك الادخار للرأسمالي الذي هو على وشك "توظيف العمالة"، أي لاستغلال الفقراء. ثم يتخذ إسكافينا صبي متدرب، طفل لبائس فقير، يظن نفسه محظوظا لو في غضون خمس سنوات تعلم ابنه المهنة، وأصبح قادرا على كسب رزقه.

وفي الوقت نفسه لا يخسر إسكافينا بسببه، ولو كانت المهنة منتعشة فسرعان ما سوف يتخذ الثاني، ثم الصبي المتدرب الثالث. وبواسطتهم سوف يستغرق عامين أو ثلاثة، و هو عنده رجال تعساء فقراء يعملون، شاكرين الحصول على نصف كرونة يوميا لعمل يكون بقيمة خمسة شلنات، وإذا كان إسكافينا "محظوظ"، وهذا يعني، لو كان حريصا بما فيه الكفاية، ويعمل بما فيه الكفاية، فإن رجاله العمال والمتدربين يحققون له ما يقرب من جنيه واحد يوميا، فوق كل نتاج تعبه الخاص. إنه يمكن بعد ذلك توسيع عمله. وسوف يصبح غنيا تدريجيا، ولم يعد لديه أي حاجة إلى أن يحرم نفسه من ضرورات الحياة. وسوف يترك ثروة صغيرة دافئة لإبنه.

وهذا هو ما يسميه الناس "كونه اقتصاديا، ومقتصدا، ولديه عادات معتدلة". وفي حقيقته فإنه يطحن وجه الفقراء ليس أكثر ولا أقل.

تبدو التجارة استثناء لهذه القاعدة. مثل "هذا الرجل"، كما قيل لنا، الذى "يشتري الشاي من الصين، ويجلبه إلى فرنسا، ويحقق ربح ثلاثين في المائة زيادة على إنفاقه الأصلي. ولا يستغل أحد ".

ومع ذلك فإنها قضية مماثلة. لو كان تاجرنا طيب وجيد قد حمل بالاته على ظهره،! كما كان الوضع في العصور الوسطى المبكرة حيث بالضبط كانت تجري التجارة الخارجية، وحيث لم يتم التوصل إلى أي واحدة من هذه الارتفاعات المسببة للدوار للثروة كما هو الحال في أيامنا هذه. حيث ربح عدد قليل جدا بصعوبة جدا تلك العملات الذهبية التي حصل عليها التاجر في العصور الوسطى من رحلة طويلة وخطيرة. إنه كان أقل محبة للمال من عطشه للسفر والمغامرة التي ألهمت تعهداته.

في الوقت الحاضر فإن هذه الطريقة أكثر بساطة. والتاجر الذي لديه بعض المال ليس من الضروري أن يغادر مكتبه ليصبح ثريا. إنه يرسل برقية إلى وكيل يقول له أن يشترى مائة طن من الشاي؛ ويشحن السفن، وفي غضون بضعة أسابيع، أو في غضون ثلاثة أشهر إذا كانت السفن الشراعية سوف تجلب له شحنته. حتى أنه لا يتعرض لمخاطر الرحلة، من أجل الشاي وسفينته المؤمن عليهما، وإذا كان قد أنفق أربعة آلاف جنيه فإنه سوف يحصل على أكثر من خمسة آلاف. وهذا ما يقال فى حالة لو لم يكن قد حاول المضاربة في بعض السلع الجديدة، ففي هذه الحالة يدخل فى مغامرة إما لمضاعفة ثروته أو لخسارتها تماما.

الآن، كيف يمكن أن تجد رجال على استعداد لعبور البحر، وللسفر إلى الصين وما إلى وراء ذلك، لتحمل المشاق، والكد العبودي، وللمخاطرة بحياتهم من أجل مبلغ زهيد بائس؟ كيف يمكن أن يجد عمال حوض السفن يكونون على استعداد لتحميل و تفريغ سفنه مقابل "أجور تحميهم من المجاعة"؟ كيف؟ لأنهم محتاجون ويتضورون جوعا. إنتقل إلى الموانئ، وقم بزيارة محلات وحانات أحواض السفن على أرصفة الموانى التجارية، وإلقى نظرة على هؤلاء الرجال الذين جاءوا لتوظيف أنفسهم، وهم يتزاحمون على مدار بوابات أحواض السفن، ويحاصرونها من مطلع الفجر، على أمل أن يسمح لهم بالعمل على المراكب. أنظر إلى هؤلاء

البحارة، السعداء بالتعاقد للقيام برحلة طويلة، بعد أسابيع و أشهر من الانتظار. ويذهبون طوال حياتهم الطويلة إلى البحر في السفن، ويبحرون إلى بلدان أخرى، ولا يزالوا، على هذا الحال حتى يلقون حتفهم في موجات البحر الهائج.

أدخل إلى منازلهم، و أنظر إلى زوجاتهم وأطفالهم الذين يرتدون الخرق، ولا واحد منهم يعرف كيف ومتى يعود والده، وسيكون لديك الإجابة على السؤال. أمثلة مضاعفة، تختار منهم كيفما تريد، أنظر في أصل كل الثروات، الكبيرة أو الصغيرة، سواء كانت ناشئة عن التجارة، أو المالية، أو الصناعة، أو الأرض. وسوف تجد أن ينابيع ثروة الأغنياء من فقر الفقراء في كل مكان. هذا هو السبب في أن المجتمع الأناركي لا يخشى قدوم روتشيلد الذي سوف يستقر في وسطها. إذا أن كل فرد من أفراد المجتمع يعلم أنه بعد بضع ساعات من الكد الإنتاجي سيكون لديه الحق في كل الملذات التى تكفلها الحضارة، وتلك المصادر الأعمق من التمتع التي يمنحها الفن والعلم للجميع الذي يبحث عنها، ومن ثم لن يبيع قوته مقابل أجر يحميه من الجوع. لا أحد سوف يتطوع للعمل من أجل إثراء روتشيلد الخاص. وستكون جنيهاته الذهبية مثل قطع عديدة من المعادن فقط- مفيدة لأغراض مختلفة، ولكن غير قادرة على أن تنمو أكثر في قيمتها.

في الإجابة على الاعتراض المذكور أعلاه لدينا في الوقت نفسه إشارة إلى نطاق نزع الملكية. بأنه يجب أن ينطبق على كل ما يمكن أي إنسان من أن يتملك نتاج تعب الآخرين سواء كان ممول مإلى أو مالك مصنع أو تاجر أو مؤجر عقار. فصيغتنا بسيطة و شاملة.

نحن لا نريد سرقة معطف أي شخص، ولكن نود أن نعطي للعمال كل تلك الأشياء التى حرمتهم منها الرأسمالية والدولة، مما كان يجعلهم يقعوا فريسة سهلة للاستغلال و الإذلال والقمع، و سوف نبذل قصارى جهدنا كى لا يفتقر أى شخص لأى شيء يحتاجه، وأنه لا يجب أن يجبر أى إنسان لبيع قوة عمله للحصول على الكفاف لنفسه ولأطفاله. هذا هو ما نعنيه عندما نتحدث عن إلغاء الملكية. هذا سيكون واجبنا خلال الثورة، والتى نتطلع لمجيئها، ليس لمئتى سنة من الآن، ولكنها سرعان ما سوف تأتى في وقت قريب جدا.

ثالثًا

تجد أفكار الأناركية بشكل عام، وإلغاء الملكية على وجه الخصوص التعاطف معها بين الرجال ذوى الشخصية المستقلة، وأولئك الذين لا يعتبرون الكسل مثلهم الأعلى أكثر بكثير من ما نميل إلى تخيله. "ومع ذلك،" فلدينا أصدقاء في كثير من الأحيان يحذروننا، "انتبهوا لا تذهبوا بعيدا جدا! لا يمكنكم تغيير الإنسانية في يوم واحد، لذلك لا تكونوا في عجلة كبيرة جدا من أمركم لتحقيق مخططكم بنزع الملكية والأناركية ، وإلا أنكم سوف تقعوا في خطر عدم تحقيق أي نتيجة دائمة ".

إلا أن ما نخشاه الآن فيما يتعلق بنزع الملكية هو بالضبط عكس ذلك. نحن خائفون من ألا نذهب بعيدا بما فيه الكفاية، فتنفيذ نزع الملكية على نطاق صغير جدا لن يكون دائما. لن يكون دافعنا الثوري مقيد في منتصف مهمته، لاستنفاد نفسه بأنصاف الحلول، التي من شأنها أن تكون خالية المحتوى، وبينما تنتج الارتباك الكبير في المجتمع، وتوقف أنشطته المعتادة، فلن يكون لها أي قوة حيوية حيث من شأنها أن تنشر فقط السخط العام، وحتما سوف تمهد الطريق لانتصار الردة.

هناك، في الواقع، في الدولة الحديثة علاقات راسخة الجذور و التي من المستحيل عمليا تعديلها إذا هاجمنا أحداها فقط في التفاصيل. هناك عجلات داخل عجلات في تنظيمنا الاقتصادي تشكل آلية معقدة جدا ومترابطة بحيث إنه لا يوجد جزء واحد يمكن تعديله من دون إرباك الكل. ويتضح ذلك بسرعة عند محاولة مصادرة أي شيء.

دعونا نفترض أنه في بلد معين تم تنفيذ شكل محدود من المصادرة. على سبيل المثال، ، كما أقترح أكثر من مرة، تشريك ملكية ملاك الكبار الأراضى فقط، بينما يتم ترك المصانع لملاكها. أو أنه في مدينة معينة، يتم استيلاء البلدية على ملكية معينة، ولكن يترك كل شيء آخر كملكية خاصة. أو أنه في بعض المراكز الصناعية، تم تأميم المصانع، ولكن لم يتم ادخال الأرض معها فى التأميم.

ستكون النتيجة التالية نفسها في كل حالة على حدة هى تحطيم رهيب فى النظام الصناعي، دون وسيلة لإعادة تنظيمه على خطوط جديدة. سوف تواجه الصناعة والتمويل طريق مسدود، حيث لا يمكن تحقيق العودة إلى المبادئ الأولى للعدالة، وسوف يجد المجتمع نفسه عاجزا عن بناء كل متناسق.

وإذا أمكـن للزراعـة أن تحـرر نفسـها مـن كبـار مـلاك الأراضي، في حـين لا تـزال الصناعـة تحـت قيـد اسـتعباد الرأسـمالي، والتاجـر، والمـصرفي، فلـن يتـم إنجـاز أي شيء. حيـث يعـاني الفـلاح إلى اليـوم ليـس فقـط مـن الحاجـة إلى دفـع الإيجـار إلى المالـك. بـل إنـه مظلـوم مـن كل المـلاك الآخريـن بسـبب الظـروف الحاليـة. يتـم اسـتغلاله عـلى يـد التاجـر، الـذي يجعلـه يدفـع نصـف كرونـة لمجرفـة في حـين إنهـا لا تسـتحق في الحقيقـة أكـثر مـن سـت بنسـات بقيمتهـا الحقيقيـة، والمقاسـة بجهـد العمـل المنفـق لإنتاجهـا. يتـم فـرض الضريبـة عليـه مـن قبـل الدولـة، والتـي لا يمكنهـا الاسـتغناء عـن التسلسـل الهرمـي الهائـل للمسـؤولين فيهـا، وتجـد إنـه مـن الـضروري لهـا الحفـاظ عـلى جيـش باهـظ النفقـات، لأن التجـار مـن جميـع الـدول يقاتلـون عـلى الـدوام مـن أجـل الأسـواق، وفي أي يـوم يمكـن أن تقـوم منافسـة بسـيطة مـن أجـل الاسـتغلال في جـزء مـا مـن آسـيا أو مـن أفريقيـا قـد تـؤدي إلى حـرب بـين جيـوش المتنافسـين.

ثـم مـرة أخـرى تعـاني الزراعـة مـن هجـرة السـكان مـن الأماكـن الريفيـة: حيـث ينجـذب الشـباب إلى المـدن الصناعيـة الكبـيرة بغوايـة الأجـور العاليـة التـي تدفـع مؤقتـا مـن قبـل منتجـي المـواد الفاخـرة، أو بسـبب عوامـل الجـذب لحيـاة أكـثر إثـارة. حيـث تتجمـع كل هـذه العوامـل في الوقـت الحـاضر للعمـل ضـد الزراعـة، الحمايـة المصطنعـة للصناعـة، والاسـتغلال الصناعـي للبلـدان الأجنبيـة، وانتشـار توظيـف الأسـهم، وصعوبـة تحسـين التربـة، وقلـة ماكينـات الإنتـاج ، فيعصـف بالزراعـة ليـس فقـط عـن طريـق الإيجـارات، ولكـن بمجمـع كامـل للأوضـاع في المجتمـع القائـم عـلى الاسـتغلال. وهكـذا، حتـى إذا تـم تحقيـق مصـادرة الأراضي، وأصبـح كل واحـد حـر في فلاحـة الأرض وزراعتهـا عـلى أفضـل وجـه، مـن دون دفـع الإيجـار، وعـلى الرغـم مـن أنـه ينبغـي أن تتمتـع الزراعـة، بازدهـار لحظـي، والـذي يمكـن بـأي حـال مـن الأحـوال أن يكـون أمـرا مفروغـا منـه، في تلـك الحالـة، إلا أنـه سرعـان مـا سـوف تسـقط مـرة أخـرى في المسـتنقع الـذي تجـد نفسـها فيـه اليـوم. حيـث ان كل شيء يجـب أن يبـدأ مـن جديـد، مـع زيـادة الصعوبـات.

وينطبـق الأمـر نفسـه عـلى الصناعـة. لنأخـذ حالـة العكـس: فبـدلا مـن تحويـل العـمال الزراعيـين إلى الفلاحـين المـلاك، أجعـل المصانـع لأولئـك الذيـن يعملـون فيهـا. إلغـاء المـلاك الصناعيـين، ولكـن أتـرك لمالـك الأرض أرضـه، وللمـصرفي مالـه، وللتاجـر أوراقـه الماليـة، وحافـظ عـلى سرب مـن الكسـالى الذيـن يعيشـون مـن تعـب العـمال، وألـف واحـد مـن الوسـطاء، والدولـة مـع مسـؤوليها العديديـن، وسـوف تصـل الصناعـة

إلى طريق مسدود. فسوف لن تعثر على أي مشترين لمنتجاتها من جماهير الفلاحين الذين سوف يظلون كما هم فقراء؛ ولن يكون لديها ما يكفي من المواد الخام، وليس لديها القدرة على تصدير منتجاتها للخارج، وذلك بسبب توقف التجارة جزئيا، لأن الصناعات تنتشر في جميع أنحاء العالم، ولأنه ما زال أمامها من العثرات أكثر من ذلك فإن الشركات المصنعة سوف تشعر بعدم القدرة على الاستمرار، وسوف تطرد الآلاف من العمال إلى الشوارع. ومن شأن هذه الحشود الجائعة أن تكون جاهزة وعلى استعداد أن تتقدم إلى المتآمر الأول على الثورة الذي جاء لاستغلالها. وإنها سوف توافق حتى للعودة إلى العبودية القديمة، إذا كان ذلك تحت وعده لها بالعمل.

أو، أخيرا، افترض إنك طردت أصحاب الأراضي، وقمت بتسليم المعامل والمصانع للعمال، دون التدخل في سرب الوسطاء الذين يقومون باستنزاف المنتج من شركاتنا الصناعية، ويضاربون في الذرة والدقيق واللحوم والبقالة، في مراكزنا التجارية الكبيرة. فسرعان ما سوف يتم تقييد التبادل، وسوف تترك المدن الكبرى دون الخبز، ولا يجد الآخرون مشترين لموادهم الفخمة، عندئذ فإن الثورة المضادة الرهيبة سوف تأخذ في الاندلاع، وسوف تدوس قوى الثورة المضادة في طريقها على القتلى، وتجتاح المدن والقرى بالطلقات والقذائف. وسوف تكون هناك المحظورات، والذعر، والهروب، وتأتي كل أهوال المقصلة، كما حدث في فرنسا في أعوام 1815، و1848، و1871.

كل شيء مترابط في المجتمع المتحضر. ومن ثم فمن المستحيل إصلاح أي شيء واحد دون تغيير الكل. لذلك، فإنه في يوم ضربنا الملكية الخاصة، لأي من أشكالها، الإقليمية أو الصناعية، سوف نكون ملزمين بمهاجمة كل منها. وسوف يؤدي نجاح الثورة إلى الطلب عليها.

إلى جانب ذلك، فنحن لا يمكن، إذا أقنعنا انفسنا بمصادرة جزئية للملكية. وبمجرد أن هززنا مبدأ "الحق الإلهي للملكية"، لا يمكن لأي قدر من التنظير أن يمنعنا من الإطاحة بها، هنا من قبل عبيد الكدح في الأرض، وهناك من عبيد الآله في المصنع.

لو اقتصرت مدينة كبيرة، كباريس على سبيل المثال، على الاستيلاء على البيوت السكنية أو المصانع، فإنها سوف تضطر أيضا إلى إنكار حق المصرفيين في فرض

ضريبـة عـلى البلديـة، تبلـغ مليـونى جنيـة اسـترلينى في شـكل فائـدة عـلى القـروض السـابقة. وإن المدينـة العظيمـة سـوف تحـد نفسـها ملزمـة بالتواصـل مـع المناطـق الريفيـة، وحتـما سـوف تسـتخدم نفوذهـا لحـث الفلاحـين لتحريـر أنفسـهم مـن مالـك الأرض. وسـوف يكـون مـن الـضروري تأميـم السـكك الحديديـة، حيـث كي يحصـل المواطنـون عـلى الطعـام والعمـل، فإنـه لابـد مـن منـع إهـدار الإمـدادات، والوقايـة مـن احتـكار المضاربـين عـلى الـذرة ، مثـل أولئـك الذيـن سـقطوا فريسـة لهـم فى كومونـة عـام 1793، ومـن ثـم فإنـه سيتعين عليهـا أن تضـع في أيـدي المدينـة عمليـة تخزيـن مسـتودعاتها بالسـلع، وتقسـيم المنتجـات.

ومـع ذلـك، فإنـه لا يـزال هنـاك بعـض الاشـتراكيين يسـعون إلى إقامـة تمييـز. وكـما يقولـون، "بالطبـع يجـب مصـادرة الأرض، والمناجـم، والمطاحـن، والمصانع ، فهـذه أدوات الإنتـاج، أنـه هـو الحـق الـذى ينبغـي أن ننظـر لـه كممتلـكات عامـة. ويضيفـون لكـن مـواد الاسـتهلاك مثـل المـواد الغذائيـة والملابـس والمسـاكن فينبغـي أن تظـل ملكيـة خاصة".

وقـد توصـل الحـس الشـعبي السـليم إلى أفضـل مـن هـذا التمييـز الدقيـق. فنحـن لسـنا همـج مـن الذيـن يمكنهـم أن يعيشـوا في الغابـة، دون مـأوى آخـر غـير فـروع الأشـجار. حيـث يحتـاج الرجـل المتحـضر إلى السـقف، والغرفـة، والموقـد، والسريـر. صحيـح أن السريـر، والغرفـة، والمنـزل هـو موطـن الكسـل غـير المنتـج. ولكـن الغرفـة الدافئـة والمضـاءة بشـكل صحيـح، بالنسـبة للعامـل مـا هـى سـوى آلـة للإنتـاج بقـدر مـا هـو آلـة للعمـل. فهـذا هـو المـكان الـذي تجمـع فيـه الأعصـاب والأوتـار المنهـارة قواهـا لعمـل الغـد. فراحـة العامـل في غرفتـه إصـلاح يومـي للآلـة البشريـة.

تنطبـق نفـس الحجـة عـلى الغـذاء بشـكل أكـثر وضوحـا. ان مـا يسـميه الاقتصاديون بينهـم، و نتكلـم بشـأنه لا يـكاد أن ينكـر أن الفحـم المحـترق في الآلـة ضروري للإنتـاج كالمـادة الأوليـة نفسـها. فكيـف بالغـذاء، والـذي بدونـه لا يمكـن للآلـة البشريـة أن تفعـل أي عمـل، أو يتـم اسـتبعاده مـن قائمـة الأمـور التـي لا غنـى عنهـا للمنتـج؟ هـل يمكـن أن يكـون هـذا مـن بقايـا الميتافيزيقيـا الدينيـة؟ عنـد الغنـي الغـذاء في الواقـع مسـألة تـرف، ولكـن الطعـام بالنسـبة للعامـل هـو مجـرد جـزء لا يتجـزأ مـن الإنتـاج كالوقـود الـذى يحرقـه المحـرك البخـارى.

الشيء نفسه فيما يتعلق بالملابس. لو كان الاقتصاديون الذين رسموا هذا التمييز بين الموضوعين الإنتاج والاستهلاك يرتدون أزياء قبائل غينيا الجديدة نفسها، يمكن أن نفهم اعتراضهم. ولكن الرجال الذين لا يمكن أن يكتبوا كلمة واحدة بدون قميص على أجسادهم، ليسوا في وضع يمكنهم من رسْم هذا الخط المتشدد والسريع بين قميصهم وقلمهم. وعلى رغم العباءات الأنيقة لسيداتهم التي يجب أن تؤكد مرتبتهم ككائنات فخمة، مع ذلك هناك كمية معينة من الكتان والقطن، والاشياء الصوفية التي هي ضرورة من ضروريات الحياة للمنتج. القميص والحذاء الذي يذهب به إلى عمله، وقبعته وسترته التى يرتديها بعد الكدح اليومى، وهي أكثر من ضرورية بالنسبة إليه مثل المطرقة على السندان.

سواء أحببنا ذلك أم لا، فهذا هو ما يقصده الناس من الثورة. ففي أقرب وقت وبمجرد أن يزيحوا الحكومة، فإنهم سوف يسعون في المقام الأول إلى أن يضمنوا لأنفسهم الغذاء الكافي والملابس والمساكن اللائقة بدون الاضطرار لدفع الإيجار للرأسمالي.

وسوف يكون الناس على حق. وسوف تكون هناك أساليب للشعب أكثر من ذلك بكثير وفقا للعلم من تلك التي يستند عليها الاقتصاديون الذين يستمدون الكثير من الفروق بين أدوات الإنتاج ومواد الاستهلاك. ويفهم الناس أن هذه مجرد النقطة التى يجب أن تبدأ بها الثورة. وسوف يرسون أسس علم الاقتصاد الوحيد الذي يستحق اسم العلم الذي يمكن أن يطلق عليه "دراسة الاحتياجات الإنسانية، والوسائل الاقتصادية للوفاء بها."

الفصل الخامس

الطعام

أولًا

إذا كانت الثورة القادمة ثورة اجتماعية فإنها سوف تتميز عن جميع الثورات السابقة ليس فقط في الهدف، ولكن أيضا من خلال وسائلها. فالوصول إلى نهاية جديدة، يتطلب وسائل جديدة.

تختلف الحركات الشعبية الثلاث الكبرى التي شهدناها في فرنسا خلال السنوات المائة الأخيرة عن بعضها البعض في نواح كثيرة، ولكن لديها جميعا ميزة مشتركة واحدة.

في كل حالة سعى الناس فيها إلى إسقاط النظام القديم، وضحوا بالدم من قلوبهم للقضيّة. ثم، بعد أن تحملوا العبء الأكبر من المعركة، غرقوا مرة أخرى في نفس البؤس القديم. تتألف الحكومة، من رجال أكثر أو أقل نزاهة، شكلوا وأخذوا في تنظيم الجمهورية في عام 1793، وحق العمل في عام 1848، والكومونة الحرة في عام 1871. وانطلاقا من أفكار اليعاقبة[1]، شغلت هذه الحكومة نفسها

(1) اليعاقبة اطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى دير القديس يعقوب، الذي اعتادوا الاجتماع فيه، دافعوا خلالها عن الغاء النظام الملكي في فرنسا مطالبين بنظام حكم جمهوري يحقق المساواة

في المقام الأول بالمسائل السياسية، مثل إعادة تنظيم الجهاز الحكومي، وتطهير الإدارة، والفصل بين الكنيسة والدولة، واقرار الحريات المدنية، ومثل هذه الأمور. صحيح حافظت على أندية العمال للمراقبة على أعضاء الحكومة الجديدة، والتي غالبا ما فرضت أفكارها عليها. ولكن حتى في هذه الأندية، سواء ما كان القادة ينتمون إلى الطبقة البرجوازية أو إلى الطبقات العاملة، فقد كانت دائما أفكار الطبقة البرجوازية هي التي كانت سائدة فيما بينهم. وناقشوا المسائل السياسية المختلفة مطولا، ولكنهم نسوا مناقشة مسألة الخبز.

نشأت الأفكار العظيمة في مثل هذه الأوقات، وانتقلت تلك الأفكار إلى العالم، وقيلت الكلمات التي لا تزال تثير قلوبنا، في تلك الفترة طوال قرن من الزمان. ولكن الناس كانوا يموتون من الجوع في الأحياء الفقيرة.

تحولت الصناعة منذ البداية المبكرة للثورة حتميا إلى التوقف، وأهتزت دورة الإنتاج، وأخفى رأس المال نفسه. لا يخشى السيد صاحب العمل شيئا، وهو مستعد لتحقيق أرباحه في مثل هذه الأوقات، اذا كان في الواقع لم يضارب مستفيدا من انتشار البؤس حوله. ولكن تم تخفيض مستوى معيشة الأجير لمجرد العيش من اليد إلى الفم. وهو يبحث عن باب للنجاة.

وظهرت المجاعة في البلاد، تلك المجاعة التي نادرا ما شوهدت في ظل النظام القديم.

"يجعلنا الجيرونديون[1] نتضور جوعا!" كانت هذه هي الصرخة في أحياء العمال في عام 1793، وعند ذلك تم إعدام الجيرونديون بالمقصلة، وأعطيت الصلاحيات

والعدل بين الناس. اعتبر هذا النادي بمثابة بذرة لنشوء الاحزاب، عند تأسيسه بتاريخ: 10 غشت 1790، وكان يتألف هذا النادي من 152 عضو شكل كتلة داخل الجمعية التأسيسية خلال الثورة الفرنسية، انتخب ماكسيميليان روبسبير رئيسا له، وعقب سقوط الملكية في فرنسا عام 1792 انتخب رئيسه أول مندوب لباريس للمؤتمر القومي. في عصر الارهاب تعرض زعيم اليعاقبة روبسبير ومائة من اعضاء النادي للاعدام بالمقصلة. المترجم

(1) أعضاء حزب سياسي نشأ أثناء الثورة الفرنسية . وجاءت تسمية الحزب بهذا الاسم لأن معظم القادة المُنظمين له ينتمون لمقاطعة جيروند . والجيرونديون جمهوريون ، ويمثلون البراجوزية (الطبقة المتوسطة) ، ويؤمنون بالملكية الخاصة . ويخشون من سيطرة نوّاب باريس على فرنسا كلها ، ومن أشهر أعضاء نوّاب باريس : . كما كانوا يفضّلون التّخلص من الملكية في فرنسا وإنشاء جمهورية فدرالية . . جاء الجيرونديون إلى الحكم بناء على دستور الجمهورية عام 1791م . وفي شهر يونيو من

الكاملة ل"الجبل"[1] وللكومونة. وشغلت الكومونة نفسها بالفعل بمسألة الخبز، وبذلت جهودا بطولية لتغذية سكان باريس. وأنشأت البلديات في ليون، وفوش، وكولوت دي هيربو صوامع الحبوب، ولكن المبالغ التي كانت تنفقها على ملئها ليست كافية بشكل يرثى له. وحققت المجالس البلدية جهودا كبيرة لشراء الذرة. وشنقوا الخبازين الذين كدسوا الدقيق في مخازنهم، ولكن ما زال الشعب يفتقر للخبز.

إنقضوا عندئذ على المتآمرين الملكيين ووضعوا اللوم على بابهم. وأعدموا بالمقصلة في إثني عشر أو خمسة عشر يوما الخدم والنبلاء على حد سواء، وذهب الخدم بشكل خاص، من أجل النبلاء إلى Coblentz حيث تجمعوا هناك. ولكن حتى إذا كانوا أعدموا بالمقصلة مائة من حاملي لقب الدوق أو لقب الكونت كل يوم، فإن الوضع ظل ميئوسا منه على حد سواء.

نحن نريد فقط أن ننمو. فكيف يمكن للأجير ان يعيش بدون أجره، وطالما استلام الأجر ليس وشيكا. فما الفرق الذى تصنعه له ألف جثة أكثر أو أقل؟.

ثم يبدأ ضجر الناس في التصاعد. وتهمس الرجعية في آذان العامل " قد أصبحت أكثر بؤسا من أي وقت مضى بسبب ثورتك المتبجحة! ". وتأخذ الأغنياء الشجاعة شيئا فشيئا ، ليخرجوا من أماكن الاختباء، ويتباهون بترفهم في مواجهة الجموع الجائعة. ويرتدون ملابس معطرة مثل رجال شديدى التأنق، ويقولون للعمال: "تعالوا، كفوا عن هذه الحماقة! ماذا جنيتم من التمرد؟ ".

كمريض في القلب، وصل صبره لنهايته، جعلته الثورية في نهاية المطاف يعترف لنفسه أن القضية ألحقت به الكثير من الخسائر. ويتراجع فورا إلى كوخه الحقير وينتظر الأسوأ.

ثم تؤكد الرجعية نفسها، وتنجز الضربة السياسية. فالثورة ماتت، ولا شيء يبقى سوى أن تدوس جثتها تحت الأقدام.

عام ١٧٩٣م أجبرت مظاهرة من عامة الناس في باريس المؤتمر المحلي على إزاحة وأعتقال الجيرونديين ، وبسبب الحملة ضد الجيرونديين هرب العديد من قادتهم إلى نورماندي حيث اعتادو عقد اجتماعات سرية ٠ وقعت الحكومة تحت سيطرةاليعاقبة وهم الجمهوريون يؤمنون بسيطرة باريس المترجم

(1) الجناح اليسارى في الجمعية الوطنية أثناء الثورة الفرنسية المترجم.

ويبدأ الإرهاب الأبيض. ويتدفق الدم مثل الماء، ولن تعرف المقصلة أبدا الخمول، وتزدحم السجون، في حين استأنفت المسابقات بين أصحاب الرتب والأزياء الفخيمة مسارها القديم، واستمرت على هذا النحو بمرح كما كانت من قبل.

هذه الصورة مطابقة لكل ثوراتنا. في عام 1848 ظل عمال باريس "ثلاثة أشهر يتضورون جوعا" في خدمة الجمهورية، وبعد ذلك، بعد أن وصلوا إلى أقصى حدود ما تحتمله قواهم، مارسوا آخر محاولة يائسة بجهد غرق في الدم. في عام 1871 هلكت الكومونة لنقص المقاتلين. وقد اتخذت تدابير للفصل بين الكنيسة والدولة، ولكنها أهملت، للأسف، إتخاذ التدابير اللازمة لتوفير الخبز للناس إلا بعد فوات الأوان. وبعد ذلك يمر بباريس سادة أنيقيون ورائعون يمكنهم أن يزدروا حلفاء الثورة، ويدفعوهم لبيع حياتهم مقابل أجر زهيد بائس، وتترك ل"أفضلهم فورا" وليمة على تساهلهم في المطاعم العصرية.

أخيرا أدركت الكومونة خطأها، وفتحت المطابخ الجماعية. ولكن بعد فوات الأوان. فأيامها أصبحت معدودة بالفعل، حيث كانت قوات فرساي على الأسوار.

"الخبز، إنه الخبز الذي تحتاجه الثورة!"

دع الآخرين يقضون وقتهم في إصدار التصريحات الطنانة، وفي الحديث عن الحرية السياسية، وفي تزيين أنفسهم ببذخ بالدانتيل الذهبي اللون الرسمي...!

رؤيتنا في كل الأحوال، إنه منذ اليوم الأول للثورة إلى أخر يوم، والناس يقاتلون من أجل الحرية في جميع المحافظات ، أنه يجب أن لا يوجد رجل واحد يفتقر للخبز، وليس هناك إمرأة واحدة مجبرة على الوقوف الممل مع الجماهير خارج باب الخباز، والذى قد يرمى لها رغيف خشن وديا بالصدفة ، وليس هناك طفل واحد يتألم لاحتياجه للطعام.

بدلا من ذلك كانت دائما فكرة الطبقة البرجوازية للثرثرة حول "المبادئ العظيمة" مجرد أكاذيب كبيرة!

ما يفكر فيه الناس هو توفير الخبز للجميع. وعلى الرغم من مواطني الطبقة البرجوازية، والعمال المشوشين بأفكار الطبقة الطبقة البرجوازية و "الناس العمليين" المنخرطين في مناقشات لا نهاية لها الذين يعجبون بخطاباتهم في "

مجالس الحديث"، حول أشكال الحكم، فيجب علينا نحن "الحالمون الخياليون" أن ننظر في مسألة الخبز اليومي.

ولتكن لدينا الجرأة لنعلن أن للكل الحق في الخبز، وأن هناك خبز يكفي للجميع، وأنه مع شعار الخبز للجميع سوف تنتصر الثورة.

ثانيًا

وحيث إننا معروفين جيدا بكوننا خياليين . خياليين إلى حد أن نذهب إلى حد الاعتقاد بأن الثورة يمكن ويجب أن تؤكد على حق المأوى والطعام والملابس للجميع، وهى فكرة لا ترضي للغاية المواطنين من الطبقة البرجوازية، أيا كان لون حزبهم، لأنهم واعين تماما لحقيقة إنه ليس من السهل عليهم الحفاظ على كونهم اليد العليا على الشعب الجائع عند إشباعه.

وبنفس الطريقة، نحافظ على موقفنا: لا بد من ايجاد فرص العيش لشعب الثورة، ومسألة الخبز يجب أن تأخذ الأسبقية على جميع المسائل الأخرى. فإذا تمت تسويتها في مصلحة الشعب، فسوف تكون ثورة على الطريق الصحيح. ففي حل مسألة الخبز يجب علينا أن نقبل مبدأ المساواة، والذي سوف يفرض نفسه علينا مستبعدا أى حل آخر.

ومن المؤكد أن الثورة القادمة سوف تنفجر أمامنا في خضم أزمة صناعية كبرى كما كان الحال فيما يتعلق بثورة عام 1848. الأوضاع المضطربة الآن مستمرة من مدة نصف قرن، ويمكن أن تذهب من سيء إلى أسوأ فقط. وكل شيء يميل لهذه الطريقة حيث تدخل دول جديدة ، قوائم التجارة الدولية وتقاتل لحيازة الأسواق في العالم، وتندلع الحروب فيما بينها، وتتزايد الضرائبَ باستمرار. وتتفاقم الديون الوطنية، وتنعدم الثقة فى الغد، وتتوسع المشاريع الاستعمارية الضخمة في كل ركن من أركان المعمورة.

في هذه اللحظة هناك الملايين من العمال العاطلين عن العمل في أوروبا. وسوف يكون الوضع أسوأ عندما تنفجر الثورة أمامنا، وتنتشر مثل نار وضعت على متن قطار من البارود. وسيتم مضاعفة عدد من هم خارج العمل حالما يتم نصب

المتاريس في أوروبا والولايات المتحدة. فما الذي يجب عمله لتوفير الخبز لهذه الجموع ؟

نحن لا نعرف ما إذا كان القوم الذين يسمون أنفسهم "الناس العمليين" سألوا أنفسهم في أي وقت مضى عن الإجابة على هذا السؤال في كل تجردها. ولكننا نعرف أنهم يرغبون في الحفاظ على نظام الأجور، وبالتالي يجب أن نتوقع أن تكون إجاباتهم "ورش عمل وطنية" و"مشاريع الأشغال العامة" التي يفاخرون بها كوسيلة لإعطاء الطعام للعاطلين عن العمل.

لأنه تم فتح ورش عمل وطنية في عام 1789 وعام 1793. ولأنه لم يلجأ للوسائل نفسها في عام 1848. لأن نابليون الثالث نجح في احتواء البروليتاريا الباريسية لمدة ثمانية عشر عاما بعد أن منحهم فرص العمل في الأشغال العامة، والتي كلفت باريس اليوم ديونا تصل إلى 80 مليون جنية، وبلغت ضريبة بلديتها ثلاثة أو أربعة جنيه للرأس. [3] لأن هذا الأسلوب ممتاز ل"ترويض الوحش" كان متعارف عليه في روما، وحتى في مصر منذ أربعة آلاف سنة. وأخيرا، لأن الطغاة والملوك والأباطرة قد استخدموا دائما حيلة رمي فضلات الطعام إلى الناس لكسب الوقت لرفع السوط عاليا عليهم فيما بعد، فمن الطبيعي أن الناس "العمليين" يجب أن يجدوا هذه الطريقة في إدامة نظام الأجور. ما الحاجة لنشغل أدمغتنا عندما يكون لدينا أسلوب الفراعنة العريق تحت تصرفنا؟.

ومع ذلك، ينبغي أن تكون تضل الثورة عندما تبدأ السير في هذا الطريق، ومن ثم سوف تضيع.

في عام 1848، عندما تم افتتاح ورش عمل وطنية يوم 27 فبراير، كان قد وصل عدد العاطلين الباريسين عن العمل ل 800 فقط؛ وأزدادوا بعد أسبوعين بالفعل إلى 49000. وسرعان ما كانوا 100000، دون احتساب أولئك الذين تزاحموا من المحافظات.

ولكن حتى في ذلك الوقت لم توظف التجارة والصناعة في فرنسا سوى النصف من العاملين كما هو الحال اليوم. ونحن نعرف أنه في مثل هذا الوقت فإن التبادل والصناعة يعانون أشد المعاناة من الاضطراب العام.

لتحقيق هذا علينا أن نفكر للحظة واحدة في عدد العمال الذين يعتمدون بشكل مباشر أو غير مباشر على تجارة التصدير، أو في عدد الأيدي العاملة الموظفة لإنتاج الكماليات، حيث يكون المستهلكين أقلية من الطبقة البرجوزاية.

تعني الثورة في أوروبا توقف لا مفر منه لنصف المصانع والورش على الأقل. وهذا يعني أن الملايين من العمال وأسرهم سوف يلقون إلى الشوارع.

وسوف يسعى "رجالنا العمليين" لتجنب هذا الوضع الرهيب حقا عن طريق أعمال الإغاثة الوطنية؛ وهذا يعني، عن طريق الصناعات الجديدة التي تم إنشاؤها على الفور لتوفير فرص العمل للعاطلين عن العمل!

ومن الواضح، كما قد سبق لبرودون أن ذكر، أن أصغر هجوم على الممتلكات الخاصة سوف يجلب في قطاره التفكك الكامل للنظام القائم على المشاريع الخاصة والعمل المأجور. وسوف يضطر المجتمع نفسه لوضع الإنتاج في مجمله، في يده، وإعادة تنظيمه لتلبية احتياجات الشعب كله. وبالتالي إلى إعادة تنظيم نظام الإنتاج، ولكن هذا لا يمكن أن يتحقق في يوم واحد أو شهر. حيث يجب أن يأخذ فترة زمنية معينة، ، وخلال هذا الوقت سيتم حرمان الملايين من البشر من وسائل العيش. إذن ما الذي يجب عمله حينئذ؟

هناك حل عملي واحد فقط حقا لهذه المشكلة - لمواجهة المهمة العظيمة التي تنتظرنا بجرأة ، وبدلا من المحاولة لرأب صدع الوضع الذي صنعناه بأنفسنا ولا يمكن الدفاع عنه، للشروع في إعادة تنظيم الإنتاج على أساس جديد.

وهكذا فإن المسار العملي للعمل حقا ، في رأينا، سيكون أن الناس يجب أن تمارس حيازة فورية لجميع المواد الغذائية في مناطق التمرد، والمحافظة على محاسبة صارمة لكل ذلك، بحيث أن لا شيء يمكن أن يضيع منهم، وذلك من خلال أن تساعدهم هذه الموارد المتراكمة في أن يكون كل واحد قادرا على التغلب على الأزمة. ويجب خلال ذلك الوقت أن يتم عقد اتفاق مع عمال المصانع، من شأنه توفير المواد الخام اللازمة، وتأمين وسائل العيش لهم، بينما يعملون على توفير احتياجات السكان الزراعيين. لأنه لابد ألا ننسى أنه في حين أن فرنسا تنسج الحرير والساتان لأجساد زوجات الممولين المصرفيين الألمان، وإمبراطورة روسيا، وملكة جزر ساندويتش، وعلى الرغم من أنها تنتج موضات باريس الرائعة من الحلي، وأدوات تسلية الأغنياء في جميع أنحاء العالم فإن ثلثي الفلاحين الفرنسيين

لا يملكون مصابيح مناسبة لتضيء لهم، أو الأدوات اللازمة للزراعة الحديثة. وأخيرا، الأراضي غير المنتجة، والتي هناك الكثير منها، سيتعين تحويلها للإنتاجية على أفضل وجه، وتخصيب التربة الفقيرة، واخضاع التربة الغنية إلى الزراعة المكثفة، والتي حتى الآن، في ظل النظام الحالي، لا تثمر ربع، ولا حتى عشر ما يمكن أن تنتجه، وذلك بحرثها مع رعايتها بقدر ما تراعى حديقة سوق أو أصيص ورود. فمن المستحيل أن نتصور أي حل عملي آخر للمشكلة. سواء أحببنا ذلك أم لا، فالقوة المطلقة للظروف سوف تفرضه ليتحقق.

ثالثًا

السمة الأبرز للرأسمالية هي نظام الأجور، الذي يمكن أن نختصره بما يعادل هذا: - يحوز رجل، أو مجموعة من الرجال، رأس المال اللازم، كي يبدأ مشروع صناعي ما. ويقوم بتزويد المصنع أو ورشة العمل بالمواد الخام، لتنظيم الإنتاج، ويدفع لموظفيه أجر ثابت، وأخيرا، ليحصل على فائض القيمة أو الأرباح، تحت ذريعة تعويضه عن العناية بالإدارة، والتعرض للمخاطر التي قد يتعرض لها المشروع، وتقلبات الأسعار في القيمة السوقية للسلع.

للحفاظ على هذا النظام، فإن أولئك الذين يحتكرون الآن رأسالمال يكونوا على استعداد لتقديم بعض التنازلات. المشاركة، على سبيل المثال، في جزء من الأرباح مع العمال، أو بالأحرى لإنشاء " سلم متحرك للأجور "، والذي من شأنه أن يجبره على رفع الأجور عندما تكون الأسعار عالية؛ باختصار، فإنه يوافق على بعض التضحيات في حالة أنهم استمروا في السماح له لمباشرة الصناعة مباشرة وقطف أول ثمارها.

الجمعية، كما نعلم، لا تلغي الأجور، على الرغم من أنها تدخل تعديلات كبيرة في النظام القائم للمجتمع. إلا إننا يمكن أن نقول أنها تستبدل العمل للدولة فقط، في هيئة ممثل الحكومة الوطنية أو المحلية، بدلا من صاحب العمل الفردي. ففي ظل الجمعية فإن ممثلي الأمة، أو المنطقة، ونوابهم يكونوا مسئوليها وموظفيها و هم من لديهم السيطرة على الصناعة. و هم الذين يحتفظون لأنفسهم بالحق في توظيف فائض الإنتاج في مصلحة الجميع. وعلاوة على ذلك، ترسم الجماعية خط دقيق جدا ولكن يباعد جدا بين عمل العامل العادى، و بين العامل الذي

تعلم حرفة. فالعمل غير الماهر في عيون الجمعي عمل بسيط، في حين أن العمل الحرفي، مثل الميكانيكي، والمهندس، ورجل العلم، وما إلى ذلك، هو ما يسميه ماركس العمل المعقد، فيحق له أجر أعلى. لكن العمال والحرفيون، والنساجون ورجال العلم، جميعهم موظفين مأجورين في الدولة - " كل الموظفين"، كما قيل في الآونة الأخيرة، يجعلون للشيء الكريه مظهرا مقبولا للضرورة.

ولا يمكن للثورة القادمة أن تقدم خدمة للبشرية أكثر من جعل نظام الأجور، بكل أشكاله، مستحيلا، وجعل الشيوعية، وهو نفي العبودية، الحل الوحيد الممكن.

لأنه حتى مع الاعتراف بأن التعديل الجمعي للنظام الحالي ممكن، إذا كان تدريجيا خلال فترة من الازدهار والسلام - على الرغم إنه من جهتي فإنني أشك فى الناحية العملية، حتى في ظل هذه الظروف - فإنه سوف يصبح من المستحيل في فترة الثورة، عندما نكون فى حاجة لإطعام ملايين الجياع المنتفضين مع الدعوة الأولى لحمل السلاح. لا يمكن لثورة سياسية أن تتحقق دون أن تهتز أسس الصناعة، ولكن عندما يضع الناس فى الثورة أيديهم على الممتلكات فسوف يشلون حتما التبادل والإنتاج. ان الملايين من المال العام لن تكفي لأجور الملايين المطرودين من الأعمال.

هذه النقطة لا يمكن الأصرار كثيرا عليها. إعادة تنظيم الصناعة على أسس جديدة لا يمكن أن تتحقق في غضون أيام قليلة، (ويجب أن نظهر في الوقت الحاضر كيف تكون هذه المشكلة هائلة) ، ومن الناحية الأخرى، فإن الشعب لن يستمر نصف جائع لسنوات من أجل الإلتزام بكلام المنظرين الذين يؤيدون نظام الأجور. وللتغلب على فترة من التوتر فأنهم سيطالبون ما طالبوا به دائما في مثل هذه الحالات - شيوعية الإمدادات - إعطاء الحصص.

سيكون عبثا أن نعظ الناس بالصبر. سوف يعانى الشعب طالما لم يجد الطعام مشاعا، وإذا لم يتم هذا فسوف ينهب المخابز.

إذا كان الشعب ليس قويا بما يكفي لتحمل جميع ما سوف يواجهه من مصاعب، فسوف يتم إطلاق النار عليه لإعطاء الجمعية فرصة عادلة للتجربة. لهذا يجب الحفاظ بأي ثمن على هذا "النظام" للنهاية - وفرض النظام، والانضباط، والطاعة! ومثل الرأسماليون سوف يدركون بسرعة أنه عندما يطلق الذين يسمون

أنفسهم الثوريون النار على الناس ، فالثورة نفسها سوف تصبح مكروهة في أعين الجماهير. وسوف يقدمون بالتأكيد دعمهم لانهاء النظام على الرغم من أنهم جمعيين. وفي مثل هذا النهج لقواعد السلوك الاجتماعي، فإن الرأسماليين سوف يرون وسائل آخرى لسحق الجمعيين بدورهم. إذا "تم تأسيس النظام" على هذا النحو، فإن العواقب سوف يكون من السهل التنبؤ بها. لن يكفي إسقاط "اللصوص"، وحركة "النظام" سوف تبحث عن "زعماء الغوغاء". وستقام مرة أخرى المحاكم ويعود الجلادون. و سيتم إرسال الثوريين الأشد حماسة لمنصة الاعدام. و سيتكرر ما حدث عام 1793 مرة أخرى.

لا تدعونا ننسى كيف انتصرت ردة الفعل الرجعية في القرن الماضي. فى أول الأمر تم إعدام "أنصار هيبير"، "المجانين" فأولئك الذي مازلوا يحتفظون، بذكريات النضال طازجة ، لا يزالوا يسمونهم "أناركيون" وسرعان ما تبعهم أنصار دانتون؛ وعندما أعدم حزب روبسبير هؤلاء الثوريين بالمقصلة، فإنهم بدورهم صعدوا إلى المشنقة. وبينما تعب الناس من سفك الدماء، ورؤية ضياع الثورة، أقروا بالهزيمة، وتركوا الرجعيين يبدون أسوأ ما لديهم.

ولذلك نقول إنه إذا تمت "استعادة النظام،" ، فسوف يشنق الاشتراكيون الديموقراطيون الأناركيين. و الفابيون بدورهم سوف يشنقون الاشتراكيين الديموقراطيين، و بدورهم سوف يعدمهم الرجعيون. والثورة سوف تأتي إلى نهايتها.

ولكن كل شيء يؤكد لنا الاعتقاد بأن طاقة الناس سوف تحملهم بعيدا بما فيه الكفاية، وأنه عندما تأخذ الثورة مكانها، فسوف تكتسب فكرة الأناركية الشيوعية الأرض. لأنها ليست فكرة مصطنعة. فالناس أنفسهم يتنفسون هواءنا، ويتزايد عدد الشيوعيين باستمرار، واستحالة أن يكون أي حل آخر أن يصبح أكثر وأكثر وضوحا.

وإذا كان حافز الشعب قويا بما فيه الكفاية، فالأمور سوف تأخذ منحى مختلفا تماما. فبدلا من نهب المحلات التجارية والخبازين فى يوم واحد، والجوع فى اليوم الثانى، فإن الشعب فى المدن المتمردة سوف يستولى على المخازن وأسواق الماشية، في واقع الأمر يستولى على جميع متاجر الإقليم وجميع المواد الغذائية. وسوف يشكل المواطنون أصحاب النوايا الحسنة، رجالا ونساء على حد سواء، أنفسهم في مجموعات من المتطوعين يضعون لأنفسهم مهمة الجرد العام التقريبي

للمحتويات، لكل متجر ومستودع. في أربع وعشرين ساعة في البلدة أو المنطقة الدائرة سوف تعرف ما لم تجده باريس بعد، وما لن تعرفه قط أثناء الحصار على الرغم من كل اللجان الإحصائية لكمية المؤن التي تحتوي عليها. وفي ثمان وأربعين ساعة سيتم طباعة ملايين النسخ من الجداول لإعطاء حساب دقيق بما فيه الكفاية عن الطعام المتاح، والأماكن التي يتم تخزينها فيها، ووسائل توزيعها.

في كل كتلة من المنازل، في كل شارع، في كل حى فى المدينة، سيكون قد تم تنظيم جماعات من المتطوعين. وسوف يعمل هؤلاء المتطوعين المفوضين في انسجام ويبقون على اتصال مع بعضهم البعض. لو لم تأت فقط حراب اليعاقبة على الطريق. إلا إذا كان من يلقبون أنفسهم بالنظريين "العلميين" لن يدفعو أنفسهم لتقديم الاستشارات العميقة! أو بالأحرى السماح لهم بشرح النظريات التي تشوش رؤوسهم على قدر ما يحلو لهم، شريطة أن لا يكون لديهم أي سلطة، ولا قوة! وانطلاقا من هذه الروح المثيرة للاعجاب للتنظيم الكامنة في الشعب، وقبل كل شيء في كل ترتيب اجتماعي للأمة الفرنسية، [4] التى نادرا ما سمح لها بممارستها، سوف تشرع، النقابات الهائلة للعمال الأحرار، الذين على أتم استعداد لتزويد الجميع بكل المواد الغذائية الضرورية، في خضم الثورة، حتى في مدينة ضخمة جدا مثل باريس

إمنح الشعب حرية التصرف، وفي عشرة أيام سوف توفر الخدمات الغذائية بشكل منتظم مثير للإعجاب. أولئك الذين لم يروا الناس يعملون الصعاب فقط، وفقط أولئك الذين عاشوا حياتهم مدفونين بين الوثائق، يمكنهم أن يشكوا في ذلك. تعلموا من عبقرية التنظيم الشعبى "الذى يساء فهمه كثيرا"، من أولئك الذين رأوه في باريس أيام المتاريس، أو في لندن خلال إضراب عمال الموانئ الكبير، عندما تم تغذية نصف مليون من الشعب الجائع، الذين سوف يقولون لكم كيف كان تفوقهم على التدخل البيروقراطى الرسمى غير الناجح.

و حتى مع فرض أننا تحملنا قدر معين من الانزعاج والارتباك لمدة أسبوعين أو شهر، فبالتأكيد فإن ذلك لا يهم كثيرا. بالنسبة لجماهير الشعب طالما مازالوا يتحسنون عن حالتهم السابقة. وإلى جانب ذلك، ففي أوقات الثورة يمكن للمرء أن يتناول الطعام باقتناع بما فيه الكفاية من الخبز والجبن في حين يناقش الأحداث بشغف .

على أي حال، النظام الذي ينطلق بصورة تلقائية، تحت وطأة الحاجة الملحة، سوف يكون الأفضل بلا حدود بالمقارنة من إختراع أي شيء بين أربعة جدران من قبل منظرين محددوى الأفق يجلسون فى أي عدد من اللجان.

رابعًا

سوف يكون أهل المدن العظيمة مدفوعين بقوة الظروف إلى الاستيلاء على جميع المؤن، بدءا من أدنى الضروريات، وتدريجيا سوف تمتد الشيوعية إلى أمور أخرى، من أجل تلبية احتياجات جميع المواطنين.

و كلما تم ذلك على نحو أفضل؛ وكلما تم ذلك بأقل شقاء ممكن سوف تكون هناك أقل فتنة ممكنة.

ولكن ما الأسس التى يجب على المجتمع أن يتنظم على أساسها من أجل أن يتمكن الجميع من المشاركة، ومن تبادل المشاركة على حد سواء؟ هذا هو السؤال الذي يقابلنا في البداية.

نحن نجيب أنه لا توجد طريقتان لذلك. هناك طريقة واحد فقط هى تلك التي يمكن أن تنشأ بها الشيوعية بصورة عادلة، طريقة واحدة فقط هى التى ترضي غرائزنا للعدالة، وفي نفس الوقت عملية، يجسدها النظام الذى تتبناه فعليا الكوميونات الزراعية فى أوروبا.

خذ على سبيل المثال كوميونة الفلاحين، بغض النظر عن المكان، حتى في فرنسا، حيث بذل اليعاقبة، قصارى جهودهم لتدمير كل استخدام كومينى. إذا كانت الكوميونة تمتلك الغابات والمروج، وما دام هناك الكثير من الخشب للجميع، فكل واحد يمكن أن يأخذ بقدر ما يريد، دون أى إيقاف أو إعاقة من الرأي العام لجيرانه. أما بالنسبة لأشجار الأخشاب، والتي تكون شحيحة دائما ، فعندئذ يمكنهم أن يقسموها فيما بينهم بعناية.

ينطبق الشيء نفسه مع أراضى المراعي الجماعية. فطالما هناك ما يكفي ويفيض للاحتياط، فلا يتم وضع حدود لما قد تستهلك ماشية كل منزل، ولا إلى عدد الحيوانات التي ترعى فى المراعي. فلا تنقسم أراضى الرعي، ولا ما ينفق فى إعلافها، ما لم يكن هناك ندرة. وتتم ممارسة هذا النظام فى جميع الكوميونات

السويسرية، وكثير من مثيلاتها في فرنسا وألمانيا أيضا، حيثما تكون المراعي كوميونية هناك.

وفي بلدان أوروبا الشرقية، حيث توجد غابات كبيرة ولا توجد ندرة فى الأراضي، تجد الفلاحين يقطعون الأشجار التى هم في حاجة إليها، وزراعة أكبر قدر من الأرض التى يطلبونها، من دون أي تفكير في الحد من نصيب كل رجل من الخشب أو من الأرض. ولكن الأخشاب يتم تقسيمها، ويتم تجزئة الأرض، وتوزيعها على كل أسرة وفقا لاحتياجاتها، عندما تصبح شحيحة، كما هو الحال في روسيا بالفعل.

في كلمة واحدة، هذا هو النظام: لا مهمة أو حدود لما يمتلكه المجتمع بوفرة، ولكن المشاركة والتقسيم المتساوى من تلك السلع النادرة أو العرضة للاستهلاك السريع. فمن بين الثلاثمائة والخمسين من الملايين الذين يسكنون أوروبا، لا يزال هناك مائتان من الملايين يتبعون هذا النظام من الشيوعية الطبيعية.

ومن الحقائق الجديرة بالملاحظة ان النظام نفسه يسود في المدن الكبيرة في توزيع سلعة واحدة على الأقل،إمدادات المياه إلى كل بيت حيث تكون موجودة بوفرة.

طالما ليس هناك خوف من نفاذ الإمدادات، لا توجد أي شركة مياه تفكر للتحقق من استهلاك المياه في كل منزل. فكل يأخذ منها ما يحلو له! ولكن خلال فترات الجفاف الكبيرة، وإذا كان هناك أي خوف من التعرض لفشل الامداددت، تعلم شركات المياه أن كل ما عليها أن تفعله هو أن تعلن الحقيقة، عن طريق إعلان قصير في الصحف، وسوف يقلل المواطنون استهلاكهم للمياه، ولن يسمحوا باهدارها سدى.

ولكن ماذا يمكن أن نفعل إذا كانت المياه شحيحة في الواقع؟، سيتم اللجوء إلى نظام الحصص. هذا الإجراء أمر طبيعي جدا، وملازم جدا للحس السليم، أن باريس طلبت مرتين وضعها فى نظام الحصص خلال الحصار التى تعرضت له في عام 1871.

هل من الضروري الخوض في تفاصيل ممكنة التنفيذ، لإعداد جداول تبين كيفية توزيع الحصص الغذائية، لإثبات أنها عادلة ومنصفة، بل أكثر عدلا وإنصافا بلا حدود من الحالة الراهنة؟ ولا تجدى جميع هذه الجداول والتفاصيل لإقناع تلك الطبقات البرجوازية، ولا للأسف، هؤلاء العمال الملوثين بتحيزات الطبقة

البرجوازية، الذين ينظرون إلى الناس كقطعان من الوحوش مستعدين للانقضاض عليهم وإلتهام بعضهم البعض، بمجرد توقف الحكومة عن إدارة شئونهم بشكل مباشر. لكن هؤلاء الذين يروا في الناس القدرة على الحل والتصرف من تلقاء أنفسهم لن يمكنهم أن يشكوا للحظة أنه لو كانت الجماهير سادة الموقف، فإنهم سوف يوزعون كل الحصص على الجميع وفقا للعدل والإنصاف الصارم.

لو أعطيت حق الكلام، في أي تجمع من الناس، لإبداء الرأى فى توزيع تلك اللذائذ الطريفة أو شيء من هذا القبيل وقلت إنها يجب أن تكون محفوظة لتلبية الأذواق الحساسة للعاطلين الأرستقراطيين، وأن يعطى الخبز الأسود للمرضى في المستشفيات، فإنك بلاشك سوف تتعرض للاستهجان. ولكن قل في نفس التجمع، وعظ في زوايا الشوارع، و في أماكن السوق، إنه يجب أن تحفظ اللذائذ الأكثر اشتهاءا للمرضى والمستضعفين - وخاصة للمرضى. قل أنه إذا كان هناك خمسة أزواج فقط من طائر الحجل في المدينة بأكملها، وقنينة واحدة فقط من نبيذ الشيري، فأنها يجب أن تذهب إلى المرضى والناقهين. وقل إنه بعد المرضى يأتي الأطفال الذين يجب أن يحفظ لهم حليب الأبقار والماعز إذا لم يكن هناك ما يكفي للجميع. ومن أجل الأطفال والمسنين آخر قطعة من اللحم، وللرجل القوى الخبز الجاف، إذا هبط المجتمع إلى أسوء الظروف.

قل، في كلمة واحدة، إنه إذا كانت هذه أو تلك المادة الاستهلاكية تنفذ بسرعة، فيجب أن تعطى، لأولئك الذين هم فى أمس الحاجة إليها أكثر. قل ذلك، ولترى ما إذا كنت لن تلتقى مع اتفاق إنسانى عام.

لا يفهم هذا الإنسان المغذى جيدا، ولكن الناس يفهمون، ويفهمون ذلك دائما. وحتى الطفل المترف، لو طرح في الشارع، وتواصل مع الجماهير، فإنه سوف يتعلم أن يفهم.

المنظرون الذين يودون بلا شك البدء فى نظام المطابخ الوطنية العامة، والتى تقدم " الحساء المتقشف". سوف يشيرون إلى مزايا نظامهم، ومنها مكاسب الاقتصاد في الوقود والغذاء ، إذا أنشئت هذه المطابخ الضخمة، حيث جرايات الجنود الموحدة، وطاولة طعام الثكنة العسكرية، باعتبارها الكلمة الأخيرة للحضارة، حيث كل واحد يمكنه أن يأتي من أجل حصته من الحساء والخبز والخضروات.

نحن لا نشكك في هذه المزايا. وندرك جيدا أنه سوف يتم تحقيق وفورات هامة بالفعل في هذا الاتجاه كما على سبيل المثال، عندما تم التخلى عن طاحونة اليد، أو مجرشة الحبوب، وفرن الخبز الملحق فى كل بيت. ويمكننا أن نرى جيدا أنه سيكون أكثر اقتصادا، طهي حساء لمائة عائلة في وقت واحد، بدلا من إشعال مائة نار طهى منفصلة. ونحن نعلم، إلى جانب ذلك، أن هناك ألف طريقة لطهى البطاطس، وأن هذا المطبوخ في وعاء واحد كبير لمئة عائلة سيكون جيدا تماما.

وفي الواقع نحن نعلم، أن التنوع في الطبخ ما هو إلا نوع التوابل التي يدخلها كل طباخ أو ربة منزل، ولن يمنع الطبخ معا لمئة وزن من البطاطس كل طباخ أو ربة منزل من إضافة التوابل، وطهيها بأي شكل من الأشكال التى تحلو لهم. ونحن نعلم أن القطع المصنوعة من اللحوم يمكن تحويلها إلى مائة نوع مختلف من الحساء لتتناسب مع مئات من مختلف الأذواق.

ولكن على الرغم من أننا ندرك تماما كل هذه الحقائق، فإننا لا نزال نرى أن لا أحد لديه الحق في إجبار ربة منزل كى لا تأخذ البطاطس التى تخصها من المطبخ المشترك مجهزة للطبخ إذا كانت تفضل طبخها بنفسها في منزلها وفى وعاءها الخاص وبموقدها الخاص. و قبل كل شيء، يجب أن نتمنى أن يكون كل شخص حرا في تناول وجبات الطعام مع أسرته، أو مع أصدقائه، أو حتى في أحد المطاعم، إذا بدا ذلك خيرا له.

وبطبيعة الحال سوف تتشكل المطابخ العامة الكبيرة لتأخذ مكان المطاعم، التى تسمم الناس في الوقت الحاضر. إذا كنت ربة المنزل الباريسية تحصل على قطعة اللحم لحساءها من الجزار وتحول ذلك إلى كل ما يحلو لها من حساء، ويعرف خدم منازل لندن أنه يمكن أن يكون لديهم مشوى مشترك، أو أن يخبزوا فطيرة تفاح أو بطاطس لدى الخباز مقابل مبلغ تافه، وبالتالي ترشيد الوقت والوقود. وبينما يؤسس المخبز أو المطبخ المشترك للمستقبل، حيث يمكن للناس الحصول على طعامهم المطبوخ دون التعرض لخطر التعرض للخداع أو التسمم، فإن العرف عموما سوف يصبح مما لا شك فيه الذهاب إلى المطبخ المشترك لجلب الأجزاء الأساسية للوجبة، وترك اللمسات الأخيرة لتضاف عليها بما يوحى به الذوق الفردي.

ولكن وضع قاعدة قوية وسريعة لهذا، من أفكار المهووسين المولودة في أدمغة مشوه بالطغيان أو الخرافة لفرض واجب أخذ الغذاء لمنزلنا جاهز للأكل، من شأنها أن تكون بغيضة لعقولنا الحديثة مثل أفكار العيش فدير أو ثكنة عسكرية.

من الذين سيكون لهم الحق في الحصول على الغذاء من الكوميونة؟ سيكون بالتأكيد السؤال الأول الذي يتعين علينا أن نسأله لأنفسنا. فإن كل بلدة سوف تجيب عن نفسها، ونحن على قناعة بأن الإجابات كلها سوف تمليها مشاعر العدالة. حتى يتم إعادة تنظيم العمل، طالما الفترة المضطربة مستمرة، وعلى الرغم من أنه من المستحيل التمييز بين العاطلين باستمرار والعمال الحقيقين المطرودين من العمل، فإن المواد الغذائية المتاحة يجب أن تكون مشتركة بين الجميع دون استثناء. وسوف يبادر أولئك الذين كانوا أعداء للنظام الجديد من تلقاء أنفسهم لتخليص الكوميونة من وجودهم. ولكن يبدو لنا أن جماهير الشعب، التي كانت دائما سمحة، وليس لديها النية فى الانتقام من ظالميها، سوف تكون على استعداد لتقاسم الخبز مع كل الذين سوف يبقوا معهم، المهزومين و المنتصرين على حد سواء. وسوف لن تكون هناك خسارة للثورة لو ألهمتهم مثل هذه الفكرة، عندما يتم استئناف العمل مرة أخرى، فإن خصوم الأمس سوف يقفون جنبا إلى جنب في نفس ورش العمل. ومن المؤكد إنه حين يكون العمل حر فإن المجتمع لن يكون لدى ما ما يخشاه من الكسالى.

و يهتف نقادنا في وقت واحد "ولكن المؤن التى تستهلك بسرعة فى شهر!".

نقول" كلما كان ذلك أفضل". إنه سوف يثبت للمرة الأولى في التاريخ المسجل أن لدى الناس ما يكفي من الطعام. أما فيما يتعلق بمسألة الحصول على إمدادات جديدة، فسوف نناقش الوسائل في فصل قادم.

خامسًا

ما الوسائل التى يمكن بها لمدينة أن توفر الطعام في حالة ثورة ؟ يجب علينا الإجابة على هذا السؤال، ولكن من الواضح أن الوسائل التى سوف يتم اللجوء إليها سوف تعتمد على طبيعة الثورة في المحافظات، وفي البلدان المجاورة. لو كانت الأمة كلها، أو الأفضل من ذلك، أن أوروبا كلها سوف تقوم بإنجاز الثورة الاجتماعية في وقت واحد، وتبدأ مع المتمسكين بالشيوعية، فسيتم تبسيط

إجراءاتنا. ولكن إذا لم يكن هناك سوى عدد قليل من المجتمعات في أوروبا سوف تشرع فى هذه المحاولة، فإنه يجب أن يتم اختيار غيرها من التدابير. فإن الظروف هى التى تفرض التدابير.

ونحن نود بالتالي، قبل أن نمضي أبعد من ذلك، لإلقاء نظرة على حالة أوروبا، ودون الإدعاء بالتنبأ، قد نحاول التنبؤ بما سوف تتخذه الثورة بالطبع، أو على الأقل ما ستكون عليه معالمها الأساسية.

ومن المؤكد أنه سيكون من المرغوب فيه جدا أن كل أوروبا يجب أن تنتفض في وقت واحد، وينبغي أن يكون هناك مصادرة عامة، ويجب أن تلهم مبادئ الشيوعية الجميع من دون استثناء. ومن شأن هذه الانتفاضة العالمية أن تفعل الكثير لتبسيط مهمة هذا القرن.

ولكن كل الدلائل تقودنا إلى الاعتقاد بأن ذلك لن يحدث. أن الثورة سوف تحتوى أوروبا لا نشك فى هذا. لو أن واحدة من الأربع عواصم الكبرى القارية - باريس أو فيينا أو بروكسل أو برلين - انتفضت في ثورة وقلبت حكوماتها، فإنه يكاد يكون من المؤكد أن الثلاثة الآخرين سوف يحذون حذوها في غضون أسابيع قليلة". وهو، علاوة على ذلك، من المحتمل جدا أن شبه الجزيرة وحتى لندن وسان بطرسبرج لن تنتظر طويلا في متابعة مناسبة لما يحدث. ولكن إذا ما كانت الثورة سوف تظهر في كل مكان نفس الخصائص فهو أمر مشكوك فيه.

على الرغم من أن الأكثر احتمالا هو أن المصادرة سوف تجري في كل مكان على نطاق أكبر أو أصغر فى حيز التنفيذ ، وأن هذه السياسة التي سوف تقوم بها أي واحدة من الدول الكبرى في أوروبا سوف تؤثر على كل البقية. فسوف تظهر بعد بدايات الثورة اختلافات محلية كبيرة، وسوف تختلف مساراتها في مختلف البلدان. ما بين 1789-1793، استغرق الفلاحون الفرنسيون أربع سنوات ليحرروا أنفسهم أخيرا من قيود الحقوق الإقطاعية، حتى قلبت البرجوازية الملكية. لذلك دعونا نحفظ ذلك في عقولنا، ونكون مستعدين لرؤية الثورة تطور نفسها تدريجيا إلى حد ما. دعونا لا نبتئس إذا كانت هنا وهناك يجب أن تنجز خطواتها بسرعة أقل. فالاعتقاد بأن الطابع الاشتراكي سوف يشمل جميع الدول الأوروبية على السواء، أمر مشكوك فيه على أية حال في البداية. ألمانيا، كما هو معروف، لا يزال تحقيق حلمها فى الإمبراطورية المتحدة مستمرا . وتشارك أحزابها التقدمية

نفس الرؤى من هذا القبيل مع جمهورية اليعاقبة كما في عام 1848، مثل تنظيم العمل وفقا لرؤى لويس بلان، في حين أن الشعب الفرنسي، من ناحية أخرى، يريد فوق كل شيء بلديات حرة، سواء كان ذلك في الكومونة الشيوعية أم لا.

هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأنه عندما تأخذ الثورة القادمة مكانها، فإن ألمانيا سوف تذهب إلى أبعد من مما ذهبت إليه فرنسا في 1793. فقد كانت ثورة القرن الثامن عشر في فرنسا خطوة أكثر تقدما من الثورة الإنكليزية في القرن السابع عشر، وألغت بالفعل في ضربة واحدة قوة العرش والطبقة الارستقراطية، التي لا يزال نفوذها على قيد الحياة في إنجلترا. ولكن لو اندلعت الثورة في ألمانيا فإنها سوف تذهب إلى أبعد من ذلك، و سوف تفعل أشياء أكبر مما فعلت فرنسا في عام 1793، لا يمكن أن يكون هناك شك في أن الأفكار التي من شأنها أن تعزز ولادة الثورة بها ستكون تلك الملهمة من عام 1848، كما أن الأفكار التي من شأنها أن تلهم الثورة في روسيا سوف تكون تلك التي لعام 1789، معدلة بعض الشيء بالحركات الفكرية لقرننا.

ولكن دون إعطاء هذه التوقعات المرتبطة أهمية أكبر مما تستحق، نحن نستنتج هذا بأمان كبير: سوف تأخذ الثورة طابعا مختلفا في كل دول أوروبية على حدى. والنقطة التي سوف تبدأ منها عملية الثورة الاجتماعية لن تكون نفسها في كل مكان.

هل من الضروري بالتالي، كما هو مقترح في بعض الأحيان، أن الدول التي في طليعة الحركة ينبغي عليها أن تتكيف مع وتيرة أولئك المتخلفين عنها؟ هل يجب علينا الانتظار حتى تنضج الثورة الشيوعية في جميع البلدان المتحضرة؟ بوضوح لا! حتى لو كان هذا شيء مما هو مرغوب فيه مستحيل. التاريخ لا ينتظر القاعدين.

إلى جانب ذلك، نحن لا نعتقد أنه في أي بلد واحد سوف تتحقق الثورة في ضربة واحدة، في طرفة عين، كما يحلم بعض الاشتراكيين. ومن المحتمل جدا أنه لو واحدة من الخمسة أو الستة مدن الكبيرة في فرنسا - باريس، وليون، ومرسيليا وليل وسانت اتيان وبوردو - أعلنت الكوميونة، والآخرون حذوا حذوها، وأن العديد من البلدات الصغيرة تكون فعلت الشيء نفسه. ربما أيضا مختلف مناطق

التعدين والمراكز الصناعية من شأنها أن تسرع لتخليص نفسها من "الملاك" و "السادة"، وأن يشكل عمالها أنفسهم في مجموعات حرة.

لكن العديد من مناطق البلاد لن تتقدم إلى تلك النقطة. ستكون جنبا إلى جنب مع البلديات الثورية مثل هذه الأماكن التى لا تزال في موقف المترقبين، وسوف يستمر الذين يعيشون على النظام الفردي. دون أن تزعجهم زيارة من محضر محكمة أو جامع ضريبة، فإن الفلاحين لن يكونوا معاديين للثورة، وبالتالي، عندما يستفيدون من الوضع الجديد فإنهم سوف يؤجلون تسوية الحسابات مع المستغلين المحليين: ولكن مع ذلك الحماس العملي التي دائما يميز الثورات الزراعية (شهادة الكدح الحماسى لعام 1792) يلقون أنفسهم في مهمة زراعة الأرض، التي تحررت من الضرائب والرهون العقارية، وسوف تصبح أحب كثيرا لهم.

كما في الخارج، فإن الثورة سوف تندلع في كل مكان، ولكن الثورة في مظاهر متنوعة، في إحدى البلاد اشتراكية دولة، وفى أخرى اتحادية؛ و في كل مكان اشتراكية بدرجة أكثر أو أقل، وليس وفقا لأية قاعدة معينة.

سادسًا

دعونا الآن نعود إلى مدينتنا في حالة الثورة، وننظر في كيفية توفير مواطنيها المواد الغذائية لأنفسهم. كيف يمكن الحصول علي المؤن اللازمة إذا كانت الأمة ككل لم تقبل الشيوعية بعد؟ هذه هى المسألة التي يتعين حلها. خذ على سبيل المثال، واحدة من المدن الفرنسية الكبرى - خذ العاصمة نفسها، لهذه المسألة. تستهلك باريس سنويا آلاف الأطنان من الحبوب، 350000 رأس من الثيران، و200000 من العجول، و300000 من الخنازير، وأكثر من مليونين من الأغنام، بالإضافة إلى كميات كبيرة من الطيور. وتلتهم هذه المدينة الضخمة، بالإضافة إلى ما قيمته 18مليون جنيه من الزبدة، و172 مليون بيضة، غيرها من المنتجات في مثل هذه النسبة.

وتستورد الدقيق والحبوب من الولايات المتحدة ومن روسيا، وهنغاريا، وإيطاليا، ومصر، والهند. واللحوم الحية من ألمانيا، وإيطاليا، وإسبانيا وحتى رومانيا وروسيا. وبالنسبة لمحلات البقالة، فلا يوجد بلد في العالم لا يضع مساهمته

فيها. دعونا الآن، نرى كيف أن باريس أو أي مدينة أخرى كبيرة يمكن أن تعيد توزيع الطعام الذي ينتج محليا، واللوازم التي يمكن أن ترسل إليها بسهولة وعن طيب خاطر من المحافظات.

لأولئك الذين يضعون ثقتهم في "السلطة" ستظهر المسألة بسيطة جدا. فإنهم سوف يبدأون بإقامة حكومة مركزية قوية، مجهزة بجميع آلات الإكراه مثل الشرطة والجيش والمقصلة. هذا من شأنه أن الحكومة تضع بيانا بجميع المنتجات الموجودة في فرنسا. وسوف تقسم البلاد إلى دوائر إمدادات، وبعد ذلك تصدر الأوامر بارسال الكميات المقررة من بعض المواد الغذائية المخصصة إلى مكان ما في يوم ما ، وتسليمها في محطة ما ، ويتلقاها هناك في يوم معين مسؤول محدد وتخزينها في مخازن خاصة.

نعلن الآن بقناعة أكبر، أن هذا مثل هذا الحل غير مرغوب فيه بشكل مجرد، لأنه لن يستطع أن يجد أي إمكانية لوضعه موضع التنفيذ. إنه خيإلى بوحشية!

يمكن للمرء بالقلم في يده، أن يحلم مثل هذا الحلم في الدراسة النظرية، ولكن في الاتصال مع الواقع لا يسفر الأمر عن شئ. فإن مثل كل هذه النظريات، تتخلى عن الوضع فى حسابها روح الاستقلال الكامنة في الإنسان. وإن تلك المحاولة سوف تؤدي إلى إنتفاضة شاملة، إلى ثلاثة أو أربعة تمردات ثورة مضادة مثل تمرد إقليم فانديه أثناء الثورة الفرنسية، إلى أن تنتفض القرى ضد المدن، سوف يتحدى الريف كله المدينة بالأسلحة لغطرستها إزاء الريف ومحاولتها لفرض هذا النظام على البلاد.

لدينا بالفعل الكثير جدا من اليعاقبة االخياليين! دعونا نرى ما إذا كان أي شكل آخر من التنظيم قد تعامل مع تلك القضية.

في عام 1793 جوعت المحافظات المدن الكبيرة، وقتلت الثورة. برغم الحقيقة المعروفة بأن إنتاج الحبوب في فرنسا خلال 1792-1793 لم يتضاءل. بل الأدلة التى ظهرت بعد ذلك تذهب إلى إنها زادت. ولكن بعد الاستيلاء على أراضي الإقطاعيين، وبعد أن حصدوا المحصول منها، لم يشارك الفلاحون بجزء من الحبوب من أجل ورقة مال. حجبوا منتجاتهم، في إنتظار ارتفاع في الأسعار، أو تكنيز الذهب. وذهبت التدابير الأكثر صرامة للجمعية الوطنية دون جدوى، وفشل حتى الخوف من الموت لتفريق العصابة، أو إجبار أعضائها ليبيعوا لهم الذرة

الذى فى حوزتهم. لأن حقيقة التاريخ تقول أن نواب الجمعية الوطنية لم يتورعو عن إرسال مانعي الحبوب للعرض للسوق إلى المقصلة ، وأعدموا بلا رحمة أولئك الذين ضاربوا في المواد الغذائية. وبنفس الوضع، لم يتوفر الذرة لاحقا، وعانى سكان المدينة من المجاعة.

ولكن ما الذى قدم إلى الفلاح في مقابل تعبه الشاق؟ تعينات، قصاصات من الورق تنخفض قيمتها كل يوم، وعود بالدفع، والتي لا يمكن أن تتحقق. مذكرة الأربعين جنيه لن تشترى زوج من الأحذية، والفلاحون، بطبيعة الحال، لم يكونو حريصين على مقايضة كدحهم لمدة سنة للحصول على قطعة الورق التي قالوا إنها لا تستطيع حتى شراء قميص.

فطالما النقود الورقية لا قيمة لها، فسواء دعيت مخصصات أو مذكرات عمل، قدمت للمنتج الفلاح سوف يكون دائما نفس الشيء. فإن الريف سوف يحجب منتجاته، وسوف تعانى المدن من الحاجة، حتى لو تم إعدام الفلاحين المتمردين كما كان من قبل.

ما يجب أن نقدمه للفلاحين في مقابل تعبهم ليس النقود الورقية التى لا قيمة لها، ولكن المواد المصنعة لدينا التى يكونوا فى حاجة ملحة إليها. فهم يفتقرون إلى الأدوات المناسبة ليفلحوا الأرض، والملابس لحمايتهم بشكل صحيح من تقلبات الطقس السيئة، والمصابيح والنفط لتحل محل ضوء الشموع البائسة وآلات خفق الزبد، والمجارف، والمكابس، والمحاريث. كل هذه الأمور، في ظل الظروف الحالية، التى يضطر الفلاح فيها إلى الاستغناء عنها، ليس لأنه لا يشعر بالحاجة إليها، ولكن لأنه في حياته من النضال والحرمان، فإن آلاف الأشياء المفيدة بعيدة عن متناول يده. لأنه لا يوجد لديه المال لشرائها.

دع المدينة تكرس نفسها، دون ضياع الوقت، لتصنيع كل ما يحتاجه الفلاح، بدلا من تصنيع الأشياء التافهة لزوجات المواطنين الأغنياء. دع آلات الخياطة فى باريس تصنع الملابس لسكان الريف: ملابس العمل وملابس ليوم الأحد أيضا، بدلا من فساتين السهرة المكلفة. واسمح للمصانع والمسابك بصنع الأدوات الزراعية، والمجارف، والمكابس، والمحاريث، بدلا من انتظار أن يرسلها الإنجليز إلى فرنسا، في مقابل الخمور الفرنسية!على سبيل المثال.

لا تـدع المـدن ترسـل أي زيـادة في عـدد المفتشـين إلى القـرى، يرتـدون الأوشـحة الحمـراء، والزرقـاء، أو ذوات ألـوان قـوس قـزح ، لينقلـوا الأوامـر إلى الفلاحـين لأخـذ إنتاجهـم لهـذا المـكان أو ذاك، ولكـن دعوهـم يرسـلون السـفارات الوديـة إلى شـعب الريـف، ويطلبـون منهـم بطريقـة أخويـة: "أحـضروا لنـا المنتجـات الخاصـة بكـم، وخـذوا مـن المخـازن والمحـلات التجاريـة كل المـواد المصنعـة لدينـا مـن فضلكـم." عندئـذ سـوف تضـخ المـؤن مـن كل جانـب. ان الفلاحـين سـوف يحجبـون فقـط مـا يحتاجونـه لأنفسـهم، وسيرسـلون الباقـي إلى المـدن، والشـعور للمـرة الأولى في مجـرى التاريـخ أن سـكان المدينـة الكادحـة رفاقهـم وإخوتهـم، وليسـوا مسـتغليهم.

يجـب أن يقـال لنـا، ربمـا، أن هـذا يسـتلزم تحـولا كامـلا في الصناعـة. حسـنا، نعـم، هـذا صحيـح في بعـض القطاعـات. ولكـن هنـاك الفـروع الأخـرى التـي يمكـن تعديلهـا بسرعـة بمثـل هـذه الطريقـة لتمويـن الفلاحين بالملابـس، والسـاعات، والأثـاث، والأدوات البسـيطة و التـي تجعلـه المـدن يدفـع فيهـا مثـل هـذه الاسـعار الباهظـة في الوقـت الحـاضر. فالنسـاجون، والخياطـون، وصنـاع الأحذيـة، والحـدادون وصنـاع الأقفـال، والعديـد مـن أصحـاب المهـن والحـرف الأخـرى يمكنهـم بسـهولة توجيـه طاقاتهـم لتصنيـع المـواد المفيـدة والضروريـة، والامتنـاع عـن إنتـاج مجـرد الكماليـات. كل مـا هـو مطلـوب هـو أن العقـل العـام يجـب أن يكـون مقتنعـا تمامـا بـضرورة هـذا التحـول، ويجـب أن يـأتي لينظـر إلى ذلـك باعتبـاره عمـلا مـن أعـمال العدالـة والتقـدم، وأنـه لا يجـب أن يسـمح لنفسـه بـأن يخـدع مـن قبـل هـذا الحلـم العزيـز عـلى المنظريـن - حلـم الثـورة التـي تحـصر نفسـها في الاسـتيلاء عـلى أربـاح الصناعـة، وتـترك الإنتـاج والتجـارة فقـط كـما هـي الآن.

هـذه، إذن، هـى وجهـة نظرنـا في المسـألة برمتهـا. خـداع الفلاحـين لم يعـد ممكنـا بقصاصـات مـن الـورق - تكـون المبالـغ المسـجلة عليهـم كبـيرة جـدا، ولكـن قـدم لهـم في مقابـل إنتاجهـم الأشـياء ذاتهـا التـي تسـاويها،محراث للتربـة، والـذى يكونـوا في أمـس الحاجـة إليـه. ثـم سـيتم سـكب ثمـار الأرض إلى المـدن. إذا لم يتـم ذلـك فسـوف تكـون هنـاك مجاعـة في مدننـا، والرجعيـة واليـأس سـوف تتبعهـا في قطارهـا.

سابقًا

قلنا أن كل المدن الكبيرة، تشترى محاصيلها، الطحين، واللحوم، ليس فقط من المحافظات، ولكن أيضا من الخارج. حيث ترسل الدول الأجنبية التوابل والأسماك، والأغذية اللذيذة المختلفة، بالإضافة إلى كميات هائلة من الذرة واللحوم إلى باريس.

ولكن عندما يتعلق الأمر بالثورة فيجب أن يكون الاعتماد على الدول الأجنبية بأقل قدر ممكن. إذا القمح الروسي، أو الأرز الهندي أو الايطإلى، و النبيذ الإسباني أو المجري تكثر في أسواق أوروبا الغربية، فإن الدول التي تصدر منها ليس لديها الوفرة، أو أن مثل هذه المنتجات تنمو هناك من تلقاء نفسها، مثل الهندباء في المروج. في روسيا، على سبيل المثال، يعمل الفلاح ستة عشر ساعة في اليوم، ويظل نصف جائع من ثلاثة إلى ستة أشهر كل عام، من أجل تصدير الحبوب مع الذي يدفعه لمالك الأرض والدولة. وتظهر الشرطة في القرية الروسية حالما يتم جمع المحصول، وتبيع حصان وبقرة الفلاح أخيرا فى مقابل متأخرات الضرائب والإيجار المستحق للمالك، إلا إذا ضحى الضحية من تلقاء نفسه عن طريق بيع الحبوب للمصدرين. بدلا من الاحتفاظ بجزء من مخزونه للحياة في وضع غير مؤات، ويحتفظ فقط بامدادات من الحبوب تكفيه لتسع أشهر، ويبيع الباقي. ثم، من أجل استمرار الحياة حتى موسم الحصاد المقبل، يمزج لحاء البتولا والزوان مع الطحين لطعامه مدة ثلاثة أشهر، إذا كان العام جيدا، ولمدة ستة أشهر إذا كان كان العام سيئا، بينما في لندن يأكلون البسكويت المصنوع من قمحه.

ولكن سرعان ما سوف تأتي الثورة، و عندها فإن الفلاح الروسي سوف يحافظ من الخبز بما فيه الكفاية لنفسه و لأولاده. و سوف يفعل الفلاحون الإيطاليون والمجريون و الهنود الشيء نفسه ، دعونا نأمل، أن نستفيد من هذه الأمثلة الجيدة؛ والمزارعون من أمريكا سيكون من الصعب عليهم أن يكونوا قادرين على تغطية كل هذا العجز في الحبوب التي سوف تواجهه أوروبا. لذلك لن يمكن الاعتماد على مساهماتهم من القمح والذرة لتلبية جميع الرغبات.

استندت كل حضارة طبقتنا الوسطى على استغلال الأعراق الأقل تطورا، والبلدان ذات النظم الصناعية الأقل تقدما، ولذلك فإن الثورة سوف تمنحها فرصة

في البداية، من خلال تهديد تلك "الحضارة"، وسوف تسمح لما يسمى بالأعراق الأقل تطورا لتحرير أنفسهم من استغلالها.

ولكن هذه الفائدة الكبيرة سوف تعبر عن نفسها من خلال تناقص مطرد وملحوظ في الإمدادات الغذائية التي تصب في المدن الكبرى في أوروبا الغربية.

ومن الصعب التنبؤ بمسار الأحداث في المحافظات. من جهة استفادة عبد الأرض من الثورة بتصويب انحناء ظهره. بدلا من العمل أربعة عشر أو خمسة عشر ساعة في اليوم، كما يفعل في الوقت الحاضر، وسوف يكون حرا في العمل نصف ذلك الوقت فقط، والتي بالطبع سوف يكون لها تأثير في انخفاض إنتاجه من المواد الأساسية للاستهلاك من الحبوب واللحوم.

من ناحية أخرى، سوف تكون هناك زيادة في الإنتاج في أقرب وقت طالما أدرك الفلاح أنه لم يعد مجبرا على دعم خمول الأغنياء من تعبه. وسيتم استصلاح مساحات جديدة من الأراضي، وسوف تجهز بآلات جديدة ومتطورة .

يخبرنا ميشليه، متحدثا عن الثورة الكبرى "لم تكن أبدا زراعة الأراضي بهذه القوة كما هو الحال في 1792، عندما استعاد الفلاح من مالك الأرض ما كان محروما منه طويلا جدا".

قبل فترة طويلة، من أن يكون الاسترزاع المكثف في متناول الجميع. ومن تحسين الآلات والأسمدة الكيماوية، وجميع هذه الأمور التي سوف تكون ملكية مشتركة. فإن كل شيء يميل للإشارة إلى أنه في البداية سيكون هناك هبوط في المنتجات الزراعية، في فرنسا كما في أماكن أخرى.

سيكون من الحكمة أكثر عمل حساب مثل هذا الهبوط في المساهمات من المحافظات، وكذلك من الخارج على أي حال.

وكيف يمكن أن نحول هذا الهبوط المنتظر إلى خير؟ بحق السماء، علينا أن نعمل بأنفسنا! و لذلك فلا حاجة إلى تشغيل أدمغتنا لعلاج شامل شافي بعيد المنال عندما يكون العلاج في متناول أيدينا!.

يجب على المدن الكبيرة أن تتعهد بزراعة الأرض، مثل مناطق الريف. حيث يجب أن نعود إلى ما يسميه علم الأحياء "دمج الوظائف" هذا المسار المتبع خلال الطبيعة، بدلا من تقسيم العمل المأخوذ به بين الريف والمدن ككل.

إلى جانب ذلك، وبصرف النظر عن الفلسفة، فإن قوة الظروف من شأنها أن تحقق هذه النتيجة. دع باريس ترى أنه في نهاية ثمانية أشهر سيتم نفاذ الخبز، وسوف تعد باريس نفسها لتجهيز مجموعة عمل لزراعة القمح.

"ماذا عن الأرض؟" لن تكون مطلوبة، لأنه حول المدن الكبيرة، وحول باريس خاصة، هناك الحدائق وأراضى المخصصة لتنزه لنبلاء الأرض التي يمكن العثور عليها. هذه الآلاف من الأفدنة تنتظر فقط العمالة الماهرة من الفلاحين لتطويق باريس بحقول بلا حدود أكثر خصوبة وإنتاجا من سهول جنوب روسيا، حيث يتم تجفيف التربة بالشمس. و لن يكون هناك افتقار للعمل. فلأى شيء على مليوني مواطن من باريس أن يولوا انتباههم عندما لن يكون هناك أي حاجة لتقديم مواد الترف الفاخرة، وأدوات اللهو للأمراء الروس، والنبلاء الرومانيين، وزوجات ممولي برلين؟.

يمكنهم الزراعة العملية مثلما هو حادث في حدائق السوق في جينيف، مع كل الاختراعات الميكانيكية المتاحة في هذا القرن. مع كل الذكاء والمهارة الفنية للعامل المعتاد على التعامل مع الآلات المعقدة. مع المخترعين والكيميائيين وأساتذة علم النبات. مع كل نبات يمكن أن يستخدموه للتكاثر وآلية تحسينه، وأخيرا، مع روح تنظيم الشعب الباريسي، وشجاعته وطاقته، بتنظيم كل هذا فإن زراعة الكوميونة الأناركية فى باريس سوف تكون شيء مختلف جدا عن الفلاحة الخشنة التقليدية.

البخار والكهرباء وحرارة الشمس والتنفس من الرياح، سوف تعمل لفترة طويلة في الخدمة. سوف يؤدى كل من المكبس البخارى والمحراث البخارى العمل الخشن للتجهيز بسرعة، وبالتالي تنظيف وتخصيب التربة، التى تحتاج فقط لرعاية ذكية من الرجال، والنساء حتى أكثر من الرجل، ليزرعوا الغطاء النباتي الترفى لا لمرة واحدة بل لثلاث أو أربع مرات في السنة.

وهكذا، تعلم فن البستنة من الخبراء، ومحاولة تجريب أساليب مختلفة على البقع الصغيرة من الأرض المخصصة لهذا الغرض، والتى تتنافس مع بعضها البعض للحصول على أفضل العوائد، ونظرا لإيجاد فرصة لممارسة الرياضة البدنية، من دون استنفاد أو إرهاق الصحة والقوة والتي في كثير من الأحيان تسوء في المدن، فأن الرجال والنساء والأطفال سوف يتحولون بكل سرور إلى العمل في الحقول، طالما لم يعد الكدح عبوديا، ولكنه أصبح متعة، ومهرجان، لتجديد الصحة والفرح.

"لا توجد أراض قاحلة. تساوي الأرض ما يبذله الإنسان فيها "- هذه هي الكلمة الأخيرة في الزراعة الحديثة. أطلب من الأرض، وأنها سوف تعطيك الخبز، شريطة أن تطلب بشكل صحيح.

منطقة، على الرغم من أنها صغيرة مثل إدارات السين و سين-إت-ويز، ستكون كافية عمليا لزراعتها بكل الإمدادات الغذائية، حتى يمكن أن تغذى مدينة كبيرة مثل باريس التي بطرق أخرى يمكن أن تفشل في الوصول إليها.

ستؤدى الأناركية الشيوعية حتما إلى الجمع بين الزراعة والصناعة، وبين الفلاح والميكانيكي في نفس الفرد ، إذا بدأت العدالة مع نزع الملكية.

دع الثورة تحدث فقط إلى هذا الحد، ولن تصبح المجاعة هي العدو الذى لابد له أن يخيفنا، الخطر الذي سوف يهدد الثورة يكمن في الجبن والتحيز، والتدابير المترددة. ويكمن الخطر حيث رأى دانتون عندما هتف في فرنسا: "! أجرؤ، أجرؤ، ومرة أخرى، أجرؤ" فكر بجراءة لأول مرة، وسوف لن يفشل العمل الجريء لاحقا.

الفصل السادس

المساكن

أولا

أولئك الذين قد شاهدوا عن كثب نمو بعض الأفكار بين العمال يجب أن يكونوا قد لاحظوا أن الإجابة على السؤال الهام واحدة هى السكن للشعب، وهو استنتاج واضح تم التوصل إليه بصورة تدريجية. ومن المعروف أنه في المدن الكبيرة في فرنسا، وفي كثير من المدن الصغيرة أيضا، يتوصل العمال تدريجيا إلى استنتاج مفاده أن المنازل السكنية ليست محل ملكية أولئك الذين تعترف بهم الدولة كأصحابها.

وقد تطورت هذه الفكرة بشكل طبيعي في عقول الناس، ولكن شيئا لن يقنعهم أبدا مرة أخرى على أن "حقوق الملكية" يجب أن تمتد إلى المنازل.

لم يبنى المنزل من قبل مالكه. حيث أن أعداد لا تحصى من العمال أقاموه، وزينوه وأثثوه في ساحة الأخشاب، ومصانع الطوب، وورش العمل، يكدحون مقابل أدنى الأجور من أجل الحياة العزيزة عليهم.

والأموال التي أنفقها المالك ليست نتاج تعبه الخاص. فقد جمعها، مثل كل الأغنياء الآخرين، عن طريق الدفع للعمال ثلثى أو نصف ما كان عليه أن يدفعه فقط لهم.

وعلاوة على ذلك ترجع قيمة البيت الفعلية إلى الربح الذي يمكن أن يحققه المالك منه، هذا الربح ناتج من حقيقة أنه بنى بيته في بلدة تمتلك الجسور والأرصفة والمباني العامة الجميلة، وتكفل لسكانها ألف وسيلة راحة، والراحة غير معروفة في القرى الآن. بلدة طرقها معبدة بشكل جيد، و مضاءة بالغاز، وعلى اتصال دائم مع المدن الأخرى، وهى نفسها مركزا للصناعة والتجارة والعلوم والفنون. والمدينة كلها أنتجها عمل عشرين أو ثلاثين جيل لتوفير إقامة صحية وجميلة لمواطنيها ومن هنا تصبح ضخامة الإجراء كله أكثر وضوحا.

منزل قد تكون قيمته في أجزاء معينة من باريس آلاف من الجنيهات الإسترلينية، وذلك ليس لأن قيمته تلك الآلاف من الجنيهات الإسترلينية من العمل الذى قد أنفق على هذا البيت المعين، ولكن لأنه يقع في باريس، ولأنه لقرون سابقة ساهم العمال والفنانون والمفكرون، ورجال العلم والأدب في جعل باريس ما هى عليه اليوم، مركزا للصناعة والتجارة والسياسة والفن والعلم؛ لأن باريس لديها ماضي عريق، لأنه بفضل الأدب، فإن أسماء شوارعها أصبحت كلمات معروفة في الدول الأجنبية كما هى فى الوطن. لأنها ثمرة ثمانية عشر قرنا من الكد والعمل من خمسين جيلا من الأمة الفرنسية كلها.

من، إذن، يمكنه أن يستولى لنفسه على أصغر قطعة من الأرض، أو أصغر بناء ، دون ارتكاب ظلم صارخ؟ من، بعد ذلك، لديه الحق في بيع أصغر جزء من هذا التراث المشترك لأي سبب؟

تم الاتفاق بين العمال حول هذه النقطة، كما قلنا. وظهرت فكرة المساكن المجانية بوضوح جدا أثناء حصار باريس، عندما كانت هناك مطالبة من أجل تخفيف واضح وبسيط للشروط التي طالب بها ملاك الأرض. وظهرت مرة أخرى أثناء كوميونة باريس عام 1871، عندما توقع عمال باريس من المجلس البلدي اتخاذ قرار جريء بشأن إلغاء الإيجارات. وعندما تأتي ثورة جديدة، سوف تكون القضية الأولى الذي سوف يشغل الفقراء أنفسهم بها.

يجب أن يسكن العامل بطريقة أو بأخرى، سواء في زمن الثورة أو في زمن السلم. يجب أن يكون لديه سقف ما فوق رأسه. ولكن ومهما قد يكون عليه مسكنك فى وضع بالغ السوء والقذارة، فهناك دائما المالك الذي يمكنه أن يطردك. صحيح، أثناء الثورة لن يستطيع أن يجد المحضرين وجلادى الشرطة لرمي خرقك

ومنقولاتك في الشارع، ولكن من يدري ماذا سوف تفعل الحكومة الجديدة في الغد؟ من يستطيع أن يقول أنه لن يتم طلب المعونة من السلطة مرة أخرى، وتحريض الشرطة عليك لملاحقتك ولطردك من كوخك؟ لقد رأينا إعلان الكوميونة بالإعفاء من الإيجارات المقررة حتى الأول من إبريل فقط [5] وبعد ذلك يجب دفع الإيجار، على الرغم من أن باريس كانت في حالة من الفوضى، وتراوح الصناعة في مكانها!. بحيث كان الثورى لا يجد ما يعتمد عليه على الإطلاق إلا بدل بقيمة خمسة عشر بنسا في اليوم!.

يجب أن يكون العامل جاهزا الآن أن يرى بوضوح أن رفض دفع الإيجار إلى مالك الأرض أو صاحب العقار ليس مجرد الاستفادة من فوضى السلطة. يجب أن يفهم أن إلغاء الإيجار هو مبدأ معترف به، ومقرر، إذا جاز التعبير، من خلال الموافقة الشعبية. يجب أن يكون توفير مساكن بدون إيجار حق أعلن الشعب عنه بصوت عال.

هل سوف ننتظر حتى إجراء هذا التدبير، الذي هو في وئام مع شعور كل رجل نزيه للعدالة، وتمت معالجته من قبل عدد قليل من الاشتراكيين المنتشرين بين عناصر من الطبقة البرجوازية، والتي سوف تشكل الحكومة الإقليمية؟ هل يجب علينا أن ننتظر طويلا حتى تعود الرجعية، في الواقع!.

هذا هو السبب، في رفض الزي الموحد والشارات - تلك الإشارات الخارجية للسلطة والعبودية - وتمييز أشخاص من بين الشعب، ولذلك فإن الثوريين الجادين يعملون جنبا إلى جنب مع الجماهير، حيث أن إلغاء الإيجار، ومصادرة البيوت قد تصبح حقيقة واقعة. وسوف يمهدون الطريق، ويشجعون الأفكار على أن تنمو في هذا الاتجاه؛ وعندما تكون ثمرة جهدهم قد حانت، فإن الشعب سوف يشرع في مصادرة المنازل دون أن يصغى إلى النظريات التي من المؤكد أن توجههم في طريقهم - النظريات حول دفع تعويضات لأصحاب العقارات، والعثور أولا على الأموال اللازمة لذلك.

في اليوم الذي يجرى فيه نزع ملكية المنازل، في ذلك اليوم، سيكون العمال المستغلين قد أدركوا أن العصر الجديد قد حان، وأن العامل لم يعد يحمل نير الأغنياء والأقوياء بعد، حيث أعلنت المساواة صراحة، فأن هذه الثورة حقيقة واقعة، وليست مسرحية تجعلنا نعتقد إنها مثل ثورات كثيرة سبقتها.

ثانيا

وإذا اعتمد الشعب فكرة المصادرة فأنها سوف تصبح فى حيز التنفيذ على الرغم من كل العقبات التى " لا يمكن التغلب عليها" والتي تهددنا.

بطبيعة الحال، فإن الناس الطيبين في الزي الموحد الجديد، الذين يجلسون في الكراسي الرسمية فى فندق دي فيل، من المؤكد سوف يشغلون أنفسهم فى تكويم العقبات. وسوف يتحدثون عن منح تعويضات لأصحاب العقارات، وإعداد الإحصاءات، وصياغة التقارير الطويلة. نعم، فإنهم قادرون على وضع تقارير طويلة بما فيه الكفاية لتدوم آمال الناس، الذين، بعد انتظار وجوع في الخمول القسري، ولا يرون أي شيء يأتي من كل هذه الأبحاث الرسمية، من شأنه أن يفقد القلب الإيمان بالثورة والتخلي عن الميدان للرجعيين. إن بيروقراطية جديدة سوف تنتهي بجعل المصادرة بغيضة في نظر الجميع.

هنا، في الواقع، الصخرة التي قد تغرق سفينة آمالنا. ولكن لو لجأ الناس إلى أن يعطوا أذنا صماء للشبهات التى تستخدم لتبهرهم، ويدركون أن حياة جديدة تحتاج ظروف جديدة، ولو تولوا المهمة بأنفسهم، فإن المصادرة يمكن أن تتم دون أي صعوبة كبيرة.

تسألنا "ولكن كيف يمكن أن يتم ذلك؟ ". ونحن سنحاول الرد على هذا السؤال، ولكن مع تحفظ. هو إنه ليست لدينا نية للبحث خارج مخططات نزع الملكية في أصغر تفاصيلها. ونحن نعلم مسبقا كالجميع أن ما يمكن أن يقترحه أي إنسان، أو مجموعة من الناس، اليوم سوف يتجاوزه الواقع عندما يتحقق. وينجز البشر المزيد من الأشياء، ويحققونها بشكل أفضل وأساليب أبسط من تلك التي تملى عليهم مسبقا. وبالتالي نحن قانعون بالإشارة إلى الطريقة التي يمكن من خلالها إنجاز المصادرة دون تدخل من الحكومة. ونحن غير مطالبين بالخروج من طريقنا للرد على هؤلاء الذين يعلنون أن هذا الشيء مستحيل. ونحن نقتصر بأنفسنا على الرد بأننا لسنا دعاة لأي طريقة معينة للتنظيم. ونشعر بالاهتمام فقط لإثبات أن نزع الملكية يمكن أن يتم تنفيذه عن طريق المبادرة الشعبية، ولا يمكن تنفيذه عن طريق أي وسيلة أخرى مهما كانت.

ويبدو من المرجح جدا أنه بمجرد بدء نزع الملكية إلى حد ما، فإن مجموعات من المتطوعين سوف تتشكل في كل منطقة، وشارع، وكتلة من المنازل، وسوف تجرى

استقصاء حول عدد الشقق والمنازل التي قد تكون فارغة ومكتظة بساكنيها، في الأحياء الفقيرة غير السليمة والمنازل الفسيحة جدا بالنسبة لشاغليها، والتي ربما أيضا يمكن استخدامها لإيواء أولئك الذين خنقوا في المساكن المكتظة، وسوف يضع هؤلاء المتطوعين في غضون أيام قليلة قوائم كاملة بجميع الشقق، والمساكن، والقصور والفيلات العائلية ، وبكل الغرف والأجنحة وعدد غرفها، الصحية منها وغير الصحية، الصغيرة والكبيرة، الأوكار كريه الرائحة والمنازل الفاخرة، في كل شارع و منطقة.

وبالتواصل بحرية مع بعضهم البعض، فإن هؤلاء المتطوعين سرعان ما سوف ينجزون إحصاءاتهم كاملة. فالإحصائيات الكاذبة يمكن تصنيعها في غرف الطعام والمكاتب، ولكن الإحصائيات الصحيحة والدقيقة يجب أن تبدأ بالفرد وتتصاعد من البسيط إلى المعقد.

ثم، دون انتظار للحصول على تصريح من أي واحد، فإن هؤلاء المواطنين من المحتمل أن يذهبوا ويجدوا رفاقهم الذين كانوا يعيشون في حجراتهم وأكواخهم وحجراتهم البائسة، وسوف يقولون لهم ببساطة: " أيها الرفيق إنها ثورة حقيقية هذه المرة، ولا خطأ في ذلك. تعال إلى هذا المكان هذا المساء؛ وكل سكان الحي سوف يكونوا هناك. نحن بصدد إعادة توزيع المنازل السكنية. إذا كنت تعبت من حجرتك الفقيرة، تعالى واختار واحدة من الشقق ذات الخمس غرف التي تم تحريرها، وعندما تنتقل إليها فورا يجب عليك البقاء، ولا تخشى أبدا. فقد حمل الناس السلاح، ومن سوف يجرؤ على طردك سيكون لديهم الرد عليه.".

و يقال لنا "ولكن كل واحد سوف يريد منزل جميل أو شقة فسيحة!". ونقول لا، أنت مخطئ. إن المطالبة بالقمر ليست طريقة الناس. على العكس من ذلك، في كل مرة رأيناهم يتصرفون في إصلاح خطأ فوجئنا بالحس السليم والغريزة الصحيحة من أجل العدالة التي تحرك الجماهير. وهل ما نعرف أنهم طالبوا بالمستحيل في أي وقت مضى ؟ إننا لم نر أي وقت مضى الناس في باريس تتقاتل فيما بينها أثناء انتظار حصصهم من الخبز أو الحطب خلال الحصارين التي تعرضت لهم المدينة؟ تمسك الناس بالصبر وروح الاستغناء التي سادت بينهم باستمرار حتى أثارت إعجاب مراسلي الصحافة الأجنبية. وحتى هؤلاء الموزعين الصبورين يعرفون تماما أن القادمين أخيرا سيكون عليهم اجتياز اليوم دون طعام أو نار.

نحن لا ننكر أن هناك الكثير من الغرائز الأنانية في أفراد معزولين في مجتمعاتنا. وندركها تماما. لكننا نؤكد أن الطريقة ذاتها لإنعاش وتغذية هذه الغرائز هي عندما تكون مسائل مثل سكن الناس محصور البت فيها في أي مجلس أو لجنة، في الواقع، واقعة تحت رحمة البيروقراطية في أي شكل من الأشكال. وتصبح القضية من هو الشخص الأكثر تأثيرا في اللجنة، عندها تتشكل كل الأهواء الشريرة في الواقع. ويسبب أقل قدر من اللامساواة المجادلات وتبادل الاتهامات. و إذا تم إعطاء أصغر ميزة إلى أي واحد، فسوف يتم البدء في الصراخ والاحتجاج الهائل، وليس بدون سبب.

ولكن إذا تعهد الشعب من نفسه، المنظم من الشوارع، والأحياء، والدوائر، بنقل سكان العشوائيات إلى المساكن نصف الفارغة للطبقات الوسطى، فسوف يتم حل المضايقات التافهة، وحالات عدم المساواة القليلة بسهولة. ونادرا ما وجه نداء ينشد الغرائز الجيدة للجماهير - إلا كملاذ أخير، لإنقاذ السفينة من الغرق في أوقات الثورة - ولكن أبدا لم يكن مثل هذا النداء دون جدوى. لن تسقط البطولية، والتفاني الذاتي للكادحين في الاستجابة إليه. وبالتالي فإنها سوف تكون في الثورة القادمة.

ولكن، سيظل هناك بعد كل ما يقال ويفعل، بعض التفاوت، وبعض المظالم التي لا مفر منها، هناك أفراد في مجتمعاتنا في الأزمات الكبيرة لا يمكنهم أن يغادروا الأخاديد العميقة من الأنانية التي غرقوا فيها. ولكن السؤال هو ليس ما إذا سوف يكون هناك مظالم أو لا، بل كيفية الحد من عددها.

الآن كل التاريخ، وكل تجربة للجنس البشري، وكل علم النفس الاجتماعي، تتحد في إظهار أن الطريقة الأفضل والأكثر إنصافا تقريبا هي الثقة في قرار أولئك الذين يعنيهم القرار أكثر من غيرهم. فهم وحدهم الذين يستطيعون النظر والسماح في مائة وواحد من التفاصيل التي يجب بالضرورة تجاهلها في حالة إعادة التوزيع الرسمي.

ثالثًا

وعلاوة على ذلك، فإنه ليس هناك وسيلة ضرورية حالا لتصنع إعادة توزيع متساو تماما لجميع المنساكن. و سوف يكون هناك بلا شك بعض المضايقات في البداية، ولكن سيتم سريعا تصحيح تلك الأمور في المجتمع الذي تبنى مصادرة الملكية.

عندئذ فإن البنائون و النجارون، وجميع هؤلاء المعنيين ببناء المنازل، ويعرفون أن خبزهم اليومي متعلق بها، سوف لن يطلبوا شيئا أفضل من العمل في مهنهم القديمة لبضع ساعات في اليوم. وسوف يكيفون البيوت الجميلة التي استوعبت وقت جميع موظفي الخدمة، وستكون في غضون أشهر قليلة قد انتشرت المنازل الصحية بلا حدود والمرتبة بسهولة أكثر من تلك الموجودة اليوم. وأولئك الذين لم يسكنوا بشكل مريح فإن الكومونة الأناركية سوف تكون قادرة على القول لهم: "الصبر أيها الرفاق! والقصور الأكثر عدلا والأكثر راحة من أي واحد من تلك التى بناها الرأسماليون لأنفسهم سوف ترتفع على أرض مدننا التي أصبحت محررة. وسوف تخصص لأولئك الذين هم فى أشد الحاجة إليها. لن تبنى الكوميونة الأناركية وهى تركز عينيها على الإيرادات. وهذه الآثار التي تقيمها لمواطنيها، منتجات الروح الجماعية، سوف تكون بمثابة نماذج للبشرية جمعاء. وسوف تكون لكم ".

إذا قام شعب الثورة بمصادرة المنازل وأعلن أن المساكن مجانيا - مشاعية المنازل وحق كل أسرة فى مسكن لائق - فإن الثورة إذن سوف تكون قد اكتسبت طابع الشيوعية من البداية، وبدأت على المسار والذي لن تكون أي وسيلة سهلة لتحويله بأي حال من الأحوال. وإنها ستكون قد ضربت الملكية الفردية ضربة قاتلة.

تحتوي مصادرة المساكن على بذرة الثورة الاجتماعية كلها. يعتمد على طريقة تحقيقها طابع كل ما يليها من اجراءات. إما يجب علينا أن نبدأ على طريق جيد يؤدي مباشرة إلى الأناركية الشيوعية، أو إننا سوف نظل غارقين في وحل الفردية الاستبدادية.

فمن السهل أن نرى العديد من الاعتراضات - النظرية من جهة والعملية من ناحية أخرى - والتي نحن على يقين من أننا سوف نقابلها. لأنها سوف تكون

قضيـة الحفـاظ عـلى الظلـم بـأي ثمـن، سـوف يحتـج خصومنـا بالطبـع وسـوف يهتفون، "باســم العدالــة، أليـس مـن العـار أن عـلى شـعب باريـس أن يسـتولى عـلى حيـازة كل هـذه المنـازل الجميلـة، في حـين أن الفلاحـين في الريـف ليـس لديهـم سـوى الأكـواخ المنخفضـة الفقـيرة فقـط للعيـش فيهـا؟ " ولكـن لا تدعنـا نصنـع خطـأ مـا. ينـسى هـؤلاء المتحمسـين للعدالـة، قبـل انقضـاء الذاكـرة التـي يخضعـون لهـا، و"الهتـاف العـار" الذي كانـوا هـم أنفسـهم يدافعـون عنـه ضمنيـا. إنهـم ينسـون إنـه في هـذه المدينـة نفسـها كان العامـل، مـع زوجتـه وأولاده، يختنقـون فى حجراتهـم الحقـيرة، في حـين يـرون مـن نافـذة منزلهـم قـصر الغنـي. إنهـم ينسـون إن أجيـالا كاملـة كانـت تمـوت في الأحيـاء الفقـيرة المزدحمـة، جائعـة للهـواء وأشـعة الشـمس، ولذلـك فـإن تصحيـح هـذا الظلـم يجـب أن يكـون المهمـة الأولى للثـورة.

لا تــدع هــذه الاحتجاجـات المخادعـة تعـود بنـا للخلـف. ونحـن نعلـم أن عـدم المسـاواة التـي قـد تكـون موجـودة بـين المدينـة والريـف في الأيـام الأولى مـن الثـورة سـتكون مؤقتـة، والتـي مـن شـأنها أن تصحـح نفسـها مـن يـوم لآخـر. فيـما يتعلـق بالقريـة فلـن تفشـل فى تحسـين المسـاكن في أقـرب وقـت للفـلاح الـذى توقـف أن يكـون وحشـا مـن الأعبـاء الملقـاه عـلى عاتقـه مـن مالـك الأرض، والتاجـر، ومقـرض المـال، والدولـة. هـل مـن أجـل تجنـب تفـاوت عـرضي وعابـر، يجـب أن نقيـد أيدينـا لتصحيـح أي خطـأ قديـم؟

مـا يسـمى بالاعتراضـات العمليـة ليسـت هائلـة جـدا أيضـا. يجـب أن نصـل إلى أن نضـع فى الاعتبـار حالـة صعبـة لفقـير مـا، و الـذي بسـبب ضغـط الحرمـان قـام بـشراء منـزل كبـيرة بمـا يكفـي لسـكن عائلتـه. فهـل نذهـب لحرمانـه مـن سـعادته التـى حصـل عليهـا بشـق الأنفـس، بطـرده إلى الشـارع! بالتاكيـد لا. لـو كان منزلـه كبـير بمـا يكفـي لعائلتـه فقـط، فسـوف يسـمح لـه بـكل الوسـائل بالبقـاء هنـاك. وندعـه يعمـل في حديقتـه الصغـيرة أيضـا. "ثوارنـا" سـوف لـن يعيقـوه، كلا، أنهـم سـوف يقدمـون لـه يـد المسـاعدة إذا لـزم الأمـر. ولكـن لنفـترض إنـه أتاحـه للسـكن لآخريـن، لنفـترض أن لديـه غـرف فارغـة في بيتـه، إذن الشـعب سـوف يجعـل المسـتأجر يفهـم أنـه ليـس مـن الـضروري دفـع أى إيجـار لصاحـب المنـزل السـابق. إبقـى حيـث أنـت، حيـث الاسـتنجار مجانـا. ليـس هنـاك المزيـد مـن المطالبـين بالديـون وجامعـي الايجـارات. فقـد ألغـت الاشـتراكية كل ذلـك!

أو مرة أخرى، لنفترض أن المالك لديه عدد من الغرف لنفسه، وإمرأة فقيرة ما تعيش بالقرب منه مع أطفالها الخمسة في غرفة سطح واحدة. سوف يرى الشعب في هذه الحالة ما إذا كان يمكن مع بعض التعديلات، يمكن لهذه الغرف الفارغة أن تتحول إلى منزل مناسب للمرأة الفقيرة وأطفالها الخمسة.

هل يمكن أن لا نكون أكثر عدلا ونزاهة فنترك الأم وأطفالها الخمسة الصغار قابعين في حجرة السطح البائسة، بينما يجلس السيد جورجيورس ميداس مرتاحا في قصر فارغ؟ وعلاوة على ذلك، فلطيبة السيد البهي فإنه ربما يبادر إلى القيام بذلك من تلقاء نفسه. ولا شك أن زوجته ستكون سعيدة أن تتحرر من نصف عبئها الكبير، فى منزل أصبح غير عملي لاقامتها وزوجها ، حيث لم يعد هناك طاقم من الموظفين لإبقائه منظما ومريحا لهما.

ويقول المدافعون عن القانون والنظام "هكذا انت ذاهب لقلب كل شيء رأسا على عقب.. فلن تكون هناك نهاية لعمليات الإخلاء والإنتقال. لن يكون من الأفضل البدء من جديد بإخراج الجميع من الأبواب، وإعادة توزيع البيوت بين الكثيرين " هؤلاء نقادنا؟. لكننا مقتنعون بقوة انه اذا لم تتدخل أي حكومة في هذه المسألة، إذا أوكلت كل التغييرات لتلك الجماعات الحرة التي ظهرت للقيام بالعمل، فإن عمليات الإخلاء وعمليات الانتقال ستكون أقل عددا من تلك التي تتم في سنة واحدة تحت النظام الحالي، بسبب جشع الملاك.

في المقام الأول، هناك في كل المدن الكبيرة تقريبا ما فيه الكفاية من المنازل والشقق الفارغة لتقديمها لكل سكان الأحياء الفقيرة. أما بالنسبة للقصور وأجنحة القصور والشقق الجميلة، فإن العديد من الناس الذين يعملون سوف لا يعيشون فيها لو استطاعوا. فالفرد لا يمكن أن "يحافظ" على هذه المنازل مرتبة ونظيفة دون عدد كبير من الموظفين ومن الخدم. ولذلك فشاغليها سرعان ما سوف يجدون أنفسهم مضطرين للبحث عن مساكن أقل من الفاخرة. وسوف تجد السيدات المترفات أن القصور لا تتلائم بشكل جيد مع اضطرارهن الاعتماد على انفسهن في المطبخ. وسوف يصبح الناس تدريجيا أكثر راحة. حيث لن تكون هناك حاجة لإجراء العودة سريعا إلى حجرة السطح تحت تهديد السلاح، أو تثبيت ساتر على مغطس بمساعدة من حراسة مسلحة. سوف يتشارك الناس وديا المساكن المتاحة بأقل احتكاك واضطراب ممكن. أليس لدينا المثال من البلديات القروية فى إعادة توزيع الحقول مع إزعاج قليل جدا لأصحاب المخصصات ، بحيث يمكن

للمـرء أن يثنـى تماما عـلى الـذكاء والحـس السـليم للأسـاليب التـي يسـتخدمونها. يتـم تناقـل عـدد أقـل مـن الحقـول بـين الأيـدى تحـت إدارة الكوميونـة الروسـية مـن مـا يتـم تناقلـه مـن السـلطة الكبـيرة للممتلـكات الشـخصية، والتـى مـن أجلهـا يذهبـون بمشـاجراتهم إلى المحاكـم. وهـل نعتقـد أن سـكان مدينـة أوروبيـة كبـيرة لـن يكونـوا أقـل ذكاء! وأقـل قـدرة عـلى التنظيـم مـن الفلاحـين الـروس أو الهنـود؟

وعـلاوة عـلى ذلـك، يجـب علينـا أن لا نتعامـى عـن حقيقـة أن كل ثـورة تعنـي اضطـراب معـين في الحيـاة اليوميـة، وأولئـك الذيـن يتوقعـون انجـاز هـذا الخـروج الهائـل مـن العـادات القديمـة بقـدر تنافـر الأطبـاق عـلى موائـد عشـاءهم سـوف يجـدون أنفسـهم مخطئـين. صحيـح أن الحكومـات يمكـن أن تتغـير مـن دون إزعـاج المواطنـين الفاضلـين عـلى العشـاء، ولكـن جرائـم المجتمـع تجـاه هـؤلاء الذيـن يغذونـه و يدعمونـه لا ينبغـي معالجتهـا بمثـل هـذه الخدعـة السياسـية للأحـزاب.

مـما لا شـك فيـه سـوف يكـون هنـاك اضطـراب، ولكـن يجـب أن لا يصـل لمسـتوى الدمـار التـام. بـل يجـب أن يكـون فى الحـد الأدنى. ومـرة أخـرى سـيكون مـن خـلال معالجتـه بالأطـراف المعنيـة، وليـس عـبر المجالـس واللجـان، فهـى مـن المسـتحيل أن تضـع الكثـير مـن الضغـط عـلى حـده الأقـصى، وأننـا سـوف ننجـح بشـكل أفضـل في خفـض كميـة المضايقـات للجميـع.

ارتكـب الشـعب الخطـأ تلـو الخطـأ عندمـا أصبـح لديـه حـق الاختيـار بالاقـتراع لمرشـح مـا مـن ذوى عقـول الأرانـب الذيـن يلتمـس شرف تمثيلهـم، ويأخـذ عـلى عاتقـه أن يعـرف كل شيء، وأن يفعـل كل شيء، وينظـم الجميـع. ولكـن عندمـا يأخـذون عـلى عاتقهـم تنظيـم مـا يعرفونـه، ومـا يلمسـونه بشـكل مبـاشر، فهـم يفعلـون ذلـك أفضـل مـن جميـع "مجالـس الـكلام " الموضوعـة معـا. أليسـت كومونـة باريـس مثيـل في هـذه النقطـة؟ وإضراب عـمال الموانـئ الكبـير؟ وأليـس لدينـا دليـلا ثابتـا عـلى هـذه الحقيقـة في كل بلديـة قريـة؟

الفصل السابع

الملابس

بينما أصبحت المنازل التراث المشترك للمواطنين، وعندما أصبح لكل إنسان الإمداد اليومي من الغذاء، فإن خطوة أخرى إلى الأمام يجب أن تؤخذ. فإن النظر في مسألة الملابس سوف تصبح الطلب المقبل بالطبع ، ومرة أخرى الحل الوحيد الممكن هو الاستيلاء، باسم الشعب، على جميع المحلات التجارية والمستودعات حيث تباع الملابس أو يتم تخزينها، وتبقى مفتوحة الأبواب للجميع قبل كل شيء، بحيث يمكن لكل شخص أخذ ما يحتاج إليه. مشاعية الملابس هي نتيجة طبيعية لازمة لمشاعية المنازل والمواد الغذائية بحيث تصبح حق كل شخص فى أن يأخذ كل ما يحتاج إليه من المخازن الجماعية، أو لكى يحوزوها مصنوعة له من الخياطين و موزعى الملابس.

من الواضح أننا لن نحتاج لذلك إلى حرمان جميع المواطنين من معاطفهم، ولوضع كل الملابس في كومة وإجراء القرعة لهم، مثلما يقترح نقادنا، بنفس الدرجة من الطرافة والإبداع. دع الذي مازال لديه معطف أن يحافظ عليه - كلا، إذا كان لديك عشرة معاطف فمن المستبعد جدا أن أي أحد يريد أن يحرمك منها، بالنسبة لمعظم الناس فإنهم يفضلون معطفا جديدا عن معطف أنعم

بالفعل أكتاف بعض البرجوازيين البدناء. سوف يكون هناك ما يكفي من الملابس الجديدة ولتجنب، اللجوء إلى خزائن الملابس المستعملة.

إذا كان لنا اتخاذ إجراء لجرد جميع الملابس، والاشياء والملابس المتراكمة في المحلات التجارية، ومخازن المدن الكبيرة، سوف نجد بشكل محتمل أنه في باريس، وليون، وبوردو، ومرسيليا، ما يكفي لتمكين الكوميونة لتوفير الملابس لجميع المواطنين، ولكلا الجنسين. وإذا كانت غير مناسبة للجميع على الفور، فإن خياطي الملابس في الكوميونة من شأنهم سريعا أن يصلحوها جيدا من هذه العيوب. ونحن نعلم مدى سرعة عمل مؤسساتنا الكبيرة للخياطة والتفصيل في الوقت الحاضر، يوفرونها كما هو حالهم بالأجهزة المخصصة للإنتاج على نطاق واسع.

يصرخ خصومنا."ولكن كل واحد سوف يرغب في معطف مبطن بفراء السمور أو ثوب مخملي!"

لا نعتقد ذلك بصراحة. فكل امرأة ليست شغوفة بالمخمل، ولا يحلم كل رجل ببطانات السمور. إذا كان لنا أن نسأل كل امرأة أن تختار ثوب لها الآن، سوف نجد البعض يفضلن الملابس الجاهزة العملية البسيطة على جميع الزركشات الرائعة المؤثرة في العالم المألوف.

تتغير الأذواق مع الزمن، ومن ثم سوف تتجه الموضة الرائجة في زمن الثورة بالتأكيد للبساطة. المجتمعات، مثل الأفراد، لديهم ساعاتهم من الجبن، ولكن أيضا لديهم تلك اللحظات البطولية. وعلى الرغم من أن مجتمع اليوم ذو طابع سين للغاية غارق في السعي وراء المصالح الشخصية الضيقة والأفكار الرديئة، فإنه يصبح ذو طابع مختلف عندما تأتي الأزمات الكبرى. سيكون لديه لحظات من العظمة والحماس. وسوف يكسب البشر ذوى الطبيعة الكريمة السلطة التى هى اليوم في يد السماسرة. وسوف يتصاعد التفاني الذاتي، وتولد الأفعال النبيلة أمثالهم. وحتى الأنانيون سوف يخجلون من تخلفهم عن الجميع، وسوف يسعون على الرغم من أنفسهم لنيل الاعجاب، إن لم يكن لتقليد، الكرم والشجاعة.

تزخر الثورة العظيمة ل1793 بأمثلة من هذا النوع، وفى أي وقت مضى خلال مثل هذه الأوقات من النهضة الروحية - وكأنها أمر طبيعي للمجتمعات كما للأفراد - أن انبعاث موجة الحماس يكتسح الإنسانية من ساعتها إلى الآن.

نحن لا نريد أن نبالغ في الدور الذي تقوم به هذه المشاعر النبيلة، كما أننا لن نؤسس عليها مجتمعنا المثالي. ولكن لا نطلب أكثر من اللازم إذا كنا نتوقع مساعداتها في التغلب على اللحظات الأولى والأكثر صعوبة. وبالطبع لا يمكننا أن نأمل أن حياتنا اليومية سوف تكون ملهمة باستمرار من قبل هذه الحماسة الفائقة، ولكن يمكننا أن نتوقع مساعداتها في البداية، وهذا هو كل ما نحتاج إليه.

إنها مطلوبة لمجرد جعل الأرض نظيفة، لتجرف بعيدا الشظايا والنفايات وتراكم قرون من العبودية والقهر، ولذلك سيكون المجتمع الأناركى الجديد بحاجة إلى هذه الموجة من المحبة الأخوية. أنها يمكن أن توجد من دون مناشدة روح التضحية بالنفس، في وقت لاحق، لأنه سوف يكون قد قضى على القهر، وبالتالي خلق غريزة عالمية جديدة من كل مشاعر التضامن.

إلى جانب ذلك، إذا كان على طابع الثورة أن يكون مثل ما رسمناه هنا، فإن المبادرة الحرة للأفراد سوف تعثر على مجال واسع للعمل لإحباط جهود الأنانيين. وسوف تتشكل الجماعات في كل شارع وحى للقيام بتوزيع الملابس. ولذلك فإنهم سوف يحصرون جميع المخزون الذى تمتلكه المدينة ، وسوف يجدون تقريبا ما هي الموارد الموضوعة تحت تصرفهم. فمن المرجح أكثر أنه في مسألة الملابس ان المواطنين سوف يتبعون نفس المبدأ في مسألة المؤن وعلى هذا الأساس أنهم سوف يوفرون بحرية من المخزن المشترك كل شيء يمكن العثور عليه في وفرة، و يوزعونه مهما كان محدود في الكمية.

ربما يميز المجتمع بين اللازم وما لا لزوم له، وما هو مطلوب مؤقتا على الأقل، لكونه غير قادر على تقديم معطف مبطن بفراء السمور لكل رجل، وثوب من المخمل إلى كل امرأة، و بطانة فراء السمور والمخمل من بين ما لا يلزم للحياة، مستعدا لترك الزمن يثبت إن ما هو ترف اليوم قد يصبح مشتركا بين الجميع فى الغد. في حين أن الملابس الضرورية يجب أنّ تكون مضمونة لكل فرد من سكان مدينة أناركية، فإنه سوف يكون متروك للنشاط الخاص توفير تلك الأشياء للمرضى والضعفاء، والتي تعتبر من الكماليات مؤقتا، ولتدبير هذه المواد للأقل قوة مثل مواد خاصة، بينما لا تدخل في الاستهلاك اليومي للمواطنين العاديين.

إنـه يمكـن أن يجـادل " ولكـن هـذا التوحيـد الرمـادي يعنـي نهايـة كل شيء جميـل في الحيـاة والفـن. "

نقـوم بالـرد " بالتأكيـد لا !". نحـن مـا زلنـا نبنـي رأينـا عـلى مـا هـو موجـود بالفعل. ونقـترح أن نظهـر في الوقـت الحـاضر كيـف يمكـن لمجتمـع أنـاركي أن يلبـي معظـم الأذواق الفنيـة لمواطنيـه دون السـماح لهـم لجمـع الـثروات مثـل أصحـاب الملايـين.

الفصل الثامن
الطرق والوسائل

أولا

لو قرر مجتمع ما، مدينة أو إقليم، ضمان ضرورات الحياة لسكانه (وسنرى كيف أن تصور ضرورات الحياة يمكن أن يمتد بحيث يشمل الكماليات)، فإنه سيكون مضطرا للاستيلاء على كل ما هو مطلوب تماما للإنتاج؛ وهذا يعني - أرض، والآلات والمصانع و وسائل النقل وغيرها. و سيتم مصادرة رأس المال الذى في أيدي ملاك القطاع الخاص، وإعادتها إلى المجتمع.

الضرر الكبير الذي قام به المجتمع البرجوازي، كما ذكرنا سابقا، ليس فقط في أن الرأسماليين أستولوا على الحصة الكبيرة من أرباح كل الشركات الصناعية والتجارية، وبالتالي تمكنهم من العيش من دون عمل، ولكن كل ذلك الإنتاج قد أخذ الاتجاه الخاطئ، لأنه لا يتم بهدف تأمين الرفاه للجميع. ولهذا السبب نحن ندينه.

وعلاوة على ذلك، فإنه من المستحيل الاستمرار في إنتاج تجاري يكون في مصلحة الجميع. التفكير بالتمنى أن يكون من المتوقع أن يذهب الرأسمالي أبعد من وظيفته، حيث يسعى الصناعى الخاص لإثراء نفسه، وأن يفى بالواجبات التي

لا يستطيع الوفاء بها دون التوقف عن ما هو عليه. يستند التنظيم الرأسمالي على المصلحة الشخصية لكل تاجر فرد، وقد أعطاه المجتمع كل ما يمكن أن يتوقع منه، حيث زادت القوة المنتجة للعمل. واستفاد الرأسمالي من تأثير الثورة في الصناعة عن طريق المحرك البخارى، ونتيجة للتطور المفاجئ للكيمياء و الآلات، والاختراعات الأخرى فى قرننا، وسعي لمصلحته الشخصية لزيادة الغلة من العمل، ونجح في ذلك بالقدر الكبير. ولكن من غير المعقول أن تنسب إليه الواجبات الأخرى. على سبيل المثال، أن نتوقع أنه يجب استخدام هذا العائد الأعلى من العمل في مصلحة المجتمع ككل، عن طريق سؤاله العطاء والصدقة، حيث لا يمكن أن تؤسس المؤسسة الرأسمالية على المساعدات الخيرية.

ويبقى الآن أن تمتد هذه الإنتاجية الأكبر من أجل المجتمع، والتي تقتصر على بعض الصناعات، وتطبيقها للصالح العام. ولكن من الواضح أنه لضمان الرفاهية للجميع، فيجب على المجتمع أن يسترد حيازة جميع وسائل الإنتاج.

لن يفشل خبراء الاقتصاد، كما هو معتاد منهم، لتذكيرنا بمقارنة رفاهية فئة معينة من العمال الأقوياء الشباب المهرة في بعض الفروع الخاصة للصناعة. هم دائما هذه الأقلية التي يشار لنا إليها بكل فخر واعتزاز. ولكن هل هذا الرفاه، الذي هو الحق الحصري لعدد قليل، مضمون؟ إلى الغد، ربما، الإهمال، والإسراف، أو جشع أرباب العمل، يحرم هؤلاء الرجال المتميزين من عملهم، وأنهم سوف يدفعون ثمن تلك الفترة من الراحة التي تمتعوا بها لأشهر سنوات من الفقر أو العوز. كم عدد الصناعات الهامة مثل السلع المنسوجة والحديد والسكر وما إلى ذلك - دون أن نذكر الصفقات قصيرة الأجل، لم تشهد تراجعا أو توقفا بالتناوب بسبب المضاربات، أو نتيجة للاحلال الطبيعي للعمل، وأخيرا كأثر من آثار المنافسة بسبب الرأسماليين أنفسهم! وإذا كان على النسيج والصناعات الميكانيكية أن تمر عبر هذه الأزمة التي مرت بها في عام 1886، فإننا لا نحتاج إلى الإشارة إلى الصناعات الصغيرة، والتى تأتى كلها دوريا إلى طريق مسدود.

ماذا نقول أيضا عن السعر الذي يدفع لتوفير الرفاهية النسبية لفئات معينة من العمال؟ للأسف، أنه يدفع لهم بخراب الزراعة والاستغلال الوقح للفلاحين، وبؤس الجماهير. فبالمقارنة مع الأقلية الضئيلة من العمال الذين يتمتعون براحة معينة، كم من الملايين من البشر يعيشون من اليد إلى الفم، من دون أجر آمن، وعلى استعداد للذهاب أينما يراد لهم؛ كم عدد الفلاحين الذين يعملون أربع

عشرة ساعة يوميا مقابل أجر بائس زهيد! يخلى الرأسمال الريف من السكان العاملين، و يستغل شعوب المستعمرات، والبلدان ذات الصناعات الأقل تطورا، ويحكم على الأغلبية الساحقة من العمال أن يبقوا بدون تعليم تقني، كى يبقوا متوسطوا المهارات حتى في حرفهم الخاصة.

هذه ليست مجرد صدفة، بل هى ضرورة للنظام الرأسمالي. من أجل مكافأة فئات معينة من العمال، لا بد من أن يقع الفلاحين تحت نير أعباء المجتمع؛ يجب أن يكون الريف مهجورا للمدينة. يجب أن تكون الحرف الصغيرة متكتلة في الضواحي الكريهة من المدن الكبيرة، وتصنيع ألاف الأشياء قليلة القيمة فى مقابل لا شيء، وذلك لاتاحة بضائع الصناعات الأكبر أن تكون فى متناول المشترين ذوى الرواتب الصغيرة. حيث يمكن بيع قطعة قماش سيئة، ملابس مصنوعة للعمال محدودى الدخل من قبل خياطين راضين بأجور لا تشبعهم من الجوع! ويستغل الغرب البلاد الشرقية الواقعة فى حالة التخلف، وذلك لأنه في ظل النظام الرأسمالي، يحصل العمال في عدد قليل من الصناعات المتميزة على بعض الراحة المحدودة فى الحياة.

الشر فى النظام الحالي ليس فى أن "فائض القيمة" من الإنتاج يذهب إلى الرأسمالي، كما قال كل من رودبيتس وماركس، وبالتالي تضييق المفهوم الاشتراكي والنظرة العامة للنظام الرأسمالي. ففائض القيمة نفسه ليس سوى نتيجة لأسباب أكثر عمقا. يكمن الشر في إمكانية وجود فائض القيمة، بدلا من فائض بسيط لم يتم استهلاكه من كل جيل، لكى يكون فائض القيمة موجودا، يعني أن الرجال والنساء والأطفال وبدافع من الجوع يضطرون إلى بيع قوة عملهم من أجل جزء صغير من ما ينتجه هذا العمل، وقبل كل شيء، ما هو عملهم قادر على إنتاجه. ولكن هذا الشر سوف يستمر طالما أن أدوات الإنتاج يملكها عدد قليل. طالما البشر مجبرون على دفع الجزية لأصحاب حقوق الملكية مقابل حق زراعة الأرض أو جعل الآلات تعمل، وصاحب الملكية حر في إنتاج ما يبشره بالنجاح فى حصوله على أكبر قدر من الأرباح، وليس القدر الأكبر من السلع المفيدة للمنتجين، ومن هنا يمكن للرفاهية فقط أن تكون مضمونة بشكل مؤقت لعدد قليل جدا، ومشتراة فقط بسبب فقر جزء من المجتمع. انها ليست كافية لتوزيع الأرباح التي تحققها التجارة بمقادير متساوية، وإذا كانت في نفس الوقت تستغل الآلاف

من العمال الآخرين. إلا فى حالة إنتاج أكبر قدر من السلع الضرورية لرفاهية الجميع، بأقل استنزاف ممكن للطاقة البشرية.

لا يمكن أن يكون هذا هدف المالك الخاص. ولهذا السبب إذا كان المجتمع ككل، يتبنى هذه النظرة للإنتاج كمثله الأعلى، فسوف يضطر إلى مصادرة كل ما يعزز الرفاهية بينما ينتج الثروة. فلا بد له أن يستولى على الأراضي والمصانع والمناجم ووسائل الاتصال، وما إلى ذلك، وإلى جانب ذلك، فإنه سوف يدرس ما هي المنتجات التى تعزز الرفاهية العامة، مثلما يدرس طرق و وسائل الإنتاج.

ثانيًا

كم ساعة في اليوم يجب على الإنسان أن يعملها من أجل إنتاج طعام مغذي، ومنزل مريح، و توفير الملابس اللازمة لأسرته؟ وهذا السؤال كثيرا ما يشغل الاشتراكيون، وأنهم توصلوا بشكل عام إلى استنتاج مفاده أن أربعة أو خمس ساعات يوميا تكفي، على شرط، إن يكون مفهوم جيدا، أن جميع الرجال سوف يعملون. ففي نهاية القرن 18الماضي ، أثبت بنيامين فرانكلين أن الحد الأقصى للإنتاج الضرورى خمس ساعات. وإن كانت هناك حاجة للراحة أكبر الآن، حيث ازدادت قوة الإنتاج جدا، وبسرعة أكبر كثيرا.

عند الحديث عن الزراعة لاحقا، سنرى ما الذى يمكن للأرض أن تمنحه للإنسان عندما تزرع علميا، بدلا من رمي البذور العشوائي في التربة المحروثة بشكل سيء كما يفعلون غالبا حتى اليوم. في المزارع الكبيرة من أمريكا الغربية، وبعض منها يغطي 30 ميلا مربعا، ولكن لديها تربة أفقر من التربة المسمدة فى الدول المتحضرة، ويتم الحصول منها فقط على من 10 إلى 15 بوشل انجليزى للإكر الانجليزى الواحد. وهذا يعني نصف المحصول من المزارع الأوروبية أو من المزارع الأمريكية في ولايات الشرق. ومع ذلك، بفضل الآلات يتمكن رجلين من حرث 4 إكرات إنجليزي يوميا، ويتمكن 100 من الرجال أن ينتجوا في السنة كل ما هو ضروري لإيصال الخبز إلى 10000 شخص في منازلهم خلال سنة كاملة.

وبالتالي فإنه سيكون كافيا للرجل أن يعمل تحت نفس الظروف لمدة 30 ساعة، ويقول ستة أنصاف يوم عمل من خمس ساعات فى الاسبوع ليتوفر لديه

الخبز لمدة عام كامل. والعمل 30 نصف يوم لضمان نفس الخبز لعائلة من 5 أشخاص.

وسوف نثبت أيضا من خلال النتائج التي تم الحصول عليها أننا لو لجأنا الآن إلى الزراعة المكثفة، فإن العمل أقل من 6 أنصاف يوم عمل يمكنه أن يقوم بشراء الخبز واللحوم والخضروات، والفاكهة حتى الفاخرة منها لجميع أفراد الأسرة.

ومرة أخرى، إذا درسنا تكلفة مساكن العمال، والتي بنيت في المدن الكبيرة اليوم، يمكننا التأكيد على إنه للحصول علي بيت صغير منفصل، في مدينة إنجليزية كبيرة، كما يتم بناؤه للعمال، فإن ما بين 1400 1800- نصف يوم من 5 ساعات تكون كافية. كدار من هذا النوع، يستمر نحو خمسين سنة على الأقل، ويترتب على ذلك أن عمل 28-36 نصف يوم فى العام من شأنه أن يوفر تأثيثه بشكل جيد، فى أحياء صحية، يتوفر بها جميع وسائل الراحة اللازمة للأسرة. بينما عند التعاقد على نفس السكن من صاحب العمل، يدفع العامل قيمة 75 100- يوم عمل في السنة.

لاحظ أن هذه الأرقام تمثل الحد الأقصى لما تبلغه تكلفة المنزل في إنجلترا اليوم، وكونه مقدر وفق النظم المعيبة فى مجتمعاتنا. فقد تم بناء مدن العمال أرخص بكثير في بلجيكا. مع أخذ كل شيء بعين الاعتبار، نجد ما يبرر التأكيد على أنه في مجتمع منظم جيدا فإن العمل 30 أو 40 نصف يوم فى عام سوف يكون كافيا لضمان منزل مريح تماما.

هناك الملابس، وتكاد تبقى قيمتها الدقيقة يكون من المستحيل معرفتها الآن، لأن الأرباح المحققة من قبل سرب من الوسطاء لا يمكن تقديرها. دعونا نأخذ قطعة قماش، على سبيل المثال، ونضيف إليها كل الخصومات التى يحصل عليها ملاك الأراضي وأصحاب الأغنام وتجار الصوف، وجميع وكلاءهم والوسطاء، ثم شركات السكك الحديدية، وأصحاب المغازل، و النساجين، وتجار الملابس، وباعة الملابس الجاهزة والوكلاء بالعمولة، وسوف نحصل على فكرة عن ما يدفعه المستهلك للسرب الكامل من الرأسماليين لكل قطعة من الملابس. هذا هو السبب في أنه من المستحيل تماما أن نقول كم عدد أيام العمل الذي تدفعها على معطف حيث تدفع 3 أو 4 جنية استرلينى. يعرضه متجر كبير في لندن.

ما هو مؤكد هو أنه مع الأجهزة الحالية فإنهم لا شك سوف يتمكنون من تصنيع كمية لا تصدق من البضائع.

وهناك قليل من الأمثلة سوف تكفي. ففي الولايات المتحدة، هناك 751 مصنع (لغزل ونسيج القطن)، وينتج 175000 من الرجال والنساء 2033000000 ياردة من السلع القطنية، بالإضافة إلى كمية كبيرة من الخيوط. ويتم الحصول على أكثر من 12000 ياردة من بضائع القطن وحده، تحتاج 300 يوم عمل من 9 ساعات ونصف لكل منها، ونقول 40 ياردة من القطن في 10 ساعة في المتوسط، مع الاعتراف بأن العائلة تحتاج 200 ياردة لمدة سنة على الأكثر، وهذا سيكون ما يعادل 50 ساعة عمل "، ونقول 10 نصف يوم عمل من 5 ساعات لكل منها. وينبغي أن يكون لدينا بجانبها خيوط القطن لخياطة القماش، وذلك لتصنيع الملابس الصوفية المختلطة مع القطن.

كما أن النتائج التي يمكن الحصول عليها عن النسيج وحده، من الإحصاءات الرسمية للولايات المتحدة تعلمنا أنه في عام 1870 لو عمل العمال 13-14 ساعة يوميا، لقدموا 10000 ياردة من السلع القطنية البيضاء في السنة. في وقت لاحق بعد ثلاثة عشر عاما (1886) نسجوا 30000 ياردة من خلال العمل 55 ساعة في الأسبوع فقط.

حتى في السلع القطنية المصبوغة حصلوا علي النسيج وبما فيه الصباغة، ما بلغ 32000 ياردة في 2670 ساعة عمل في السنة ويمكن أن نقول حوالي 12 ياردة في الساعة. وبالتالي كي يكون لديك 200 ياردة من بضائع القطن الأبيض والمصبوغ سوف تكفي 17 ساعة عمل في العام. ومن الضروري ملاحظة أن المواد الخام تصل هذه المصانع في نفس الدولة تقريبا لانها تأتي من الحقول مباشرة، وأن التحولات التى تمر بها قطعة القطن قبل أن يتم تحويلها إلى سلع يتم الانتهاء منها خلال 17 ساعة. ولكن لشراء هذه ال200 ياردة من تاجر، يجب على العامل بأجر جيد أن يعطي على أقل تقدير من 10 إلى 15 يوما من 10 ساعة من العمل لكل منها، نقول 100-150 ساعة. تجد الفلاح الإنجليزي، يجب أن يكدح لمدة شهر، أو أكثر من ذلك بقليل، للحصول على هذا الترف. نرى من خلال هذا المثال بالفعل انه من خلال العمل 50 نصف يوم في السنة في مجتمع منظم جيدا يمكننا أن نرتدى من الملابس أفضل من مما ترتديه الطبقات البرجوازية الدنيا اليوم.

ولكن مع كل هذا قد لا يكون المطلوب منا سوى العمل 60 نصف يوم "من 5 ساعات للحصول على ثمار الأرض، 40 للسكن، و50 للملابس، الامر الذي يجعله نصف عام عمل، حيث السنة 300 يوم عمل - إذا خصمنا أيام العطل.

لا يزال هناك 150 نصف يوم عمل ،التي يمكن الاستفادة منها لغيرها من ضروريات الحياة - النبيذ والسكر والقهوة والشاي والأثاث والنقل، الخ الخ.

ومن الواضح أن هذه الحسابات ليست سوى بالتقريب، ولكنها يمكن أيضا أن تثبت بطريقة أخرى. عندما نأخذ بعين الاعتبار ، في ما يسمى الدول المتحضرة، كم من لا ينتجون شيئا، وكم من يعملون في المهن الضارة، المحكوم عليها أن تختفي، وأخيرا، كم الوسطاء غير المفيدين، ونرى إنه في كل دولة أن عدد المنتجين الحقيقين يمكن مضاعفتهم. وإذا، بدلا من كل 10 رجال من هؤلاء، يمكن أن يشتغل 20 رجل في إنتاج السلع المفيدة، ولو المجتمع أولى اهتمام ليوفر الطاقة البشرية، فإن هؤلاء ال 20 شخصا لن يكون لديهم إلا أن يعملوا 5 ساعات يوميا دون تناقص فى الإنتاج. وسيكون كافيا للحد من هدر الطاقة البشرية في خدمة العائلات الثرية، أو تلك الإدارات التي لديها مسؤول واحد لكل عشرة أشخاص، والاستفادة من تلك القوى، لزيادة الإنتاجية للأمة، للحد من العمل إلى أربع أو حتى ثلاث ساعات، بشرط أن نكون مشبعين بالإنتاج الحالي.

بعد دراسة كل هذه الحقائق معا، يمكن أن تصل، بعد ذلك، إلى الاستنتاج التالي: تخيل مجتمع، يتألف من بضعة مئات الألاف من الأشخاص ، يعملون في الزراعة ومجموعة كبيرة ومتنوعة من الصناعات... باريس على سبيل المثال، حى سين أى واز. لنفترض أنه في هذا المجتمع كل الأطفال يتعلمون عبر العمل بأيديهم وأدمغتهم. وكل البالغين، باستثناء النساء اللواتى يشاركون في تعليم أبنائهن، يربطون أنفسهم للعمل 5 ساعات يوميا من سن 20 أو 22 إلى سن 45 أو 50، وفق الاتفاق الذى عقدوه مع زملائهم فى الكوميونة، وأنهم يباشرون المهن التي اختاروها، و التى تعتبر ضرورية فى فرع واحد من العمل البشري.

أؤكد إنه يمكن لهذا المجتمع في مقابل ذلك ضمان الرفاه لجميع أعضائه. وأقول الرفاه الأكثر جوهرية التى تتمتع به الطبقات الوسطى يوميا،.لا الطبقات العليا، وعلاوة على ذلك، فكل عامل ينتمى إلى هذا المجتمع سوف يكون تحت تصرفه ما لا يقل عن 5 ساعات في اليوم يتمكن من تكريسها للعلم والفن، والاحتياجات

الفرديـة التـي لا تنـدرج تحـت فئـة الضروريـات، ولكـن مـن المحتمـل أن يفعـل ذلـك في وقـت لاحـق ، متـى إزدادت إنتاجيـة الإنسـان، فسـوف تكـون تلـك الأشـياء التـى كانـت تعـد فاخـرة أو لا يمكـن الوصـول إليهـا. متاحـة أكـثر وأكـثر للاسـتخدام.

الفصل التاسع

الحاجة إلى الرفاهية

أولا

بيد أن الإنسان مهما كان، ليس هو الذي يحصر أغراضه في الحياة في الأكل والشرب، وتوفير المأوى لنفسه. فحالما يشبع رغباته المادية، فإن الاحتياجات الأخرى، ذات الطابع الفني، سوف تدفعه بحماسة أكثر. تختلف أهداف الحياة لكل فرد. وكلما كان المجتمع متحضر، يتم تطوير المزيد من الإرادة الفردية، ولذلك سوف تتفاوت الرغبات أكثر بين الناس.

نرى حتى اليوم الرجال والنساء يحرمون أنفسهم من الضروريات للحصول على مجرد تفاهات، وللحصول على بعض من المتعة المعينة، أو بعض التمتع الفكري أو المادي. قد لا يوافق المسيحي أو الزاهد على هذه الرغبات للرفاهية. ولكن هذه التفاهات بالضبط هي التي تكسر رتابة الوجود، وتجعله مقبولا. هل يمكن للحياة، مع كل أحزانها التي لا بد منها، أن تكون جديرة بأن تعاش، لو إلى جانب العمل اليومي لا يمكن للإنسان الحصول أبدا على متعة منفردة وفقا لذوقه الفردي؟.

إذا كنا نريد الثورة الاجتماعية، فليس من شك في المقام الأول فى أهمية توفير الخبز للجميع؛ لتغيير هذا المجتمع المقيت، الذى نستطيع من خلاله كل يوم أن نرى العمال الأقوياء تتعلق أذرعهم برغبة صاحب العمل الذي سوف يستغلهم. وتتجول نساءهم وأطفالهم بلا مأوى في الليل؛ وحيث تفتقر عائلات بأكملها إلى الخبز الجاف؛ ويموت الرجال والنساء والأطفال لعدم وجود الرعاية- وحتى لعدم وجود الطعام. من أجل وضع حد لهذه الآثام التي نحن متمردون عليها.

لكننا نتوقع أكثر من الثورة. ونحن نرى أن العامل مضطر إلى النضال المؤلم من أجل استمرار الوجود المجرد، مختزل بجهل هذه المسرات العليا، وهي الأعلى في بحث الإنسان فى العلم، وخصوصا الاكتشاف العلمي. فى الفن، وخاصة فى الإبداع الفني. ومن أجل الحصول على هذه الأفراح للجميع، وهي المحفوظة الآن لعدد قليل. من أجل إعطاء الترفيه وإمكانية تطوير القدرات الفكرية، فأن الثورة الاجتماعية يجب أن تضمن الخبز اليومي للجميع. وبعد أن يتم تأمين الخبز فإن الترفيه هو الهدف الأسمى.

مما لا شك فيه، في الوقت الحاضر، عندما يكون المئات والآلاف من البشر في حاجة إلى الخبز والفحم والملابس والمأوى، فالترف جريمة. يجب لتلبيته أن يبقى الطفل العامل!. ولكن في المجتمع الذي يمكن للجميع فيه أن يأكلوا بشكل كاف، فإن الاحتياجات التي نعتبرها اليوم كماليات ستكون محسوسة أكثر تماما. وحيث أن جميع البشر لا يمكن أن يشبهوا بعضهم البعض سيكون هناك دائما، ومن المستحسن أن يكون هناك دائما، مجموعة متنوعة من الأذواق والاحتياجات هي الضمان الرئيسي للتقدم البشري، بحيث أن الرجال والنساء سوف يتجاوزون تلك الرغبات التى للأفراد العاديين في اتجاه معين ما لا يشاركهم فيها الآخرون.

لا يحتاج الجميع إلى تلسكوب، لأنه، حتى لو كان التعلم عام، فهناك أشخاص يفضلون فحص الأشياء المتناهية الصغر بالنظر إليها من خلال المجهر بدلا من دراسة السماوات المرصعة بالنجوم. يحب البعض التماثيل، في حين يحب البعض الصور. فرد معين ليس لديه طموح آخر سوى امتلاك بيانو ممتاز، في حين أن آخر يكون مسرور بالأكورديون. تختلف الأذواق ، ولكن هناك احتياجات فنية في كل الأحوال. في حاضرنا، حيث المجتمع رأسمالي بائس، فإن الإنسان الذي لديه احتياجات فنية لا يمكن أن تلبي له ما لم يكن وريث لثروة كبيرة، أو بفضل العمل الجاد ليحصل لنفسه على رأس المال الفكري الذي سيمكنه من تولي

مهنة حرة. انه لا يزال يمنى نفسه بأمل إرضاء ذوقه أكثر من ذلك في يوم من الأيام، ولهذا السبب كان يقع اللوم على المجتمعات الشيوعية المثالية حيث كان توفير احتياجات الحياة المادية لكل فرد هدفهم الوحيد، ويقولون لنا "في مخازن الكوميونة ربما يكون الخبز متوفرا للجميع، ولكن سوف لا يكون لديك صور جميلة، ولا أجهزة بصرية، ولا أثاث فاخر، ولا مجوهرات فنية - وباختصار، الكثير من الامور التي تخدم طائفة لا حصر لها من أذواق الإنسان. وبهذه الطريقة يمكنك قمع إمكانية الحصول على أي شيء إلى جانب الخبز واللحوم التي يمكن أن تقدمها الكوميونة للجميع، والكتان الرمادي الذي سوف ترتديه سيدات جميع المواطنين ".

هذه هي الاعتراضات المأخوذة في الاعتبار على جميع النظم الشيوعية، والتي لم يفهمها أبدا مؤسسوا المجتمعات الجديدة، التى أقاموها فى الصحارى الأمريكية. إنهم أعتقدوا أنه إذا قام المجتمع بشراء قطعة قماش تكفي لباس جميع أعضائه، وقاعة الموسيقى التي يؤدى فيها "الاشقاء" قطعة من الموسيقى أحيانا، أو يمثلون مسرحية من وقت لآخر، كان ذلك كافيا. وقد نسوا أن الشعور الفنى موجود في المزارع، وكذلك في الساكن، وعلى الرغم من أن التعبير عن الشعور الفني يختلف وفقا لاختلاف الثقافة، لا يزال هو نفسه بصورة أساسية. فعبثا أن لم يضمن المجتمع الضرورات المشتركة للحياة، وعبثا أنه قمع كل تعليم من شأنه تطوير الملكات الفردية، وعبثا أنه منع جميع القراءات عدا قراءة الكتاب المقدس. حيث تنفجر الأذواق الفردية لاحقا، وتسبب في الاستياء العام لمواطنى الكوميونة؛ وتنشأ الخلافات عندما يقترح شخص ما شراء بيانو أو أجهزة علمية. وترفع عناصر التقدم راية التمرد. حيث لا يمكن للمجتمع أن يوجد فى ظروف تسحق كل شعور فردى، وكل ميل فني، وكل نمو شخصى.

فهل سوف تضطر كوميونة أناركية أن تعمل فى نفس الاتجاه؟ بكل وضوح لا، وإنه يجب أن يفهم أنه في حين أنها تنتج كل ما هو ضروري في الحياة المادية، فإنها يجب أن تسعى جاهدة لإشباع جميع احتياجات العقل البشري.

ثانيا

نعترف بصراحة أننا عندما نفكر في هاوية الفقر والمعاناة التي تحيط بنا، وعندما نسمع صرخة تنفطر لها القلوب من عامل يمشي في الشوارع و يتسول من أجل العمل، نكره مناقشة السؤال: كيف سوف يتصرف البشر في المجتمع، الذي لا يتم تغذية أعضاءه بشكل مناسب، لتلبية رغبة بعض الأفراد فى امتلاك قطعة من السيفر الصينى أو فستان من المخمل؟.

نحن نميل إلى الإجابة: دعونا نتأكد من الخبز أولا، وسوف نرى الصينى والمخمل في وقت لاحق.

ولكن بما أننا يجب أن نعترف أن الإنسان لديه احتياجات أخرى إلى جانب الغذاء، وبما أن قوة الأناركية تكمن بالضبط في إنها تتفهم جميع ملكات الإنسان وجميع عواطفه، ولا تتجاهل شيء منها، يجب علينا، في بضع كلمات، أن نشرح كيف يمكن للإنسان أن يدبر تلبية جميع احتياجاته الفكرية و الفنية.

ذكرنا سابقا انه من خلال العمل 4 أو 5 ساعات يوميا حتى سن خمسة و أربعين أو خمسين، فإن الإنسان يمكنه أن ينتج بسهولة كل ما هو ضروري لضمان الراحة للمجتمع.

ولكن يوم العمل لإنسان اعتاد على الكدح يتكون من ساعات، كان يوم العمل 10 ساعات لمدة 300 يوما في السنة، ويستمر طوال حياته. وبطبيعة الحال، عندما يتم إخضاعه إلى متطلبات تشغيل الآلة، فسرعان ما تتقوض صحته، ويقل ذكائه. ولكن عندما يكون لدى الإنسان إمكانية تغيير المهنة، وخاصة التناوب بين العمل اليدوى والعمل الذهني، ويمكن أن يبقى منشغل من دون تعب، وحتى مع المتعة، لمدة 10 أو 12 ساعة في اليوم. ونتيجة لذلك فإن الإنسان الذي سوف يستهلك 4 أو 5 ساعات من العمل اليدوي الضروري لوجوده، سيكون أمامه 5 أو 6 ساعات، وهو ما سوف يسعى لتوظيفه وفقا لذوقه. وهذه الساعات ال 5 أو 6 في اليوم سوف تمكنه بالكامل من توجيه نفسه في الاتجاه الذى يريده، واذا أرتبط مع الآخرين، فإن الجميع سوف يحققون كل ما يتمنوه، بالإضافة إلى الضروريات المكفولة للجميع.

سوف يؤدى مهمته أولا في هذا الحقل، أو ذاك المصنع، وهلم جرا، التي يدين بها للمجتمع كمساهمة منه في الإنتاج العام. وسوف يستخدم النصف الثاني من يومه، أو أسبوعه، أو سنته، لتلبية احتياجاته الفنية أو العلمية، أو هواياته المختلفة.

سوف تتشكل الآلاف من الجماعات لإرضاء كل الأذواق وكل النزوات الممكنة.

بعضهم، على سبيل المثال، سوف يعطون ساعات فراغهم للأدب. وبعد ذلك سوف يشكلون مجموعات تتألف من الكتاب، والمؤلفين، والطابعين، والرسامين، والمصورين، لتحقيق هدف مشترك هو نشر الأفكار العزيزة لديهم.

في الوقت الحاضر يعلم المؤلف أن هناك عبئا وحشيا يتحمله العامل، مقابل مبلغ من بضعة شلنات في اليوم، ليتعهد بطباعة كتابه. لكنه نادرا ما يهتم بمعرفة ماذا يكون الكتاب الذى يطبعه. إذا يعاني المنضد من التسمم بالرصاص، وإذا كان الطفل الذي يسهر على الآلة يموت من فقر الدم، فهناك فقراء تعساء أخرين ليحلوا محلهم؟.

ولكن عندما لن يكون هناك المزيد من المتضورين جوعا والمستعدين لبيع عملهم مقابل أجر زهيد، وبينما العامل المستغل اليوم سوف يتم تثقيفه، وسوف تكون أفكاره الخاصة مطبوعة باللونين الأبيض والأسود، ويتواصل مع الآخرين، عندئذ فالمؤلفون ورجال العلم سوف يجمعون فيما تينهم وبين الطابعون، من أجل طباعة نثرهم وشعرهم.

طالما ينظر البشر للعمل التافه والعمل اليدوي كعلامة على النقص، فإنه سوف يكون من المدهش لهم ان يروا المؤلف يعد كتابه الخاص للطباعة، ولكن عندما يختفي الازدراء الملتصق بالعمل اليدوي، عندما سوف يضطر الجميع إلى العمل بأيديهم، مع عدم وجود أي شخص يفعل ذلك لهم، فالمؤلفون وكذلك المعجبون بهم عندئذ سوف يتعلمون سريعا فن الجمع اليدوى للحروف و الطباعة؛ لأنهم سوف يعلمون متعة انجازهما معا - جميع المعجبين بالعمل الذي سيتم طباعته - لإعداده للطباعة، لصياغته فى صفحات، لأخذه من نقائه العذري إلى النشر. هذه الآلات الجميلة، أدوات تعذيب الأطفال الذين يعملون عليها من الضحى حتى المساء، سوف تكون مصدرا للمتعة لأولئك الذين سوف يستفيدون منها من أجل إنتشار أفكار المؤلف المفضل لديهم.

هـل سـوف يضيـع الأدب بهـذا؟ هـل سـوف يكـون الشـاعر أقـل شـعرا بعـد أن عمـل خـارج الأبـواب المغلقـة أو سـاعد بيديـه فى نـشر عملـه؟ هـل سـوف يفقـد الـروائي علمـه بالطبيعـة البشريـة بعـد أن هـز أكتافـه مـع رجـال آخريـن في الغابـة أو فى المصنـع، في تمهيـد طريـق أو مـد خـط سـكة حديـد؟ يمكـن أن يكـون هنـاك اثنـين مـن الأجوبـة عـلى هـذه الأسـئلة؟

ربمـا سـوف تكـون بعـض الكتـب أقـل ضخامـة. ولكـن عندئـذ، سـيقال الأكـثر عـلى صفحـات أقـل. ربمـا سـيتم نـشر عـدد أقـل مـن صفحـات النفايـات. ولكـن المـواد المطبوعـة سـتكون مقـروءة بالمزيـد مـن الاهتـمام وبتقديـر أكـثر. سـوف يتـاح هـذا الكتـاب لدائـرة أوسـع مـن القـراء الأفضـل تعليـما، الذيـن سـيكونوا أكـثر كفـاءة للحكـم عليـه.

وعـلاوة عـلى ذلـك، فـإن فـن الطباعـة، والـذي لم يتقـدم سـوى القليل منـذ جوتنبرج، لا يـزال في مراحلـه الأولى. يسـتغرق سـاعتين فى جمـع وطباعـة مـا هـو مكتـوب في عـشر دقائـق، ولكـن يجـري البحـث عـن طـرق أكـثر سرعـة لمضاعفـة السرعـة سـوف يتـم اكتشـافها فيـما بعـد.

مـا معنـى الشـكوى مـن أن كل كاتـب يأخـذ نصيبـه في طباعـة أعمالـه! مـا تحـرزه الطباعـة مـن تقـدم مـن شـأنه أن يجعلـه ممكنـا بالفعـل! ولا ينبغـي لنـا بعـد الآن أن نسـتخدم الكتابـات المنسـوخة، كـما كان عليـه الحـال في القـرن السـابع عـشر.

ثالثًا

هـل هـو حلـم تصـور المجتمـع الـذي يصبـح فيـه الجميـع منتجـين، ويحصـل فيـه الجميـع عـلى التعليـم الـذي يمكنهـم مـن ممارسـة العلـم أو الفـن، ولـدى الجميـع فيـه وقـت الفـراغ الـكافى للقيـام بذلـك - وسـوف يتجمـع فيـه البـشر لنـشر أعـمال مـن اختيارهـم، مـن خـلال مسـاهمة كل واحـد منهـم بنصيبـه مـن العمـل اليـدوي؟ لدينـا بالفعـل مئـات مـن المتعلمـين والكتـاب، والجماعـات الأخـرى؛ وهـذه الجماعـات ليسـت سـوى مجموعـات تطوعيـة مـن البـشر، والمهتمـين بفـروع معينـة مـن التعلـم، ومـا يرتبـط بهـا، تنتظـم مـن أجـل نـشر أعمالهـم. يكتـب الكتـاب فى دوريـات هـذه الجماعـات بـلا أجـر، والدوريـات ليسـت للبيـع. بـل يتـم إرسـالها مجانـا إلى جميـع أنحـاء المعمـورة، إلى الجماعـات الأخـرى، و المثقفـة بنفـس فـروع التعلـم. ويـدرج

العضو في هذه الجماعة في استعراضه مذكرة من صفحة واحدة تلخص ملاحظاته. وقد ينشر آخر فيها عمل واسع النطاق، ونتائج سنوات طويلة من الدراسة؛ في حين أن آخرين سوف يقصرون أنفسهم على الاسترشاد بالاستعراض بوصفه نقطة بداية لأبحاثهم اللاحقة. ليست مشكلة: أن يرتبط جميع هؤلاء الكتاب والقراء لإنتاج الأعمال التى تحظى منهم بالاهتمام.

صحيح أن الجماعة المتعلمة، مثل المؤلف الفردي، تذهب إلى مكتب الطباعة حيث يعمل العمال للقيام بالطباعة. في الوقت الحاضر، أولئك الذين ينتمون إلى الجمعيات العلمية يحتقرون العمل اليدوي. الذى في الواقع يتم فى ظروف سيئة للغاية. ولكن المجتمع الذي من شأنه أن يوفر التعليم الفلسفي والعلمي السخي لجميع أعضائه، من شأنه أن يعرف كيفية تنظيم العمل اليدوي في مثل هذه الطريقة بحيث سيكون مفخرة للإنسانية. أن الجمعيات العلمية سوف تصبح جمعيات المستكشفين ومحبي العلم والعمال، حيث يعرف فيها الجميع العمل اليدوى ومهتمين في نفس الوقت بمجال العلوم.

لو، على سبيل المثال، الجماعة العلمية تدرس الجيولوجيا، سوف يسهم الجميع في استكشاف طبقات الأرض. سيكون على كل عضو أن يأخذ نصيبه في مجال البحوث، وسوف يكون لدينا عشرة آلاف من المراقبين فى حين ليس لدينا الآن سوى مئات، يبذلون المزيد من الجهد في سنة مما كان يمكننا القيام به فى عشرين عاما. وعندما سينشر عشرة آلاف من الرجال والنساء والمهرة في مختلف المهن أعمالهم، وسوف يكونوا مستعدين لرسم الخرائط، ونقش التصاميم، وتأليف، وطباعة الكتب. سوف يغطى وقت فراغهم بفرح - في الصيف للاستكشاف وفي فصل الشتاء للعمل في الأماكن المغلقة، وعندما تظهر أعمالهم، سوف يجدون ليس فقط مائة، ولكن عشرة آلاف من القراء المهتمين بالعمل المشترك.

هذا هو الاتجاه الذي يتحرك إليه التقدم بالفعل. حتى فى هذه الأيام، عندما شعرت انجلترا بالحاجة إلى القاموس الكامل للغة الإنجليزية ، كانت المعضلة هى من الذي يستطيع أن يكرس حياته لهذا العمل، ومن ينتظر لأجله. فتمت مناشدة المتطوعين للعمل، وقدم ألف رجل خدماتهم، من تلقاء أنفسهم، ودون مبرر، لتصفح المكتبات، ولتدوين الملاحظات، وتم إنجازه في غضون سنوات قليلة وهو العمل الذي لا يمكن لرجل واحد أن يكمله في حياته. تندلع في جميع فروع الذكاء البشري نفس الروح لاحقا، ويجب أن يكون لدينا معرفة محدودة جدا

بالإنسانية كي لا نتمكن من أن نتوقع ان المستقبل يعلن نفسه في مثل هذه التعاونية المبدئية، والتي تحل تدريجيا مكان العمل الفردي.

فلكي يكون هذا القاموس عمل جماعي حقا، فإنه تطلب أن العديد من المتطوعين من الكتاب والطابعين ومراجعي الطابعة كان يجب عليهم أن يعملوا معا جماعيا، ولكن يتم عمل شيء في هذا الاتجاه بالفعل في الصحافة الاشتراكية، التي تقدم لنا أمثلة من العمل اليدوي والذهني جنبا إلى جنب. يحدث ذلك في صحفنا حيث يجمع المؤلف الاشتراكي حروف الرصاص لمقالته الخاصة. صحيح أن مثل هذه المحاولات نادرة، ولكنها تشير إلى أين يذهب إتجاه التطور.

هم يظهرون طريق الحرية. ففي المستقبل، عندما يكون لدى الإنسان شيء مفيد يقوله أو كلمة تتجاوز أفكار زمانه، فلن يبحث عن الناشر الذي قد يقدم رأس المال اللازم. ولكنه سوف يبحث عن المتعاونين من بين أولئك الذين يعرفون حرفة الطباعة، والذين يوافقون على فكرة عمله الجديد. ومعا سوف ينشرون كتاب جديد أو مجلة.

وسوف تتوقف الآداب والصحافة عن أن تكونا وسائل لصنع المال والعيش على حساب الآخرين. لكن هل هناك أي شخص يعرف أوساط الآداب والصحافة من داخلهما، ولا يرغب بحماس فى أن الأدب يجب أن يكون في نهاية المطاف قادر على تحرير نفسه من أولئك الذين كانوا يحمونه سابقا، والذين يستغلونه الآن، ومن الجموع التي تدفع الأدب بما يتناسب مع رداءتها، أو للسهولة التي يكيف نفسه بها لإرضاء الذوق السيء للعدد الأكبر مع استثناءات نادرة ؟

سوف تأخذ الآداب والعلوم مكانهما الصحيح فقط في تحقيق التنمية البشرية عندما يتحرران من كل عبودية الارتزاق، وسوف يرعاهما بشكل خاص أولئك الذين يحبونهما، ومن أجل أولئك الذين يحبونهما.

رابعًا

يجب أن يرعى البشر الأحرار الأدب والعلم والفن. في هذه الحالة فقط سوف ينجحون في تحرير أنفسهم من نير الدولة، ومن رأس المال، ومن الرداءة البرجوازية التي تخنقهم.

ما هي الوسائل التى لدى العالم اليوم لممارسة الأبحاث التي تهمه؟ يجب أن يسأل المساعدة من الدولة، والتي يمكن أن تمنحها فقط لمرشح واحد من مائة، والتي لا يمكن أن يحصل عليها الذين لا يعدون ظاهريا بالحفاظ على المسار المعتاد؟ دعنا نتذكر كيف أن معهد فرنسا وجه اللوم لداروين، وكيف أن أكاديمية سانت بطرسبورغ عاملت مانديليف بازدراء، وكيف رفضت الجمعية الملكية في لندن نشر ورقة جول، والتي كانت تحدد المعادل الميكانيكي للحرارة، واعتبرته غير علمي. "[6]

ذلك هو السبب في أن كل البحوث الكبيرة، وكل الاكتشافات فى ثورة العلم، قد أنجزت خارج الأكاديميات والجامعات، إما عن طريق رجال أغنياء بما فيه الكفاية ليبقوا مستقلين، مثل داروين وليل، أو من قبل الرجال الذين تقوضت صحتهم من خلال العمل في الفقر، وغالبا ما عاشوا في ضائقة كبيرة ، وضياع ما لا نهاية له من وقتهم لعدم وجود مختبر لديهم، وكونهم كانوا غير قادرين على شراء الوثائق أو الكتب اللازمة لمواصلة بحوثهم، ولكنهم يثابرون تجاه الأمل، وغالبا ما يموتون قبل الوصول إلى النهاية برؤية اسمهم مشهود للعيان.

وإجمالا، فإن نظام المساعدة التي تمنحها الدولة من السوء بحيث أن العلم قد سعى دائما لتحرير نفسه منه. ولهذا السبب بالذات هناك الآلاف من الجمعيات العلمية المنظمة المستقلة، والتي يحافظ علي استمرارها المتطوعون في أوروبا وأمريكا، وتطور البعض منها لدرجة أن جميع مواردها تأتى من جماعات المساعدة الفرعية، ومن ثروة أصحاب الملايين التى لن تشترى كنوزهم. ولا توجد مؤسسة حكومية غنية مثل جمعية علوم الحيوان في لندن، التي تدعمها التبرعات الطوعية.

فإنها لا تشترى الحيوانات التي بآلاف الموجودة فى حدائقها: حيث ترسلها الجمعيات الأخرى والجامعون للحيوانات في العالم بأسره. فقد أرسلت جمعية علوم الحيوان في بومباي فيل كهدية. وقدم الطبيعيون المصريون فى وقت آخر فرس النهر أو وحيد القرن.

وتتدفق هذه الهدايا الرائعة في كل يوم، وتصل من جميع أنحاء المعمورة الطيور، والزواحف، ومجموعات من الحشرات وغيرها، وتضم هذه الشحنات غالبا الحيوانات التي لا يمكن شراؤها بكل الذهب في العالم؛ وبالتالي، المسافر الذي قد

اصطـاد تلـك الحيوانـات في مخاطـرة بالحيـاة، والـذى يحبهـا مثلـما يحـب الأطفـال، سـوف يعطيهـا للجمعيـة لأنـه متأكـد مـن أنهـا سـوف تعتنـي بهـا. في حـين أن رسـوم الدخـول التـي يدفعهـا الـزوار معـدودة، وتكفـي للحفـاظ عـلى هـذه المؤسسـة الكبـيرة.

العيـب في جمعيـة علـوم الحيـوان في لنـدن، وفي الجمعيـات المشـابهة الأخـرى، هـو أن العـمال لا يمكنهـم دفـع رسـوم العضويـة حيـث أن الحـراس والعديـد مـن الموظفـين في هـذه المؤسسـة الكبـيرة غـير معـترف بهـم كأعضـاء في الجمعيـة، في حـين أن الكثـير مـن الأعضـاء ليـس لديهـم حافـز آخـر للانضـمام إلى الجمعيـة سـوى وضـع الحـروف الكبـيرة FZS (زميـل جمعيـة علـم الحيـوان) عـلى بطاقـات تعارفهـم. في كلمـة واحـدة، مـا نحتاجـه هـو تعـاون أكـثر كـمالا.

يمكننـا أن نقـول الـشيء نفسـه عـن المخترعـين مـا قلنـاه عـن العلـماء. مـن الـذي لا يعـرف مـا عانـاه تقريبـا جميـع المخترعـين الكبـار مـن تكلفـة حتـى ظهـرت اختراعاتهـم إلى النـور ؟ الليـالي الطـوال، و الأسر المحرومـة مـن الخبـز، والاحتيـاج لـلأدوات والمـواد اللازمـة للتجـارب، هـو تقريبـا تاريـخ جميـع أولئـك الذيـن أثـروا الصناعـة بالاختراعـات التـي هـى مـبرر الفخـر بحـق لحضارتنـا.

ولكـن مـا علينـا القيـام بـه لتغيـير الظـروف التـى يقتنـع الجميـع أنهـا سـيئة؟ وقـد حاولـت إصلاحهـا بـراءات الاخـتراع، ونحـن نعـرف مـا كانـت النتيجـة. يبيـع المخـترع اختراعـه ببضـع شـلنات، ويحصـد الرجـل الـذي قـدم الرأسـمال فقـط الأربـاح الهائلـة الناجمـة عـن الاخـتراع في كثـير مـن الأحيـان. إلى جانـب ذلـك، عزلـت بـراءات الاخـتراع المخـترع. حيـث أنهـا تجـبره عـلى الحفـاظ عـلى سريـة أبحاثـه التـي بالتـالي قـد تنتهـي بالفشـل. في حـين أن أبسـط اقـتراح، يقـدم إليـه مـن دمـاغ أقـل اسـتيعابا للفكـرة الأساسـية، يكفـي أحيانـا لإخصـاب الاخـتراع، وجعلـه عمـلي. وتعيـق بـراءات الاخـتراع مثـل كل تحكـم للدولـة تقـدم الصناعـة. و كـون الفكـرة غـير قـادرة عـلى الحصـول عـلى بـراءة اخـتراع، تشـكو بـراءات الاخـتراع مـن الظلـم مـن الناحيـة النظريـة، ومـن الناحيـة العمليـة فإنهـا تـؤدي إلى واحـدة مـن العقبـات الكـبرى أمـام التطـور السريـع للاخـتراع.

مـا هـو مطلـوب لتعزيـز روح الاخـتراع هـو، أولا وقبـل كل شيء، صحـوة الفكـر وجـرأة المفهـوم، والـذي يضعفـه نظـام تعليمنـا بأكملـه. وذلـك بنـشر التعليـم العلمي، الـذي مـن شـأنه أن يزيـد عـدد الباحثـين مائـة ضعـف. والإيمـان بـأن البشريـة سـوف

نخطو خطوة هائلة إلى الأمام، لأن حماسها والأمل في فعل الخير، ألهم كل المخترعين الكبار. ويمكن للثورة الاجتماعية وحدها أن تعطي هذا الدافع إلى التفكير، وهذه الجراءة، وهذه المعرفة، وهذه القناعة بالعمل للجميع

ثم يتعين علينا تزويد المعاهد الكبيرة بمحرك قوة، و أدوات من جميع الأنواع، وأن تكون المختبرات الصناعية الهائلة متاحة لجميع الباحثين، حيث البشر سوف يكونوا قادرين على العمل على تحقيق أحلامهم، بعد أن يكونوا أبرأوا أنفسهم من واجبهم تجاه المجتمع. حيث سوف يقضون خمس أو ست ساعات من وقت فراغهم. يمارسون تجاربهم. حيث سيجد الرفاق الآخرين، والخبراء في فروع أخرى من الصناعة، وبالمثل القادمين للدراسة بعض المشاكل الصعبة، وبالتالي يصبحوا قادرين على مساعدة وتنوير بعضهم البعض، وسوف يؤدى لقاء الأفكار والخبرات في ايجاد حلول طال انتظارها. ومرة أخرى، هذا ليس حلما. إنه بالفعل متحقق جزئيا فى Solanoy Gorodok، في بطرسبورغ فيما يتعلق بالمسائل التقنية. وهو مصنع مؤثث بشكل جيد بالأدوات ومتاحا للجميع؛ ويتم فيه توفير الأدوات، ومحركات القوة دون مقابل، ويتم توفير المعادن والخشب فقط بسعر التكلفة.

للأسف يذهب العمال فقط هناك في الليل بينما عانوا العمل عشر ساعات في ورشة العمل. وعلاوة على ذلك، فإنهم يخفون بعناية اختراعاتهم من بعضهم البعض، كما يواجهون عقبات بسبب براءات الاختراع و الرأسمالية، أن آفة المجتمع الحالي، تقف عثرة في طريق التقدم الفكري والأخلاقي.

خامسًا

وماذا عن الفن؟ نسمع الرثاء من جميع الجهات بسبب تدهور الفن. ونحن، في الواقع، ذهبنا بعيدا وراء السادة الكبار في عصر النهضة. وقد أحرزت الجوانب التقنية للفن في الآونة الأخيرة تقدما كبيرا. الآلاف من الناس الموهوبين بمقدار معين من المواهب، مثقفين فى كل فرع، ولكن يبدو أن الفن ابتعد عن الحضارة! ح يتوفر التقنيات الحديثة فرص التقدم، ولكن يتردد الإلهام فى استوديوهات الفنانين أقل من أي وقت مضى.

مـن أيـن يمكـن أن تلهـم الفـن فكـرة عظيمـة؟ مـن الواقـع فقـط. فالفـن مرادفنـا المثـإلى للخلـق، إنـه يجعلنـا نتطلـع إلى الأمـام. لكـن مـع وجـود قلـة نـادرة، واسـتثناءات نـادرة جـدا، لا يـزال الفنـان المحـترف يبقـى غـير مثقـف جـدا ليـدرك آفـاق جديـدة.

وعـلاوة عـلى ذلـك، هـذا الإلهـام لا يمكـن أن يـأتي مـن الكتـب. فيجـب اسـتخلاصه مـن الحيـاة، والمجتمـع الحـالي لا يمكـن أن يثـير ذلـك.

رسـم كل مـن رافائيـل وموريللـو في الوقـت الـذي كانـا فيـه يبحثـان عن مثـال جديد يمكـن أن يكيـف نفسـه للتقاليـد الدينيـة القديمـة. رسـما لتزيـين الكنائـس العظيمـة التـي مثلـت عمـل تقـي لعـدة أجيـال. فطـراز البازليـك بمظهـره الأسـطورى، و عظمتـه، كان متصـل مـع الحيـاة نفسـها فى المدينـة، ومـن ثـم كان يمكـن أن تلهـم الرسـام. فعندمـا كان يبـدع الفنـان نصـب تـذكاري شـعبي. فإنـه يتحـدث أولا إلى زملائـه مـن المواطنـين، وفي المقابـل يحصـل عـلى الإلهـام. ويناشـد العديـد بالطريقـة نفسـها عندمـا يصمـم صحـن الكنيسـة، والركائـز، والزجـاج الملـون، والتماثيـل، والأبـواب المنحوتـة. في الوقـت الحـاضر فـإن أعظـم شرف لرسـام يمكـن أن يطمـح إليـه هـو أن نـرى قماشـه، مؤطـر في الخشـب المذهـب، ومعلـق في متحـف، الـذى هـو نوعـا مـن متجـر الأنتيـكات القديمـة، حيـث تـرى، كـما هـو الحـال في متحـف بـرادو، لوحـة الصعـود لموريللـو بجـوار لوحـة متسـول فيلاسـكيز و كلاب فيليـب الثـاني. فيلاسـكيز البائـس و موريللـو البائـس! التماثيـل اليونانيـة البائسـة التـي كانـت تنتصـب في مدنهـم في الأكروبـول ، معلقـة الآن تحـت قطعـة قـماش حمـراء فى متحـف اللوفـر

عندمـا نحـت النحـات اليونـاني رخامـه فإنـه سـعى للتعبـير عـن روح وقلـب المدينـة. كل أهواءهـا، وكل تقاليـد مجدهـا، كانـت المدينـة تعيـش مـرة أخـرى في العمـل الفنـى. ولكـن اليـوم لم يعـد للمدينـة المتحـدة وجـود. لا يوجـد المزيـد مـن تواصـل الأفـكار بـين النـاس. وأصبحـت البلـدة مجـرد فرصـة تكـدس للنـاس الذيـن لا يعرفـون بعضهـم البعـض، الذيـن ليـس لديهـم مصلحـة مشـتركة فيـما بينهـم، إذ يحافظـون عـلى إثـراء أنفسـهم عـلى حسـاب بعضهـم البعـض. فـلا وجـود للوطـن .... فـما هـو الوطـن الـذى يمكـن أن يكـون مشـتركا بـين المـصرفي الـدولي وملتقط الخـرق فى الشـوارع؟ فقـط عندما تصبـح حيـاة السـكان منسـجمة فى المـدن والأقاليـم والـدول، أو مجموعـة مـن الـدول، ، سـوف يكـون الفـن قـادر عـلى رسـم إلهامـه مـن المثـل العليـا النابعـة مـن القواسـم المشـتركة بينهـم. عندئـذ سـوف يتصـور مهنـدس نصـب تـذكاري في المدينـة التـي لـن يكـون المعبـد أو السـجن، أو الحصـن. عندئـذ يعـرف الرسـام والنحـات، والنقـاش،

والزخرفي. والعامل أين يضعون لوحاتهم، وتماثيلهم، وزينتهم؛ التى تستمد قوتها من تنفيذها من المصدر الحيوي نفسه، ويسيرون بروعة معا نحو المستقبل.

ففى ذلك الوقت يمكن للفن أن يثمر فقط. فأفضل لوحات زيتية للفنانين المعاصرين تلك التي تمثل الطبيعة والقرى والوديان والبحر ومخاطره، الجبل وروائعه. ولكن كيف يمكن للرسام أن يعبر عن شعور العمل في الحقول لو تأمله فقط، يتصوره كذلك، إذا لم يجرب أبدا سعادته في ذلك بنفسه؟ إذا كان يعلم عنه فقط مثلما يعرف الطيور فى الريف الذي تحلق فوقه فى هجراتها؟ لو في حيوية الشباب المبكر، لم يتبع المحراث عند الفجر، وتمتع بقص العشب من مساحة كبيرة بالمنجل بجانب صناع القش الذين يتنافسون بصعوبة في حيوية مع الفتيات الصغيرات النشيطات اللواتى يملئن الجو مع أغانيهن؟ لم يحصل على حب الأرض وما ينمو عليها مرسوما من قبل بفرشاة الرسم - إنه فقط في خدمتها. و ما هو بدون محبة، كيف يمكن رسمه؟. هذا هو السبب فى أن إنتاج أفضل الرسامين في هذا الاتجاه لا يزال ناقصا جدا، وليس صحيحا للحياة، دائما تعبير وجداني لشكل مجرد تقريبا. ولا يوجد قوة فى ذلك.

ينبغى أن ترى غروب الشمس عند العودة من العمل. يجب أن تكون فلاح بين الفلاحين للحفاظ على روعته في عينك. لفهم شعور الصيد يجب أن تكون في عرض البحر مع الصيادين كل ساعات النهار والليل، وتصيد بنفسك، وتكافح الموجات فى مواجهة العاصفة، وبعد العمل الشاق تشهد فرحتهم وهم يحملون الشبكة الثقيلة، أو خيبة الأمل عند رؤيتها فارغة. لفهم قوة الإنسان، وللتعبير عن ذلك في عمل فني، يجب أن تكون قد قضيت زمن في المصنع، تعرف أعباء ومباهج العمل الإبداعي، صهرت المعادن بنار مشرقة فى الفرن العالي، و شعرت بالحياة في آلة، يجب في الواقع، أن تنفذ إلى المشاعر الشعبية، لوصفها. إلى جانب ذلك، فإن أعمال فنانين المستقبل الذين سوف يكونوا قد عاشوا حياة الناس، مثل الفنانين الكبار من الماضي، لن تكون موجهة للبيع. وسوف تكون جزءا مكمل لكل المعيشة التي لن تكتمل بدونها، أي أكثر مما كان يمكن أن يكون كاملا من دون ذلك. سوف يذهب البشر إلى مدينة الفنان الخاصة للتحديق في عمله، والجمال الحماسي والهادئ لمثل هذه الإبداعات سوف يكون له تأثير مفيد على القلب والعقل.

لكي يتطور الفن، يجب أن يرتبط مع الصناعة بألف طريقة وسيطة بحيث يكونا منصهرين، لذلك أقول، كما أثبت كل من روسكين والشاعر الاشتراكي الكبير موريس في كثير من الأحيان وبشكل جيد جدا. كل ما يحيط بالإنسان، في الشارع، في الداخل والخارج من المعالم العامة، يجب أن يكون له الشكل الفني الخالص.

ولكن هذا لن يُكون مقدورا على تحقيقه فقط إلا في المجتمع الذي يتمتع فيه الجميع بالراحة والترفيه. عندئذ سنرى جمعيات الفن، والتي يمكن للجميع أن يجدوا فيها مجالا لاثبات قدرتهم، فلا يمكن للفن أن يستغنى عن ما لا نهايه له من الأعمال التكميلية اليدوية والفنية البحتة. سوف تنخرط هذه الجمعيات الفنية لتجميل منازل أعضائها، مثل هذا النوع من المتطوعين، والرسامين الشباب من أدنبره، الذين قاموا بتزيين الجدران والسقوف لمستشفى كبير للفقراء في مدينتهم.

وهناك الرسام أو النحات الذي أنتج عمل ليعبر عن شعوره الشخصي ليقدمه إلى المرأة التي يحبها، أو لصديق. نفذه لأجل طلب الحب، هل عمله، المستوحى من الحب، يكون فن أقل شأنا من الذي يرضي اليوم غرور غير المثقف لأنه يكلف الكثير من المال؟

وهذا ما سوف يحدث أيضا فيما يتعلق بجميع المتع التى لا تندمج في ضرورات الحياة. من يتمنى حيازة بيانو كبير سوف يدخل جمعية صناع الآلات الموسيقية. وبإعطاء الجمعية جزء من وقت فراغه أنصاف أيام، فإنه سوف يمتلك سريعا بيانو أحلامه. وإذا كان مولعا بحماس بالدراسات الفلكية سينضم إلى رابطة علماء الفلك، مع فلاسفتها ومراقبيها، وجامعيها ، ومع فنيها المختصين في الآلات الفلكية، وعلماءها وهواتها، وإنه سوف يكون لديه التلسكوب حيث يرغب بأخذ نصيبه فى العمل المرتبط به، لأن العمل الخام يكون مطلوب بشكل ضرورى، فى وظيفة بناء مرصد فلكي مثل عمل النجار، وسباك المعادن، وعمل الميكانيكي، واللمسة الأخيرة التي تعطى صك الدقة من قبل الفنان.

وباختصار، فإن الخمس أو سبع ساعات يوميا والتي ستكون كلها تحت تصرفه، بعد أن كرس عدة ساعات لإنتاج الضروريات، سوف تكون بما فيه الكفاية لتلبية جميع الرغبات فى الترف مهما تنوعت. وتتعهد آلاف الجمعيات باشباعها. وما

هـو الآن شرف أقليـة ضئيلـة سـيكون متاحـا للجميـع. ويكـف الـترف عـن أن يكـون اسـتعراض وغبـاء ومصـدر لتباهـى الطبقـة البرجوازيـة، سـوف يصبـح متعـة فنيـة.

ان كل واحـد سـوف يكـون أكـثر سـعادة لذلـك. يقـوم بقلـب مـشرق للوصـول إلى الغايـة المرجـوة، كتـاب، أو عمـل فنـي، أو كائـن فخـم، الـكل سـوف يجـد الحافـز، والاسـترخاء الـضروري فى أن يجعـل الحيـاة ممتعـة، في العمـل الجماعـي.

بالعمـل لوضـع حـد للانقسـام بـين السـيد والعبـد، نعمـل مـن أجـل السـعادة للأثنـين عـلى حـد سـواء، مـن أجـل سـعادة البشريـة.

الفصل العاشر
العمل المقبول

أولا

عندما يعلن الاشتراكيون، إنه عندما سوف يتحرر المجتمع من رأس المال، فهذا من شأنه أن يجعل العمل مقبولا، وسوف يقمع كل الكدح البغيض وغير الصحي، يتلقون السخرية منهم. ولكن حتى اليوم يمكننا أن نرى التقدم المحرز في هذا الاتجاه؛ وكلما تم تحقيق هذا التقدم فأصحاب العمل يهنئون أنفسهم على توفير الطاقة التي تم الحصول عليها فيما يتصل بذلك.

من الواضح أن مصنع يمكن أن يتم بنائه حسب شروط صحية وممتعة مثل المختبر العلمي. و ليس أقل وضوحا من أنه سيكون من المفيد أن نفعل ذلك. فالعمل سوف يكون أفضل في مصنع فسيح وجيد التهوية ؛ ومن السهل إدخال التحسينات الصغيرة، التي كل واحدة منها تمثل توفير فى الوقت أو فى العمل اليدوي. وإذا كانت معظم حلقات العمل التى نعرفها كريهة وغير صحية، فذلك لأن العمال ليس لهم أى حساب عند تنظيم المصانع، ولأن الإهدار الأكثر عبثية للطاقة البشرية تكون ميزتها الخاصة.

ومـع ذلـك، والآن ومـرة أخـرى، نجـد بالفعـل بعـض المصانـع تـدار بشـكل جيـد بحيـث سـوف يكـون مـن المتعـة الحقيقيـة العمـل فيهـا، إذا كان العمـل، لـو كان ذلـك مفهومـا جيـدا، لم يكـن ليسـتمر لأكـثر مـن أربـع أو خمـس سـاعات يوميـا، وإذا كان لـكل واحـد إمكانيـة متفاوتـة فى المشـاركة فيـه وفقـا لذوقـه.

انظـروا إلى هـذا المصنـع، المكـرس للأسـف لآلات الحـرب. فهـو مثـالي بقـدر مـا يتعلـق بالتنظيـم الصحـي والـذكي. ويحتـل خمسـين فدانـا مـن الأراضي الإنجليزيـة، خمسـة عـشر منهـا مسـقوفة بالزجـاج. ومرصـوف بالطـوب الواقـى مـن النـار وأنظـف مـن كـوخ عامـل منجـم، ويتـم تنظيـف السـقف الزجاجـي بعنايـة مـن قبـل فرقـة مـن العـمال الذيـن لا يفعلـون شيئا آخـر. تصنـع في هـذا المصنـع سـبائك الصلـب التـى يبلغ وزنهـا بقـدر عشريـن طنـا. وبينـما ينتصـب الفـرن الهائـل مرتفعـا ثلاثـين قدمـا، و الـذي تبلـغ درجـة حـرارة نيرانـه أكـثر مـن ألـف درجـة، لا تتوقـع حفـظ وجودهـا عندمـا يفتـح فكـه الكبـير للسـماح بخـروج الصلـب المنصهـر. والـذى يتـم تناولـه مـن قبـل ثلاثـة أو أربعـة مـن العـمال فقـط، الذيـن حينهـا هنـا، و هنـاك، يفتحـون السـدادة، مـما يحـرك رافعـات ضخمـة لنقلـه بواسـطة ضغـط الميـاه في الأنابيـب.

عندمـا تدخـل تتوقـع أن تسـمع ضجيـج يصـم الآذان مـن المطـارق، ولكنـك تجـد أنـه لا توجـد مطـارق. بـل هـي مدافـع المائـة طـن الهائلـة و أعمـدة نقـل السـفن البخاريـة عابـرة الأطلـسي التـى تشـكل بواسـطة الضغـط الهيدروليـكي، وبـدلا مـن تشـكيل الصلـب، يحـول العامـل السـدادة للقالـب لاعطائـه الشـكل المطلـوب ، مـما يجعـل المعـدن أكـثر تجانسـا الآن، دون شرخ أو عيـب، أيـا كان سـمكه.

ونحـن نـرى الحاجـز الشـبكى الجهنمـى، ونجـد الآلات التـي تقطـع كتـل الصلـب بطـول ثلاثـين قدمـا مـع عـدم وجـود مزيـد مـن الضجيـج أكـثر مـما هـو مطلـوب لقطـع الجـبن. وعندمـا عبرنـا عـن إعجابنـا بذلـك للمهنـدس الـذي كان يصاحبنـا للـشرح فى الجولـة، أجـاب -

"إنهـا مجـرد مسـألة توفـير! هـذه الآلـة، التـى تشـكل الصلـب، الـذى مـن المعتـاد أن تسـتخدم لمـدة اثنـين وأربعـين عامـا. لـن تسـتمر عـشر سـنوات إذا أن الأجـزاء المكونـة لهـا، مركبـة بشـكل سيء، وتفتقـر إلى القـوة المتماسـكة، حيـث "تتداخـل" وتتصـدع مـع كل حركـة مـن القالـب! "

واضاف "و فتح الفرن؟ للسماح للحرارة أن تهرب منه بدلا من الاستفادة من ذلك ما هو إلا لإهدار الطاقة. لماذا يلام سباك المعادن، بينما الحرارة المفقودة بالإشعاع تمثل طن من الفحم؟ "

"إن المطارق التي تجعل المباني تهتز لخمسة فراسخ إهدار أيضا! فمن الأفضل أن يكون تشكيل الحديد بالضغط بدلا من الطرق، وأنه أقل تكلفة مثلما هو أقل خسارة "

"في المصنع، الضوء، والنظافة، والمساحة المخصصة لكل مقعد، مجرد قضية بسيطة من التوفير. يكون العمل أفضل كما ترون لأن لديك مساحة للتحرك في جميع أنحاء المكان ".

وقال: "هذا صحيح؛ لقد كنا بمكان ضيق جدا قبل المجيء إلى هنا. الأرض مكلفة جدا في محيط المدن الكبيرة - وملاك الأرض جشعون فى ذلك "!

بل لعله حتى في المناجم. ونحن نعرف ما هي المناجم فى مثل هذه الأيام من وصف زولا ومن التقارير الصحفية. ولكن المناجم في المستقبل سوف تكون جيدة التهوية، مع تنظيم درجة الحرارة بسهولة كما فى مكتبة. لن تكون هناك الخيول التى مصيرها الموت تحت الأرض: سيتم تنفيذ الجر من تحت الأرض عن طريق كابل تلقائي بحيث تبدأ الحركة من فم الجب. والمراوح سوف تعمل دائما، وسوف لن يكون هناك انفجارات أبدا. هذا ليس حلما. مثل هذا المنجم بالفعل موجود في انكلترا؛ حيث ذهبنا إليه. هنا مرة أخرى هذا التنظيم مجرد مسألة الاقتصاد. المنجم الذي نتحدث عنه، على الرغم من عمقه الكبير (466 باردة)، ويبلغ حجم إنتاجه ألف طن من الفحم يوميا، يشغله مئتين من عمال المناجم فقط - خمسة أطنان يوميا لكل عامل، في حين أن المتوسط بالنسبة للألفى منجم في انكلترا هي بالكاد ثلاثمائة طن سنويا لكل رجل.

إذا لزم الأمر، يمكننا أن نضاعف الأمثلة التي تثبت أن حلم فورييه بشأن تنظيم الموارد لم يكن يوتوبيا.

ومع ذلك، فقد تم مناقشة هذه المسألة بشكل متكرر في الصحف الاشتراكية بحيث تعلم الرأي العام. إنه يمكن أن يكون المصنع، والمسبك، والمنجم صحي و رائع كما أرقى المختبرات في الجامعات الحديثة، وسوف يزيد المزيد من التنظيم الأفضل من إنتاج عمل الإنسان.

إذا أن كان الأمـر كذلـك، هـل يمكننـا أن نشـك في أن العمـل سـوف يصبـح مـن دواعـي السـرور والاسـترخاء في مجتمـع المسـاواة، والـذى فيـه "الأيـدي العاملـة" لـن تكـون مضطـرة لبيـع نفسـها إلى الكـدح، و قبـول العمـل تحـت أي ظـرف مـن الظروف؟ و سـوف تختفـي المهـام البغيضـة، لأنـه مـن الواضـح أن هـذه الـشروط غـير الصحيـة ضـارة للمجتمـع ككل. يمكـن أن تخضـع العبيـد لهـا، ولكـن الرجـال الأحـرار سـوف يخلقـون ظـروف جديـدة، وسـوف يكـون عملهـم ممتعـا، وأكـثر إنتاجيـة بـلا حـدود. وسـوف تكـون الاسـتثناءات اليـوم القاعـدة غـدا.

والـشيء نفسـه سـوف يحـدث فيـما يتعلـق بالعمـل المنـزلي، الـذي يضعـه المجتمـع اليـوم عـلى أكتـاف المـرأة كادحـة الإنسـانية.

ثانيًا

و مـن المؤكـد أن المجتمـع المجـدد بالثـورة سـوف يجعـل العبوديـة المنزليـة تختفـي، وهـذا شـكل آخـر مـن أشـكال العبوديـة، وربمـا أكـثر عنـادا في الـزوال، لأنـه هـو أيضـا الأكـثر قدمـا. إلا إنـه لـن يتحقـق بالطريـق الـذى يحلـم بهـا أنصـار الفلانسـتيرز، ولا بالطريقـة التـى غالبـا مـا يتصورهـا الشـيوعيون السـلطويون.

الفلانسـتيرز بغيضـة للملايـين مـن البـشر. يشـعر الإنسـان الأكـثر تحفظـا بالتأكيـد بـضرورة الاجتـماع برفاقـه لغـرض العمـل المشـترك، الـذي يصبـح أكـثر جاذبيـة، والـذى يجعلـه يشـعر أكـثر بنفسـه كجـزء مـن وحـدة متكاملـة هائلـة. ولكـن الأمـر ليـس كذلـك بالنسـبة لسـاعات الفـراغ، التـى يحـب أن يحتفـظ بهـا للراحـة والحميميـة. والفلانسـتيرز لا تأخـذ هـذا في الاعتبـار، حيـث إنهـا تسـعى إلى توفـير هـذه الحاجـة مـن خـلال التجمعـات الصناعيـة.

و الفلانسـتيرز إحـدى أنـواع المسـتعمرات، والتـي هـي في واقـع الأمـر ليسـت شـيئا أكـثر مـن فنـدق ضخـم، يمكـن إن يـرضى البعـض، وحتـى في فـترة معينـة مـن حياتهـم، ولكـن السـواد الاعظـم يفضـل الحيـاة الأسريـة (الحيـاة الأسريـة في المسـتقبل، إذا كان ذلـك مفهومـا). انهـم يفضلـون الشـقق المعزولـة، حتـى أن النورمـان والأنجلـو ساكسـون ذهبـوا إلى أبعـد مـن ذلـك حيـث يفضلـون المنـازل المكونـة مـن 6 إلى 8 غرفـة، بحيـث يمكـن أن يعيـش فيهـا كل فـرد عـلى حـدة سـواء أفـراد الأسرة، أو تجمـع مـن الأصدقـاء. أحيانـا الفلانسـتيرز تكـون ضرورة، ولكنهـا سـوف تكـون بغيضـة، تلـك

هـى القاعـدة العامـة. الرغبـة العاديـة للطبيعـة البشريـة هـى العزلـة، بالتنـاوب مـع الوقـت الـذي يتـم قضائـه في المجتمـع، وهـذا هـو السـبب في أن واحـدة مـن أعظـم طـرق التعذيـب في السـجن هـو اسـتحالة توفـير العزلـة للسـجين، بقـدر مـا يصبـح الحبـس الانفـرادي للسـجين تعذيـب بـدوره، عندمـا لا يكـون بالتنـاوب مـع سـاعات مـن الحيـاة الاجتماعيـة.

أمـا بالنسـبة لاعتبـارات الاقتصـاد، التـي تـؤدى في بعـض الأحيـان للضغـط لصالـح الفلانسـتيرز، فقـد وضعهـا الحرفيـون الصغـار. الاقتصـاد الأكـثر أهميـة، والخيـار الوحيـد المعقـول، هـو جعـل الحيـاة ممتعـة للجميـع، لأن الرجـل الـراض عـن حياتـه ينتـج أكـثر بكثـير مـن الرجـل الـذي يكـره مـا يحيطـه. [7].

يرفـض الاشـتراكيون الآخـرون الفلانسـتيرز. ولكـن عندمـا تسـألهم كيـف يمكـن تنظيـم العمـل المنـزلى، يجيبـون: "كل شـخص يمكـن أن يؤدى"عملـه"، تديـر زوجتـي المنـزل، كـما تقـوم زوجـات البرجوازيـين بدورهـم "ولـو كان الـذي يتحـدث برجـوازي يلعـب دور اشـتراكي، سـيضيف، مـع ابتسـامة كريمـة لزوجتـه:" أليـس صحيحـا، حبيبتـي، إنـك سـوف تعملـين دون أن تكـونى موظفـة في المجتمـع الاشـتراكي؟ هـل سـوف تعملـين مثـل زوجـة رفيقنـا الطيبـة بـول أو زوجـة جـون النجـار؟ ".

يعتقد الرجل دائما أن على المرأة خادمة أو زوجة، أن تقوم بالعمل المنزلى.

لكـن المـرأة، أيضـا، تطالـب أخـيرا بنصيبهـا - في تحـرر الإنسـانية. انهـا لم تعـد تريـد أن تكـون وحشـا مـن تحمـل أعبـاء المنـزل. وإنهـا تعتـبر إعطـاء سـنوات طويلـة مـن حياتهـا لتربيـة أطفالهـا عمـل كافي. انهـا لم تعـد تريـد أن تكـون الطباخـة، والمداويـة، ومنظفـة المنـزل! وبالنظـر إلى النسـاء الأميركيـات فقـد أخـذن زمـام المبـادرة في الحصـول عـلى مطالبهـن، وهنـاك شـكوى عامـة مـن نـدرة النسـاء اللـواتى يفضلـن العمـل المنـزلي في الولايـات المتحـدة.

تفضـل سـيدتي الفـن أو السياسـة أو الأدب، أو طـاولات اللعـب. فيـما يتعلـق بالفتيـات العامـلات، فهنـاك قلـة، مـن اللـواتى يوافقـن عـلى قبـول مئـزر العبوديـة، ويتـم العثـور عـلى الخادمـات بصعوبـة في الولايـات المتحـدة تامـة. و نتيجـة لذلـك، تـم الإشـارة إلى حـل، واحـد بسـيط جـدا، مـن الحيـاة نفسـها. سـوف تتعهـد الآلات بثلاثـة أربـاع همـوم الأسرة.

أصبغ أحذيتك، وسوف تعرف كم هو سخيف هذا العمل. ماذا يمكن أن يكون أكثر غباءا من تلميع الحذاء عشرين أو ثلاثين مرة بالفرشاة؟ ويجب على عشر سكان أوروبا أن يكونوا مرغمين على بيع أنفسهم في مقابل الحصول على مأوى بائس مع عدم كفاية الغذاء، ويجب على المرأة أن تعتبر نفسها عبدا، من أجل أن الملايين من بنات جنسها ينبغي أن يمارسن هذا الأداء كل صباح.

ولكن مصففي الشعر لديهم بالفعل آلات تنظيف الرؤوس اللامعة أو صوفية الشعر. لماذا لا ينبغي لنا تطبيق، نفس المبدأ على الطرف الآخر إذن؟ ذلك ما تم القيام به، هذه الأيام يتم توفير جهاز لتلوين الأحذية للاستخدام العام في الفنادق الأميركية والأوروبية الكبيرة. وينتشر استخدامه خارج الفنادق. وفي المدارس الإنجليزية الكبيرة، حيث يذهب التلاميذ إلى مقرات الدراسة، قد وجد أنه من الأسهل أن يتم إنشاء جهاز يتعهد بتلميع ألف زوج من الأحذية كل صباح.

بينما للغسيل! أين يمكن أن نجد ربة منزل التي ليس لديها رعب من هذا العمل لفترات طويلة وقذرة، الذي يتم عادة باليد، فقط لأنه عمل العبد المنزلي المجانى من أي حساب.

يفعلون في أمريكا الأفضل، وهناك بالفعل عدد من المدن التي يتم فيها نقل المياه الساخنة للمنازل مثل الماء البارد في أوروبا. في ظل هذه الظروف كانت المشكلة بسيطة واحدة، وامرأة تسمى السيدة كوكرين هى التى حلتها. تغسل آلتها المنزلية إثنتي عشر من أدوات المائدة أو الأطباق، مع مناديل تجففهم لها من البلل، في أقل من ثلاث دقائق. ويقوم مصنع في ولاية إيلينوي بتصنيع هذه الأجهزة ويبيعها بسعر في متناول يد ذوى الدخل المتوسط من الطبقة المتوسطة. ولماذا لا ينبغي أن ترسل الأسر الأواني الفخارية الصغيرة لمؤسسة متخصصة فى تنظيفها كما ترسل أحذيتهم للتلميع؟ بل لعله من المحتمل أن الوظيفتين، التنظيف والغسيل، سوف يتعين أن تضطلع بهما الرابطة نفسها.

تنظيف، و فرك جلد الأيدى عند غسل وعصر الكتان؛ وكنس الأرض وتنظيف السجاد، وبالتالي رفع سحب من الغبار لطردها من الأماكن التي استقرت بها، التي بعد ذلك تسبب الكثير من المتاعب الصحية، لا يزال كل هذا العمل يتم لأن المرأة لا تزال عبدا، ولكنها تميل إلى أن تختفي لأنها يمكن أن تكون أفضل بكثير

حينما تنجز بالآلات. وسيتم إنتاج الالآت من جميع الأنواع إلى سكان المنازل، وسوف يتم توزيع محركات القوة في المنازل الخاصة حتى يتمكن الناس من العمل من دون جهد عضلي.

تكلف هذه الآلات القليل لتصنيعها. وإن كنا لا نزال ندفع كثيرا فى مقابلها، وذلك لأنهم ليسوا في الاستخدام العام، وبشكل رئيسى لأنه يتم فرض ضرائب باهظة على كل آلة من قبل السادة الذين يرغبون في العيش في النمط المترف، و من يضاربون على الأرض، والمواد الخام، والمصنوعات ووبيع براءات الاختراع والضرائب.

ولكن التحرر من الكدح المنزلى لن ينجم عن تلك الآلات الصغيرة فقط. سوف تخرج الأسر من الحالة الراهنة التي عاشتها في عزلة. وتبدأ في الارتباط مع الأسر الأخرى ليفعلوا بشكل مشترك ما كانوا يفعلوه على حدة.

في الواقع، في المستقبل لا ينبغى أن يكون لدينا آلة للتنظيف، وآلة لغسل الصحون وأدوات المائدة، وثالثة لغسل المفروشات، وهلم جرا، في كل بيت. فى المستقبل، على العكس من ذلك، يقوم جهاز التدفئة المشترك بإرسال الحرارة في كل غرفة من منطقة بأكملها، ويوفر الإضاءة من الغاز. و هذا موجود بالفعل في عدد قليل من المدن الأمريكية. يمد فرن مركزي كبير المنازل بجميع لوازمها وجميع الغرف بالماء الساخن، والتي توزع في الأنابيب. ويحتاج ضبط درجة الحرارة أن تتحكم فى الصنبور. وحينما يهمك أن تشعل نار في أي غرفة معينة يمكنك إشعال الغاز المورد خصيصا لأغراض التدفئة من خزان مركزي. ويختفي مع كل هذا العمل الهائل من تنظيف المداخن، والحفاظ على النار، و الذى تعرف المرأة ما الوقت الذي يستغرقه.

الشموع و المصابيح، وحتى الغاز كان لهم يومهم. هناك مدن بأكملها يكفي فيها الضغط على زر للضوء لتنير المكان، وفي الواقع، بل إنها مسألة بسيطة من الاقتصاد والمعرفة أن تعطي لنفسك ترف الضوء الكهربائي. وأخيرا، وأيضا في أمريكا، يتحدثون عن تشكيل مجتمعات تقمع بشكل شبه كامل الأعمال المنزلية. سيكون من الضروري فقط إنشاء قسم لكل كتلة من المنازل. ومن شأن عربة أن تأتي إلى كل باب منزل، وتأخذ الأحذية كى يتم تلميعها، والأواني الفخارية لتغسلها، والمفروشات لغسلها، والأشياء الصغيرة المطلوب إصلاحها (إذا كان هذا يستحق)،

و السجاد إلى أن ينظف، و سوف تعود في صباح اليوم التالي لتعيد كل تلك الأشياء الموكل إليها تنظيفها بشكل جيد. وبعد بضع ساعات قهوتك الساخنة وبيضك يقدم إليك بالدقة التي تظهر على مائدتك الخاصة. إنها لحقيقة أنه ما بين الساعة الثانية عشر حتي الثانية ظهرا هناك أكثر من عشرين مليون أميركي، ومثل العديد من الانجليز الذين يأكلون لحم البقر المشوي أو الضأن، ولحم الخنزير المسلوق والبطاطس، وخضروات الموسم. وبأقل رقم هناك ثمانية مليون نار تشتعل خلال ساعتين أو ثلاث ساعات لشوي هذا اللحم ولطهي هذه الخضروات. وتقضى ثمانية ملايين من النساء وقتهن لإعداد هذه الوجبة، التي ربما تتكون في معظمها من عشرة أطباق مختلفة.

كتبت امرأة أمريكية في يوم ما " تشتعل خمسين نار في حين أن واحدة فقط تكفي!" تناول العشاء في المنزل أو على مائدتك الخاصة، مع أطفالك، كما تحب. ولكن فكر بنفسك فقط، لماذا يجب على هؤلاء النساء الخمسين أن يضيعوا صباحهم كله لإعداد بضعة أكواب من القهوة و وجبة بسيطة! لماذا يشعلون خمسين نارا، بينما شخصين و نار واحدة تكفي لطهي جميع هذه القطع من اللحوم، وجميع هذه الخضروات؟ قم باختيار لحم البقر أو لحم الضأن الذى تريده أن يشوى إذا كنت تفضله. أختر خضار الموسم على ذوقك، و إذا كنت تفضل صلصة خاصة! ولكن لديك مطبخ واحد مع نار واحدة، منظم بأجمل ما أنت قادر عليه.

لماذا لم يكن عمل المرأة المنزلى أبدا له أي حساب؟ لماذا في كل أسرة الأم و ثلاثة أو أربعة من الخدم يجب عليهم أن ينفقوا الكثير من الوقت في ما يتصل بالطبخ؟ لأن أولئك الذين يريدون تحرير الجنس البشري لم يشملوا المرأة في حلمهم في التحرر، ويرون إنه من المساس بكرامتهم الذكورية الفائقة أن يفكروا فى "مهام ترتيبات المطبخ"، التي يلقونها على أكتاف كدح المرأة.

تحرير المرأة ليس فقط بفتح أبواب الجامعة، والمحاكم، والبرلمانات، لها، من أجل أن "تتحرر" المرأة سوف ترمي دائما الكدح المنزلى إلى امرأة أخرى. تحرير المرأة هو تحريرها من الكدح بوحشية فى المطبخ و تنظيف المنزل. إنه لتنظيم منزلك في مثل هذه الطريقة لتمكينها من تربية أطفالها، إذا كانت تفكر فى ذلك، في حين لا يزال لديها الفراغ الكافي لأخذ نصيبها من الحياة الاجتماعية.

وسوف يأتي التحرر. وكما قلنا، فإن الأمور آخذة في التحسن بالفعل. اسمحوا لنا فقط أن نفهم تماما أن ثورة مخمورة بالكلمات الجميلة الحرية، والمساواة، والتضامن لن تكون ثورة اذا ما حافظت على العبودية في المنزل. إن نصف البشرية الذى تعرض لعبودية الموقد لا يزال بحاجة إلى التمرد على النصف الآخر.

الفصل الحادى عشر

الاتفاق الحر

نعتاد على رؤية الحكومة والتشريع والحاكمية في كل مكان حولنا، بالأحكام المسبقة الوراثية والتعليم والتدريب غير السليمين على الإطلاق، حتى نتوصل إلى الاعتقاد أن اليوم الذى فيه الإنسان سوف يمزق أخيه الإنسان إلى قطع مثل حيوان بري سوف تقلع الشرطة عينه مقابل ذلك. فالفوضى تتحقق إذا تمت الإطاحة بالسلطة خلال الثورة. ونغلق عيوننا عن رؤية الآلاف والآلاف من التجمعات البشرية التي تشكل نفسها بحرية، دون أي تدخل من القانون، وتحقق نتائج متفوقة بلا حدود عن تلك التي تحققت تحت الوصاية الحكومية.

إذا قمت بفتح صحيفة يومية فسوف تجد صفحاتها مكرسة تماما لمعاملات الحكومة، واستغلال النفوذ السياسي. مما يجعل من شأن الرجل الصيني عند قراءتها أن يعتقد إنه في أوروبا لا شيء ينجز إلا بموجب أمر من رئيس ما. لا يمكنك العثور على أي شيء لديهم حول المؤسسات التي تتشكل، وتكبر، وتتطور بدون وصفة طبية وزارية. لا شيء - أو يكاد لا شيء! حتى عندما يكون هناك عنوان - أحداث متفرقة" - فذلك لأنها ترتبط بنشاط الشرطة. سوف لن تذكر دراما أسرة، أو عملا من أعمال التمرد، إلا إذا كانت الشرطة قد ظهرت على الساحة.

ثلاثمائة وخمسين مليون أوروبي يحبون أو يكرهون بعضهم البعض، ويعملون، أو يعيشون من دخولهم. ولكن، وبصرف النظر عن الأدب والمسرح، أو الرياضة، تظل الصحف تتجاهل حياتهم إذا لم تتدخل الحكومات في بعضها بطريقة أو بأخرى. بل لعله حتى مع دراسة التاريخ. التى تجعلنا نعلم أقل تفاصيل فى حياة الملك أو فى البرلمان. حيث يتم الحفاظ على جميع الخطب الجيدة والسيئة التى ألقاها السياسيون. وكما قال برلماني قديم "الخطابات التي لم يتح لها أقل تأثير على التصويت من عضو واحد". سجلت كل الزيارات الملكية، وكل النكات الجيدة أو النكات السيئة التى ألقاها السياسيون أو المؤامرات التى حاكها السياسيون، بعناية للأجيال القادمة. ولكن لدينا أكبر صعوبة في إستعادة كيفية بناء مدينة من القرون الوسطى، ولفهم آلية التجارة الهائلة التي كانت تنتقل بين المدن الهانزية، أو لمعرفة كيف بنت مدينة روان كاتدرائيتها. إذا كان الباحث ينفق حياته في دراسة هذه الأسئلة، فإن أعماله تبقى مجهولة، وكما نقول تاريخ الحياة البرلمانية، التى تتكاثر، وتعمم، وتدرس في المدارس غير مفيدة، لأنها تعالج فقط جانب واحد من الحياة الاجتماعية.

ونحن حتى لا ننظر إلى العمل المعجز الذى تنجزه كل يوم مجموعات عفوية من البشر، والذي يشكل العمل الرئيسى فى قرننا.

ولذا فإننا نقترح أن نشير إلى بعض من هذه المظاهر الأكثر لفتا للانتباه، ولإثبات أن البشر، بمجرد عدم تصادم مصالحهم تماما، يتصرفون في تناغم، ووئام، ويؤدون العمل الجماعي ذو الطبيعة المعقدة جدا.

ومن الواضح أنه في المجتمع الحالي، المؤسس على الملكية الفردية - وهو ما يجعلنا نقول، على النهب، وعلى النزعة الفردية الضيقة الأفق، وبالتالي الحمقاء - فأن الوقائع قليلة فى عدد هذا النوع بالضرورة. فالاتفاقات ليست دائما حرة تماما، وغالبا ما تكون وسيلة، إن لم يكن الهدف ردىء جدا.

ولكن ما يهمنا ليس إعطاء الأمثلة التي نستطيع أن نتبعها بشكل أعمى، والتي، علاوة على ذلك، فإن المجتمع الحالي لا يمكن أن يعطينا إياها بشكل محتمل. ما علينا أن نفعله هو أن نثبت أنه على الرغم من النزعة الفردية الاستبدادية التي تخنقنا، لا يزال هناك في حياتنا، ككل، جزء كبير لا يعمل إلا من

خلال الاتفاق الحر، وإنه سيكون من الأسهل بأكثر مما نعتقد الاستغناء عن الحكومة.

و قد ذكرنا سابقا نموذج السكك الحديدية دعما لرأينا، ونحن على وشك العودة إليها.

نحن نعلم أن أوروبا لديها نظام للسكك الحديدية، يبلغ طولها 175000 ميلا، وأنه عبر هذه الشبكة يمكنك السفر في الوقت الحاضر من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، ومن مدريد إلى بطرسبرج، ومن كاليه إلى القسطنطينية، دون توقف، حتى دون تغيير عربات (عند السفر عن طريق القطار السريع). أكثر من ذلك: فإن الطرد الملقى في محطة وصوله، سوف يجده المرسل إليه في أي مكان، في تركيا أو في آسيا الوسطى، دون مزيد من الشكليات اللازمة لإرساله إلا بكتابة وجهته على قطعة من الورق.

هذه النتيجة يمكن الوصول اليها بطريقتين. الأولى أن يرسم نابليون، أو بسمارك، أو أى عاهل ما غزا أوروبا، من باريس أو برلين أو روما، خريطة السكك الحديدية، ونظام ساعات قيام و وصول القطارات. ومن ذلك فقد حلم القيصر الروسي نيقولا الأول باتخاذ مثل هذا الإجراء. عندما عرضت عليه مسودات خرائط السكك الحديدية بين موسكو وبطرسبورغ، أخذ المسطرة ورسم على خريطة روسيا خط مستقيم بين هاتين العاصمتين، قائلا: "ها هي الخطة." وبني الطريق في خط مباشرة ، وبالتإلى مر على الوديان العميقة، ببناء جسور بارتفاع هائل، و التى كان لا بد من التخلي عنها بعد سنوات قليلة، بتكلفة تبلغ حوالي من 120000 إلى 150000 جنية استرلينى لكل ميل إنجليزي.

هذه طريقة واحدة، ولكن لحسن الحظ الأمور كانت تدار بشكل مختلف. تم تشييد السكك الحديدية قطعة قطعة، وانضمت القطع معا، ومئات من الشركات المختصة، التي تملك هذه القطع، توصلت إلى تفاهم بشأن وصول ومغادرة القطارات فيها، وتسيير العربات على القضبان، من جميع البلدان ، دون تفريغ البضائع لأنها تمر من شبكة إلى أخرى.

وقد تم كل ذلك عن طريق الاتفاق الحر، وعن طريق تبادل الرسائل والمقترحات، ومن خلال المؤتمرات حيث إلتقى المندوبون لمناقشة بعض المواضيع

الخاصة، ولكن ليس لتشريع القوانين. و عاد المندوبون بعد المؤتمر، لشركاتهم، وليس معهم القانون، ولكن معهم مشروع عقد اتفاق ليتم قبوله أو رفضه.

كان هناك بالتأكيد الرجال العنيدين الذين لم يقتنعوا. لكن المصلحة المشتركة أجبرت الجميع على توافق فيما بين الجميع من دون الاستناد إلى مساعدة من الجيوش ضد الأعضاء المتمردين.

هذه الشبكة الهائلة من السكك الحديدية مرتبطة معا، ومنحتها حركة المرور الهائل تصاعد في الأهمية، يشكل بلا شك السمة الأكثر لفتا للانتباه إليها فى قرننا؛ وهذا نتيجة الاتفاق حر. إذا كان رجل قد تنبأ به أو توقعه قبل خمسين عاما، فأن أجدادنا كانوا سوف يعتقدون إنه غبي أو مجنون. كانوا سوف يقولون: "أبدا سوف لن تكون قادرا على جعل المساهمين في مئات من الشركات الاستماع إلى العقل! إنها يوتوبيا، قصة خرافة. الحكومة المركزية، مع المدير "الحديدى"، يمكنهما وحدهما فرض ذلك ".

والشيء الأكثر إثارة للاهتمام في هذه التنظيم هو، إنه لا توجد حكومة مركزية أوروبية للسكك الحديدية! ولا أي وزير للسكك الحديدية!، ولا أي دكتاتور، ولا حتى برلمان قاري، ولا حتى لجنة توجيه! كل شيء تم عن طريق التعاقد الحر.

لذلك نسأل المؤمنين بالدولة، الذين يدعون "إننا لن يمكنا أبدا الاستغناء عن الحكومة المركزية، وذلك فقط لتنظيم حركة المرور، كيف تدار السكك الحديدية الأوروبية بدونها؟ وكيف تستمر في نقل الملايين من المسافرين والجبال من الأمتعة عبر القارة؟ إذا كانت الشركات المالكة السكك الحديدية قادرة على الاتفاق، لماذا يجب أن لا يتوافق مثلها عمال السكك الحديدية، في حالة استيلائهم على السكك الحديدية؟ وإذا كانت شركة وارسو بطرسبرغ والتي مع شركة باريس بلفور يمكنهما أن يعملان في انسجام، دون إعطاء أنفسهم ترف قائد مشترك، لماذا، في خضم مجتمعاتنا، والتى تتألف من مجموعة من العمال الأحرار، يجب أن نحتاج إلى حكومة؟ "

الفصل الثانى عشر
الاعتراضات

اولا

دعونا الآن ندرس الاعتراضات الرئيسية التى طرحت ضد الشيوعية. فسبب معظمها الواضح سوء تفاهم بسيط، إلا أنها تثير تساؤلات هامة تستحق اهتمامنا.

أنه ليس لنا أن نرد على الاعتراضات التي أثارتها الشيوعية السلطوية، والتى ناقشناها معهم بأنفسنا. لقد عانت الأمم المتحضرة كثيرا على مدى فترة طويلة، وناضلت بشدة من أجل تحرير الفرد، والتبرؤ من أعمالها فى الماضي، ولتجيز للحكومة ما من شأنه أن تجعل نفسها تهتم بأدق تفاصيل حياة المواطن، حتى لو كانت هذه الحكومة ليس لها هدف آخر سوى خير المجتمع. حتى لو نجح المجتمع الاشتراكي السلطوى في تأسيس نفسه، فإنه لا يمكن أن يستمر. حيث سيجبره الاستياء العام سريعا على الانفجار، أو لإعادة تنظيم نفسه على مبادئ الحرية.

أما عن المجتمع الأناركى الشيوعي الذى نحن على وشك الكلام عنه، المجتمع الذي يقر بالحرية المطلقة للفرد، الذي لا يعترف بأي سلطة، ولا يستخدم أى إكراه في دفع البشر للعمل. لو حددنا دراساتنا فى الجانب الاقتصادي من السؤال،

دعونا نـرى مـا اذا كان مثـل هـذا المجتمـع، والـذى يتألـف مـن البـشر كـما هـم اليـوم، لا أفضـل ولا أسـوأ مـن ذلـك، لا أكـثر ولا أقـل كدحـا، سـيكون لديـه فرصـة لتنميـة ناجحـة.

الاعـتراض المعـروف. "لـو كفلنـا البقـاء للـكل، وأصبحـت ضرورة كسـب الأجـور لا تجـبر البـشر عـلى العمـل، فـلا أحـد سـوف يعمـل. فسـوف يضـع كل إنسـان عـبء عملـه عـلى آخـر إذا لم يتـم أجبـاره عـلى القيـام بذلـك بنفسـه. " دعونـا نلاحـظ أولا الخفـة التـى لا تصـدق التـي يتـم بهـا الدفـع بهـذا الاعـتراض، دون الأخـذ بعـين الاعتبـار أن المسـألة تحـل في الواقـع بمجـرد أن تعـرف، مـن ناحيـة، مـا إذا كنـت تحصـل عـلى نحـو فعـال مـن خـلال العمـل المأجـور عـلى النتائـج التـي تهـدف إليهـا. ومـن ناحيـة أخـرى، مـا إذا كان بالفعـل العمـل التطوعـي ليـس أكـثر إنتاجيـة اليـوم مـن العمـل الـذى يحفـزه الأجـر. ويتطلـب السـؤال دراسـة عميقـة. ولكـن في حـين أنـه في العلـوم الدقيقـة، يبـدى البـشر أرائهـم دون حـدود حـول مواضيـع، أقـل أهميـة، وأقـل تعقيـدا، بعـد بحـث جـدي، بعـد جمـع وتحليـل الحقائـق بعنايـة، لكنهـم بشـأن هـذه المسـألة ينطقـون بحكـم غـير قابـل للاسـتئناف، ويسـتريحون راضـين بـأي حـدث واحـد معـين، عـلى سـبيل المثـال، يريـدون مثـلا نجـاح جماعـة شـيوعية في أمريـكا. ويتصرفـون مثـل المحامـي، الـذي لا يـرى في مرافعـة الجانـب المعـارض الآخـر عـرض للقضيـة، أو رأي مخالـف لـه، ولكـن مجـرد خصـم بسـيط في مناقشـة خطابيـة. لا يهتـم إلا لتبريـر قضيتـه، ولـو كان محظوظـا بمـا فيـه الكفايـة أن يتوفـر لـه حضـور البديهـة. وبالتـالي فـإن دراسـة هـذا الأسـاس الـضروري لجميـع الاقتصـاد السـياسي، ودراسـة لا تقـدم الظـروف الأكـثر ملاءمـة لإعطـاء المجتمـع أكـبر قـدر مـن المنتجـات المفيـدة بأقـل هـدر للطاقـة البشريـة. أنـه يقـصرون أنفسـهم عـلى تكـرار التأكيـدات الشـائعة، وفى نفـس الوقـت يدعـون الجهـل بتأكيداتنـا.

أكـثر مـا يلفـت النظـر في هـذا الهـزل هـو أنـه حتـى في الاقتصـاد السـياسي الرأسـمالي تجـد بالفعـل عـدد قليـل مـن الكتـاب بدافـع مـن الحقائـق يشـككون فى البديهيـة التي وضعهـا مؤسـسي علمهـم، أن خطـر الجـوع هـو أفضـل منشـط للإنسـان للعمـل المنتـج. فإنهـم يبـدأون في إدراك أن عنـصر جماعـي معـين فى الإنتـاج أهمـل تقديمـه كثـيرا حتـى الآن، والـذي قـد يكـون أكـثر أهميـة مـن تحقيـق مكاسـب شـخصية. النوعيـة الرديئـة مـن العمـل المأجـور، والإهـدار الرهيـب فى الطاقـة البشريـة في العمـل الزراعـي والصناعـي الحديـث، والكميـة المتزايـدة مـن طالبـي المتعـة، الذيـن يحملـون اليـوم

عبئهم على أكتاف الآخرين، وعدم وجود حيوية في الإنتاج التي أصبحت أكثر وأكثر وضوحا. كل هذا يبدأ يشغل أذهان الاقتصاديين من المدرسة "الكلاسيكية". بعض منهم يسأل نفسه إذا ما كانوا يسيرون فى الطريق الخطأ: إذا ما كان الشر المتصور وهمي، الذى يفترض أن يكون الاغراء موجود فعلا بشكل حصرى فى طعم الربح أو الأجور. تخترق هذه بدعة حتى الجامعات، انها موجودة في كتب الاقتصاد الأرثوذكسية.

هذا لا يعوق عدد كبير من الإصلاحيين الاشتراكيين للبقاء أنصارا مخلصين للأجر الفردي، والدفاع عن القلعة القديمة "الأجورية" أو العمل مقابل أجر، على الرغم من أن المدافعين عنها السابقين يسلمونها حجرا بعد حجر للمهاجمين.

انهم يخشون من أنه من دون إكراه فإن الجماهير لن تعمل.

وكأننا خلال حياتنا لم نسمع نفس المخاوف التي أعربت عن نفسها مرتين؟ من المعادين لدعوة إلغاء الرق في أمريكا قبل تحرير الزنوج، ومن النبلاء الروس قبل تحرير الأقنان؟ قال المناهض لإلغاء الرق " لا يعمل الزنجي بدون الجلد"، وقال مالك الأقنان الروسى " بتحررهم من رقابة سيدهم فإن الأقنان سوف يتركون الحقول غير مزروعة،". أنه اعتراض النبلاء الفرنسيين في عام 1789، واعتراض نبلاء العصور الوسطى، وهو لازمة قديمة قدم العالم، وسوف نستمع إليه في كل مرة تثار فيها قضية إزالة الظلم. وفي كل مرة تثبت الحقائق الفعلية كذبه. يحرث الفلاح الذى تحرر عام 1792 أرضه بطاقة وحشية غير معروفة لأسلافه، و يعمل الزنجي الذى تحرر أكثر من آبائه، والفلاح الروسي، بعد أن أحتفل بشهر العسل لتحرره، و بالاحتفال أيام الجمعة وكذلك أيام الأحد، أخذ فى العمل مع توخى الكثير من الحرص حينما أصبح تحريره أكثر اكتمالا. حيث أصبحت الأرض له هناك، حيث عمل بشدة. هذه هي الكلمة الصحيحة حول الموضوع. يمكن أن يكون اعتراض مناهض إلغاء الرق ذا قيمة لمالكي العبيد. كما يعرف العبيد أنفسهم، ما يستحقه، لأنهم يعرفون دوافعه.

وعلاوة على ذلك، من علمنا غير علماء الاقتصاد إنه إذا كان كاسب العمل المأجور غير مبال، فإن العمل المكثف والمثمر يتم الحصول عليه فقط من إنسان يرى زيادة ثروته بما يتناسب مع جهوده؟ ويغنون كل التراتيل تكريما للملكية الخاصة التى يمكن اختزالها فى هذه البديهية.

لأنه من اللافت للنظر أنه بينما يتمنى الاقتصاديون، الاحتفال بأفضال الملكية، يبينون لنا كيف إن التربة غير المنتجة، أو الحجرية أو التي تغطيها المستنقعات، أنتجت المحاصيل الغنية عندما زرعها المالك الفلاح، لا يثبت حكمة أطروحتهم لصالح الملكية الخاصة. بالاعتراف: أن الضمان الوحيد كي لا تسرق منك ثمار عملك الخاص هو حيازتك أدوات العمل، والصحيح أن الاقتصاديون يثبتون حقا أن الإنسان ينتج أكثر فقط عندما يعمل بحرية، وعندما يكون لديه حرية اختيار مهنته، وعندما لا يكون لديه أي مراقب يعرقله، وأخيرا، عندما يرى أن عمله يجلب الربح له وللآخرين الذين يعملون مثله، ولكن لا يجلب أي شيء للعاطلين. هذا هو كل ما يمكن أن يخصم من حججهم، ونحافظ عليه بأنفسنا.

أما بالنسبة لشكل حيازة أدوات العمل، فيذكرونها فقط بشكل غير مباشر في بيانتهم، كضمان للفلاح بأنه لا يجوز سلب الأرباح من عمله ولا تحسينات حياته. لدعم أطروحاتهم لصالح الملكية الخاصة ضد كل الأشكال الأخرى من الحيازة، إلى جانب ذلك، ينبغي على الاقتصاديين إن يبينوا أنه في ظل شكل الملكية الجماعية للأراضي لا يتم إنتاج هذه المحاصيل الغنية كما هو الحال عندما تكون حيازاتها خاصة؟ ولكن الأمر ليس كذلك. وقد لوحظ العكس في الواقع.

خذ على سبيل المثال البلدية في كانتون فو، في فصل الشتاء، عندما يذهب كل رجال القرية لجمع الخشب من الغابة، التي تنتمي إلى كل منهم. هذا هو ما يتم بالضبط خلال هذه المهرجانات من الكدح حيث يكون واضحا أعظم حماس للعمل، والبيان الأكثر ظهورا للطاقة البشرية. لا العمل المأجور ولا أي جهد من المالك الخاص يمكن أن يتحمل المقارنة معه .

أو دعونا نأخذ قرية روسية، عندما يحصد جميع سكانها حقل ينتمي إلى البلدة، أو مزروع بها. هناك سترى ما يمكن للإنسان أن ينتج عندما يعمل بشكل مشترك لإنتاج البلدة. يتنافس الرفاق مع بعضهم البعض في حصد أوسع رقعة. و تحرض النساء أنفسهن في أعقابهم حتى لا يكن بعيدات عن الحاصدين. وهو مهرجان عمل يشارك فيه مئات من الناس ينتجون في ساعات قليلة ما لم يكن ليتم الانتهاء منه في غضون أيام قليلة لو عملوا كل على حدة. ما هو للأسف على النقيض بالمقارنة مع أعمال المالك المعزول!.

يمكن أن نقتبس الأمثلة في الواقع، من بين رواد أمريكا، وسويسرا، وألمانيا، وروسيا، وفي بعض القرى الفرنسية. أو العمل الذي أنجزته في روسيا جماعات (فرق العمل) من البنائين والنجارين و البحارة والصيادين وغيرها، الذين يقومون بالمهمة ويقسمون المنتجات أو الأجر فيما بينهم، دون أن تمر عبر وسيط من الوسطاء. ويمكننا أن نشير أيضا إلى الصيد الكوميونى الكبيرة للقبائل البدوية، وعدد لا حصر له من المؤسسات الجماعية الناجحة. وفي كل حال نحن يمكن أن نظهر التفوق الذى لا يرقى إليه الشك للعمل الجماعي مقارنة بما كان عليه العمل المأجور أو عمل المالك الخاص المعزول.

وهذا ما نقوله، الرفاهية، أى إشباع الحاجات المادية والفنية والمعنوية، كان دائما المنشط الأقوى للعمل. وعندما ينتج الأجير الضروريات بصعوبة، فالعامل الحر، الذي يرى السهولة والرفاهية المتزايدة المتوفرة له وللآخرين بما يتناسب مع جهوده، سوف ينفق بلا حدود أكبر بكثير من الطاقة والذكاء، ويحصل على منتجات من الدرجة الأولى بوفرة أكبر بكثير. يشعر أحدهم بوقوعه فى شرك البؤس، والآخر يأمل لتحقيق السهولة والرفاهية في المستقبل. في هذا يكمن السر كله. لذلك فالمجتمع الذى يهدف إلى الرفاهية للجميع، وعلى إمكانية التمتع بالحياة كلها بجميع مظاهرها، وتوفير العمل التطوعي والذي سوف يكون متفوقا بلا حدود، وسوف تكون ثماره أكثر بكثير من الأعمال التي أنتجت حتى الآن تحت سياط من العبودية ، والقنانة، والأجورية.

ثانيًا

في أيامنا هذه، كل من يمكن تحميل الآخرين نصيبه من العمل الذي لا غنى عنه في الوجود، يفعل ذلك، ومن المسلم به أنه سيكون دائما كذلك.

الآن العمل الذى لا غنى عنه للوجود يدوي أساسا. قد نكون فنانين أو علماء. ولكن لا أحد منا يستطيع الاستغناء عن الأشياء التي يحصل عليها بالعمل اليدوي مثل الخبز، والملابس، والطرق، والسفن، والضوء، والحرارة، وغيرها، وعلاوة على ذلك، مهما كانت ملذاتنا فنية بشكل عالى أو ميتافيزيقية بمهارة، فأنها جميعها تعتمد على العمل اليدوي. وهذا هو بالضبط ما يسمى العمل أساس الحياة الذى يحاول كل واحد تجنبه.

و نحن نفهم جيدا أنه يجب أن يكون ذلك في الوقت الحاضر.

لأنـه، أن تمـارس العمـل اليـدوي الآن، فيعنـي في واقـع الأمـر الإغـلاق عـلى نفسـك لمـدة عـشر أو اثنتـي عـشر سـاعة يوميـا في ورشـة عمـل غـير صحيـة، والبقـاء منغرسـا فى نفـس المهمـة لمـدة عشريـن أو ثلاثين سـنة، وربمـا لحياتـك كلهـا.

وهـذا يعنـي أن يكـون محكـوم عليـك بالحصـول عـلى الأجـور التافهـة، وبعـدم اليقـين فى غـدك، وباحتياجـك الدائـم للعمـل، وفي كثـير مـن الأحيـان بالفقـر المدقـع، وفي أكـثر الأحيـان المـوت في المستشـفى، بعـد أن تكـون قـد عملـت أربعـين عامـا للطعـام وللكسـاء، ولتسـلية الآخريـن، و تلبيـة أوامرهـم أكـثر مـن نفسـك وأطفالـك.

وهـذا يعنـي تحمـل شـعور النقـص طـوال حياتـك، لأنـه، مهـما كان مـا يقولـه السياسـيون لنـا، يعتـبر العامـل اليـدوي أدنى مـن العامـل الذهنـى دائمـا ، والشـخص الـذي يكـد عـشر سـاعات في ورشـة عمـل ليـس لديـه الوقـت الـكافى، ولا يـزال أقـل امتـلاكا للوسـائل، لتوفـير المسرات العاليـة مـن العلـم والفـن لنفسـه، ولا حتـى لإعـداد نفسـه لتقديرهـم. ولذلـك يكـون مـا يمكنـه جمعـه منهـا مـا يتسـاقط مـن فتـات موائـد الأشـخاص المحظوظـين.

ونحن نفهم أنه في ظل هذه الظروف يعتبر العمل اليدوي لعنة القدر.

ونحـن نفهـم أن جميـع البـشر ليـس لهـم سـوى حلـم واحـد هـو الانفـلات منـه، أو تمكـين أطفالهـم مـن أجـل الانفـلات مـن هـذه الحالـة الأدنى. لينشـئوا لأنفسـهم وضـع "مسـتقل"، وهـو مـا يعنـي - أن تعيـش أيضـا مـن عمـل الرجـال الآخريـن!.

طالمـا سـيكون هنـاك طبقـة مـن العـمال اليدويـين، وطبقـة مـن العـمال "الذهنـين، والأيـدي السـوداء والأيـادي البيضـاء، سـوف تسـتمر الحيـاة عـلى هـذا المنـوال.

مـا الفائـدة، في الواقـع، حيـث يمكـن لهـذا العمـل أن يصيـب العامـل بالاكتئـاب، عندمـا يعلـم أن مصـيره الـذى ينتظـره مـن المهـد إلى اللحـد سـيكون العيـش في الـرداءة، والفقـر، وانعـدام الأمـن في الغـد؟ لذلـك، عندمـا نـرى الأغلبيـة السـاحقة مـن الرجـال يسـتغرقون فى مهمتهـم البائسـة كل صبـاح، ونسـتغرب مـن مثابرتهـم، ومـن حماسـهم للعمـل، ومـن العـادة التـي تمكنـت منهـم، وتدفعهـم مثـل الآلات قـوة معينة للطاعـة العميـاء، لاسـتمرار هـذه الحيـاة البائسـة دون أمـل في الغـد. دون حتـى أمـل غامـض لأنهـم في يومـا مـا، أو عـلى الأقـل أطفالهـم، سـوف يكونـوا جـزءا مـن الإنسـانية

الغنية بكل كنوز الطبيعة الوفيرة، بكل المتعة من المعرفة والعلم والإبداع الفني، المحفوظة إلى اليوم للقلة المفضلة المميزة.

إننا نريد إلغاء الأجورية، ونريد الثورة الاجتماعية لأن هذا هو بالضبط ما سوف يضع حد لهذا الفصل ما بين العمل اليدوي والذهني. ومن ثم فالعمل لن يظهر للعامل كلعنة للقدر: أنه سوف يصبح ما ينبغي أن يكون - الممارسة الحرة لجميع قدرات الإنسان.

وعلاوة على ذلك، فقد حان الوقت لنقدم على تحليل جدي لهذه الأسطورة عن العمل المتفوق، الذى من المفترض الحصول عليه تحت مطرقة الأجورية.

إنه يكفى لزيارة، ليس المصنع النموذجى وورشة العمل التي وجدناها السابق ذكرها، ولكن المصانع العادية، لتصور الهدر الهائل من الطاقة البشرية التي تميز الصناعة الحديثة. في مقابل مصنع واحد منظم بعقلانية بدرجة أكثر أو أقل، هناك مئات أو أكثر من المصانع التى تهدر العمل الإنسانى، دون وجود دافع أكثر جوهرية من إنها ربما تجلب بضعة جنيهات أكثر في اليوم الواحد لصاحب العمل.

هنا ترى الشباب ما 20 و25 سنة من العمر، يجلسون طوال اليوم على مقعد طويل، وصدورهم غارقة فى العرق، ويهزون رؤوسهم وأجسادهم بشكل محموم لتعادل، سرعة المشعوذين، لربط أطراف قصاصات لا قيمة لها من القطن، من نفاية أنوال الدانتيل. وماذا يكون الناتج من ارتجاف وتهالك تلك الأجسام الذى تتركه لهم؟ سيقول صاحب العمل "لكنهم يشغلون حيزا ضيقا جدا في المصنع، وكل واحد منهم يجلب لي نصف الشلن يوميا".

تستطيع في مصنع لندن الهائل أن ترى الفتيات، و قد تساقط شعرهن في سن السابعة عشرة من حمل صواني الثقاب على رؤوسهم من إحدى الغرف إلى أخرى، بينما يمكن أن تستطيع أبسط آلة أن تحرك الثقاب لموائدهم. ولكن ... إنهن بكلفن القليل جدا، و هو عمل النساء اللواتى ليس لديهم مهنة خاصة! ما هي الفائدة من الجهاز؟ عندما لا يمكن أن تفعلن أكثر من ذلك، سيتم استبدالهن بسهولة ... هناك الكثيرات منهن في الشارع.

سوف تجد طفل عاري القدمين نائما على درج قصر فى ليلة جليدية، مع حزمة صحف في ذراعه ... فتكاليف عمالة الأطفال قليلة بحيث يمكن أيضا أن يتم

استخدامهم، كل مساء، لبيع ما قيمته عشرة بيني من الصحف، وسوف يحصل الولد فقير على بنس واحد، أو بيني ونصف بيني. وأخيرا، قد ترى رجل قوي يتجول، وقد تدلت ذراعيه على جنبيه من الاعياء، لأنه طرد من العمل من عدة أشهر. وفي الوقت نفسه تنمو ابنته شاحبة في الأبخرة المحمومة في ورشة العمل بسبب مواد صبغ الملابس، ويملأ ابنه الأواني بالصبغة السوداء باليد، أو ينتظر ساعات في ركن من الشارع حتى يمكنه أحد المارة من كسب فلسا واحدا.

وهكذا في كل مكان، من سان فرانسيسكو إلى موسكو، ومن نابولي إلى ستوكهولم. هدر الطاقة البشرية هو السمة المميزة والسائدة في الصناعة، ناهيك عن التجارة حيث لا تزال تبلغ نسب هائلة أكثر.

ما يشكل هجاء محزن أن اسم الاقتصاد السياسي، معطى لعلم هدر الطاقة وفقا لنظام الأجورية!

هذا ليس كل شيء. إذا تحدثت إلى مدير مصنع منظم تنظيما جيدا، فانه سوف يشرح لك بسذاجة أنه من الصعب في الوقت الحاضر إيجاد العامل الماهر، والقوي، المفعم بالحيوية، الذي يعمل جيدا. "يجب أن يقدم مثل هذا الرجل نفسه بين العشرين أو الثلاثين الذين يأتون كل يوم إثنين، يطلبون منا العمل، وإنه على يقين من أنه سوف يستلمه، حتى لو خفضنا عدد قوة عملنا. ونحن ندركه من أول وهلة، وكان مقبولا دائما لدينا، على الرغم من أننا نتخلص من العامل المسن، والأقل نشاطا في اليوم التالي. "والشخص الذي تلقى لتوه إخطارا بانتهاء العمل، وجميع أولئك الذين سوف يحصلون عليه غدا، ينتقلون إلى تعزيز هذا الجيش الاحتياطي الهائل من رأس المال - العمال العاطلين عن العمل - الذين يطلبهم أصحاب العمل عند الرواج أو يجلسون على مقاعد الاحتياطي حيث يضغطون على العمل، أو لمعارضة المضربين. وأولئك الآخرين، العمال المتوسطين الذين تهدرهم المصانع من الدرجة الأفضل؟ ينضمون إلى جيش قوي بنفس القدر من العمال المسنين وغير المبالين الذين يدورون باستمرار بين المصانع من الدرجة الثانية - تلك التي تغطي بالكاد نفقاتهم، وتشق طريقها في العالم عن طريق الغش والعيوب الرديئة التي توضع للمشتري، وخاصة للمستهلك في البلدان البعيدة.

وإذا تحدثت إلى العمال أنفسهم، سوف تتعلم سريعا أن القاعدة في مثل هذه المصانع هي - أبدا لا تفعل تماما ما أنت قادر عليه. "الأجر الضعيف مقابل العمل غير المطابق للمواصفات" هذه هي النصيحة التي يتلقاها رجل يعمل من رفاقه عند دخول هذا المصنع.

فيما يتعلق بالعمال فهم يعلمون انه في لحظة من الكرم، سوف يتم افساح المجال لتوسلات من صاحب العمل من أجل موافقتهم على تكثيف العمل من أجل تنفيذ أمر ملح، وسوف يفرض هذا العمل تحت الضغط في المستقبل كقاعدة في تحديد حجم الأجور، لذلك في كل هذه المصانع لا يفضلون أبدا إنتاج قدر ما يستطيعون. وفي بعض الصناعات يكون الإنتاج محدود، وذلك لمواكبة ارتفاع الأسعار، وأحيانا تقال كلمة السر "جو-كاني"، التي تدل على "عمل سيئ مقابل أجر سيئ!".

العمل المأجور هو عمل القن؛ ولذلك فإنه لا يمكن، ولا يجب أن ينتج كل ما يمكن أن ينتجه. ولذلك حان الوقت لتكفروا بالأسطورة التي تمثل الأجورية كأفضل حافز للعمل المنتج. لو أن هذا الحافز يجلب في الوقت الحاضر مئة مرة أكثر مما كان عليه في أيام أجدادنا، فإن ذلك يرجع إلى الصحوة المفاجئة في العلوم الفيزيائية والكيميائية في نهاية القرن الماضي، وليس تنظيم الرأسمالية للأجورية، ولكن على الرغم من ذلك التنظيم.

ثالثًا

أولئك الذين درسوا المسألة بجدية لا ينكرون أي من مزايا الشيوعية، على شرط، سواء كان ذلك مفهوما جيدا، أن الشيوعية تكون حرة تماما، وهذا هو القول، الأناركي. ولأنهم يدركون أن العمل المأجور بالمال، حتى المقنع تحت اسم "مذكرات العمل،" لجمعيات العمال التي تحكمها الدولة، سوف يحافظ على خصائص الأجورية، وسوف يحتفظ بسلبياتها. فإنهم يتفقون على أن النظام برمته سيعاني سريعا من ذلك، حتى إذا انتهى المجتمع إلى امتلاك كل أدوات الإنتاج.

ويعترفون أنه بفضل إعطاء جميع الأطفال التعليم المتكامل، لعادات العمل في المجتمعات المتحضرة، مع حرية اختيارهم وحرية تغييرهم لوظائفهم، وجاذبية ظروف العمل الذي يقوم به أنداد من أجل الرفاهية للجميع، سوف يكون

المجتمع الشيوعي في حاجة للمنتجين الذين سرعان ما سوف يجعلوا خصوبة التربة ثلاثة أضعاف و عشرة أضعاف، وإعطاء دفعة جديدة للصناعة.

هذا ما يتفق عليه خصومنا. كما يقولون، "لكن الخطر، سوف يأتي من تلك الأقلية من المتسكعون الذين لن يعملو، ولا يكون لهم عادات عمل منتظمة على الرغم من الظروف الممتازة التي سوف تجعل العمل ممتعا. في هذه الأيام، فإن إمكانية الجوع وتعرض حياتهم للخطر، تجبر أكثرهم تمردا على التحرك جنبا إلى جنب مع الآخرين. ونبذ الشخص الذي لا يصل في الوقت المناسب ليؤدى العمل المطلوب. ولكن الخراف المريضة تكفي لنقل العدوى للقطيع كله، و تباطىء أو تمرد اثنين أو ثلاثة من العمال سوف يقود الآخرين إلى الضلال، ويجلب روح الفوضى والتمرد في ورشة العمل مما يجعل العمل مستحيلا. بحيث يتعين علينا في النهاية العودة إلى نظام للإكراه يفرض على زعماء التمرد العودة إلى الصفوف. وأليس نظام الأجور المدفوعة بما يتناسب مع العمل المنجز، الوحيد فقط الذي يمكن أن يكره أحدهم على العمل، دون إيذاء مشاعر العامل؟ لأن أى وسائل أخرى تعني ضمنا التدخل المستمر للسلطة، وهو من شأنه أن يكون بغيضا إلى الرجال الأحرار ". هذا، ما نعتقد، وهو اعتراض مبنى بصورة صحيحة.

وهو ينتمي إلى فئة الحجج التي تحاول تبرير ضرورة استمرار وجود الدولة، وقانون العقوبات، والقضاة، والسجون.

يقول السلطويون، "بينما هناك بشر، وهم أقلية ضعيفة، لن يقبلوا العادات الاجتماعية، فيجب علينا الحفاظ على القضاة والمحاكم والسجون، على الرغم من أن هذه المؤسسات أصبحت مصدرا لشرور جديدة من جميع الأنواع."

لذلك لا يمكننا سوى تكرار ما قلناه في كثير من الأحيان، فيما يخص السلطة بشكل عام: "لتجنب شر محتمل تلجأ السلطة إلى الوسائل التي في حد ذاتها هي مفسدة أعظم، وتصبح مصدرا لتلك الانتهاكات نفسها التي ترغب في تصحيحها. لكى لا ننسى أن الأجورية، واستحالة العيش إلا من خلال بيع عملك الخاص، والذي خلقه النظام الرأسمالي الحالي، تبدأ منه في التعرف على الرذائل ". دعونا أيضا نلاحظ أن هذه الطريقة الاستبدادية في التفكير ليست سوى مبرر لما هو الخطأ في النظام الحالي. لم تؤسس الأجورية لإزالة عيوب الشيوعية. مثلها، في ذلك مثل ملكية الدولة و ملكية القطاع الخاص، التي يمكن العثور عليها في أي مكان

آخر. إنها ولدت من العبودية والقنانة وفرضت بالقوة، وقد أرتدت فقط زي أكثر حداثة. وهكذا فإن الحجة في صالح الأجورية بلا قيمة مثل تلك التي من خلالها يسعون إلى تبرير الملكية الخاصة و ملكية الدولة.

ونحن، مع ذلك، سوف ندرس الاعتراض، ومعرفة ما إذا كان هناك أي حقيقة في ذلك.

وبادئ ذي بدء، أليس من الواضح أنه إذا كان المجتمع، التي تأسس على مبدأ العمل الحر، والمهدد حقا من المتسكعون، يمكن أن يحمي نفسه من دون تنظيم الاستبدادية، ودون اللجوء إلى الأجورية؟

دعونا نأخذ مجموعة من المتطوعين، ونجمعهم فى شراكة معينة ما. أنهم سوف يعملون جميعا ولأن يحفظون إرادة نجاحهم من قلوبهم، فمن ثم سوف يستغنون عن واحد من الزملاء، كثيرا ما يتغيب عن عمله. هل يجب أن يكون فى حسابهم حل المجموعة لتغيبه، انتخاب رئيس لفرض الغرامات عليه، أو ربما توزيع علامات للعمل المنجز، كما هي العادة الأكاديمية؟ و من الواضح أنه لا الأول ولا الآخر سوف يتم إنجازه، ولكن في يوم من الأيام سوف يقولون إلى الرفيق الذي يعرض مشروعهم للخطر بإهماله: "يا صديق، نحن نرغب في العمل معك. ولكن لأنك في كثير من الأحيان غائب عن وظيفتك، وتؤدى عملك بإهمال، فيجب عليك أن ترحل. إذهب وسوف تجد رفاق آخرين سوف يتعاملون مع لامبالاتك!".

هذه الطريقة طبيعية جدا لذلك فإنها تمارس في كل مكان في الوقت الحاضر، في جميع الصناعات، في منافسة مع جميع الأنظمة الممكنة من فرض الغرامات، والخصم من الأجور، والمراقبة، وما إلى ذلك؛ على العامل أن يدخل المصنع في الوقت المحدد، ولكن إذا كان يؤدي عمله بشكل سيء، وإذا كان يعيق رفاقه بكسله أو غيرها من الممارسات المعيبة، وتشاجروا معه على هذا الأساس، فهناك نهاية له، وسوف يكون مضطرا لمغادرة الورشة.

يدعى السلطويون أن صاحب العمل القدير ومشرفينه هم من يصرون على انتظام وجودة العمل في المصانع. في الواقع، في مؤسسة معقدة إلى حد ما، تمر التركيبات عبر العديد من الأيدى قبل أن يتم الإنتهاء من إنتاجها، فى المصنع نفسه، والعمال كوحدة، هم من يسعون لنوعية جيدة من العمل. ولذلك فإن

أفضـل مصانـع القطـاع الخـاص البريطانيـة لديهـا عـدد قليـل مـن المراقبـين، أقـل بكثـير في المتوسـط مـن المصانـع الفرنسـية، وأقـل مـن مصانـع الدولـة البريطانيـة.

ولحفـظ مسـتوى معـين مـن الآداب العامـة في نفـس الطريـق. يقـول السـلطويين إن ذلـك يرجـع إلى حـراس الضواحـى، والقضـاة، و رجـال الشرطـة، في حـين إنـه في الواقـع يتـم الحفـاظ عليهـا عـلى الرغـم مـن القضـاة ورجـال الشرطـة وحـراس الضواحـى. وقـد قيـل ذلـك منـذ زمـن طويـل "كثيرة هـي القوانـين التـى تنتـج المجرمـين!".

لا تسـير الأمـور في الـورش الصناعيـة وحدهـا عـلى هـذا الطريـق. يحـدث في كل مـكان، في كل يـوم، عـلى النطـاق الـذى لا يكـون لـدى ديـدان الكتـب فقـط حتـى الآن أي فكـرة عنـه. عندمـا تفشـل شركـة سـكك حديديـة، متحـدة مـع شركات أخـرى في تنفيـذ إلتزاماتهـا، عندمـا تتأخـر قطاراتهـا، وتهمـل السـلع في المحطـات، فـإن الشركات أخـرى تهـدد بإلغـاء العقـد، وهـذا التهديـد يكفـي عـادة لإعـادة الأمـور لنصابهـا.

ويعتقـد عمومـا، وعـلى أيـة حـال هـو مـا يتـم تدريسـه، أن التجـار يبقـون فقط على إلتزاماتهـم خوفـا مـن الدعـاوى القضائيـة. لا شيء يحـدث مـن هـذا القبيـل. فتسـعة عـلى عـشرة مـن المـرات الـذي لا يفـى فيهـا التاجـر بوعـده لـن تمثـل أمـام القضـاء. هنـا، حيـث التجـارة كبـيرة جـدا، كـما هـو الحـال في لنـدن، الحقيقـة الوحيـدة التـى تدفـع الدائـن لرفـع دعـوى قضائيـة تكفـي لـكى ترفـض الأغلبيـة السـاحقة مـن تجـار السـلعة أي تعامـل مـع الرجـل الـذي يجـبر أحدهـم عـلى أن يلجـأ للقانـون.

ثـم، لمـاذا ينبغـى عـلى الوسـائل التـى تسـتخدم اليـوم بـين الزمـلاء في ورشـة العمـل، والتجـار، وشركات السـكك الحديديـة، أن لا يتـم الاسـتفادة منهـا في مجتمـع قائـم عـلى العمـل التطوعي؟.

عـلى سـبيل المثـال، تقـوم جمعيـة عـلى أن كل عضـو مـن أعضائهـا يجـب عليـه تنفيـذ العقـد التـالي: "نتعهـد أن نعطيـك حـق اسـتخدام المنـازل والمتاجـر والشـوارع ووسـائل النقـل والمـدارس والمتاحـف وغيرهـا، بـشرط إنـه إذا كان عمـرك مـا بـين، 20و45 أو الخمسـين عامـا، فعليـك أن تكـرس أربـع أو خمـس سـاعات في اليـوم لبعـض الأعـمال المعـترف بهـا إنهـا ضروريـة فى الوجـود. وعليـك أن تختـار لنفسـك المجموعـات المنتجـة التـي ترغـب في الإنضـمام إليهـا، أو تنظيـم مجموعـة جديـدة، شريطـة أن المجموعـة التـي سـوف تتخذهـا تعمـل لإنتـاج الضروريـات. وأمـا مـا تبقـى مـن وقتـك،

فيمكنك الجمع جنبا إلى جنب كل ما ترغب فيه من الترفيه، والفن، والعلوم، وفقا لما يميل إليه ذوقك.

كل ما هو مطلوب منكم "إثنتي عشر أو خمسة عشر ألفا من ساعات العمل في السنة، من لإنتاج الأغذية، والملابس، والبيوت، والخدمات في مجال الصحة العامة والنقل، وما إلى ذلك. و مقابل هذا العمل نحن نضمن لكم جميعا أن هذه الجماعات تنتج أو سوف تنتج المطلوب منها. ولكن إن لم يكن واحد من آلاف المجموعات في اتحادنا، سوف تستقبلك، مهما تكون دوافعهم. إذا كنت غير قادر تماما على إنتاج أي شيء مفيد، أو إذا كنت ترفض أن تفعل ذلك، عندئذ فلتعيش مثل رجل معزول أو غير صالح. لو نحن أغنياء بما فيه الكفاية سوف نوفر لك ضرورات الحياة، و سنكون سعداء لمنحها لك. باعتبارك إنسان، ولديك الحق في العيش. ولكن بينما ترغب في العيش في ظل ظروف خاصة، وترك الصفوف، هو أكثر من ما يمكن أحتماله فإنك سوف تعاني لأنه في علاقاتك اليومية مع المواطنين الآخرين. سوف يتم النظر إليك على إنك شبح للمجتمع البرجوازي، مالم يكتشف بعض أصدقاءك، كونك موهوب، فيحرروك من كل إلتزام أخلاقي تجاه المجتمع بالقيام بعملك الضرورى بطيبة.

"وأخيرا، إذا كان لا يسرك هذا، إذهب وإبحث عن ظروف أخرى في أي مكان في جميع أنحاء العالم، وحتى فلتسعى لرفاق آخرين، ونظم معهم مجتمعك على مبادئ جديدة. نحن نفضل ما نحن عليه".

هذا هو ما يمكن القيام به في المجتمع الكوميونى من أجل التخلص من الكسالى إذا أصبحوا كثيرا جدا.

رابعًا

لدينا الكثير جدا من الشك أننا بحاجة إلى الخوف من هذه الحالة الطارئة في المجتمع على أساس الحرية الكاملة للفرد حقا.

في الواقع، على الرغم من قدر التأمين على الكسل التي تقدمه الملكية الخاصة لصاحب رأس المال، فوجود الرجل الكسول حقا، إلا إذا كان مريضا، أمر نادر الحدوث نسبيا.

كثيرا ما يقال بين العمال إن البرجوازيين عاطلين. ومن المؤكد أن هناك ما يكفي منهم، لكنهم، أيضا، الاستثناء. على العكس من ذلك، في كل مشروع صناعي، أنت على يقين من العثور على واحد أو أكثر من البرجوازيين الذين يعملون بجد. صحيح أن معظم البرجوازيين يربحون بوضعهم لاعطاء أنفسهم المهام الأقل تعاسة، وأنهم يعملون في ظروف صحية من الهواء النظيف، والغذاء الجيد وغيرها، والتي تسمح لهم بالقيام بالأعمال التجارية دون الكثير من التعب. ولكن هذه هي بالضبط الظروف التي نطالب بها لجميع العاملين دون استثناء. يجب أن نقول أيضا أنه إذا كان غالبا ما يكون الأغنياء عديمي الفائدة تماما أو حتى يكونوا ضارين بالمجتمع، وذلك بفضل موقعهم المتميز، ومع ذلك فالوزراء، و رؤساء الأقسام، و أصحاب المصانع والتجار والمصرفيين، وما إلى ذلك، يخضعون أنفسهم لبضع ساعات من اليوم للعمل الذي يجدونه ممل بدرجة أكثر أو أقل، الكل يفضلون ساعات أوقات فراغهم عن هذا العمل المفروض. وإذا كان تسع حالات من أصل عشرة، تجدهم على الرغم من ذلك متعبين من هذا العمل المصيري. ولكن هذا بالضبط لأن الطبقة البرجوازية تبذل طاقة كبيرة، حتى في إحداث ضرر (معلوم أو مجهول) والدفاع عن موقعهم المتميز، وأنهم نجحوا في هزيمة نبلاء الأرض، وأنهم مستمرين فى حكم الجماهير. ولو كانوا عاطلين لكانوا منذ فترة طويلة قد توقفوا عن السيطرة. وكانوا قد اختفوا من الوجود مثل الأرستقراطيين. في المجتمع الذي من شأنه أن لا نتوقع سوى أربع أو خمس ساعات يوميا من العمل المفيد، واللطيف، والصحي، فإنهم سوف يؤدون مهمتهم على أكمل وجه، وأنهم بالتأكيد لن يقبلوا بالظروف الرهيبة التي يكدح فيها البشر في الوقت الحاضر دون إصلاحها. لو قضى هكسلي خمس ساعات فقط في المجاري فى لندن، فعليك أن تطمئن إلى أنه سوف يجد وسائل لجعلها صحية مثل مختبره الفسيولوجي.

أما بالنسبة لإدعاء كسل الغالبية العظمى من العمال، فالاقتصاديون البرجوازيون والمحسنون فقط هم من يقولون مثل هذا الهراء.

لو سألت صناعي ذكي، سوف يقول لك انه لو العمال صمموا في رؤوسهم فقط أن يكونوا كسالى، فسيتعين إغلاق جميع المصانع، وسوف لا يمكن استخدام أى نظام للتجسس لقياس الخطورة. يجب أن نرى الرعب الناجم في عام 1887 بين أرباب العمل البريطانيين عندما بدأ بضع محرضون الدعوة لنظرية "الذهاب

الحكيم - العمل السيئ فى مقابل الأجر السيئ. خذوا العمل السهل، ولا ترهقوا أنفسكم ، وإهدروا كل ما يمكن. -!" فصرخ أولئك الذين كانوا ينددون سابقا ضد فجور العامل، والنوعية السيئة لعمله "هم يحطمون معنويات العمال، أنهم يريدون قتل الصناعة". ولكن إذا كان العامل هو ما كانوا يصفونه- بالمهمل الذي يهدده باستمرار تهديد بالفصل من ورشة العمل - فماذا تعني كلمة "إضعاف معنويات"؟.

لذلك عندما نتحدث عن إمكانية الكسل، يجب علينا أن نفهم جيدا إنه مشكلة أقلية صغيرة في المجتمع؛ وقبل وجود تشريع لتلك الأقلية، أليس من الحكمة دراسة أصلها؟، يرى الملاحظ بعين ذكية جيدا بما فيه الكفاية أيا من يكون أن الطفل الشهير بالكسل في المدرسة، وغالبا الذى يفهم ما يدرس بشكل سيئ. إنه في كثير من الأحيان، أيضا، يعاني من فقر الدم الدماغي، والناجم عن الفقر والتعليم غير الصحى. ومن الممكن للصبي الكسول في دروس اليونانية أو اللاتينية أن يعمل بشكل رائع حينما يدرس العلم الطبيعى، ولا سيما إذا كان يدرسه بوسيلة من وسائل العمل اليدوي. والفتاة ذات السمعة السيئة في الرياضيات يمكن أن تصبح الرياضية الأولى فى فصلها لو كانت بالصدفة إلتقت شخص يمكن أن يشرح لها عناصر حسابية لم تفهمها. والعامل الكسول في ورشة العمل، يمكن أن يزرع حديقة منزله عند الفجر، بينما يحدق في شروق الشمس، وسيكون في العمل مرة أخرى في المساء، عندما تذهب كل الطبيعة لراحتها.

قال أحدهم إن القذارة هى الشىء في المكان الخطأ. وينطبق التعريف نفسه على تسعة أعشار هؤلاء الذين يطلق عليهم كسالى. إنهم أناس ضلوا الاتجاه الذي لا يتناسب وأمزجتهم ولا قدراتهم. في قراءة سيرة العظماء، سوف نصدم من عدد "الكسالى" من بينهم. فقد كانوا كسالى طالما لم يعثروا بعد على الطريق الصحيح، وبعد ذلك تزايد نشاطهم عندما عثروا عليه. ينتمى داروين، و ستيفنسون، وغيرهم الكثير إلى هذه الفئة من الكسالى.

في كثير من الأحيان المهمل يكون مجرد إنسان مشمئز لقضاء كل حياته يصنع الجزء الثامن عشر من دبوس، أو الجزء المئة من ساعة، في حين يشعر أن لديه طاقة مندفعة كان يود أن تنفق في أماكن أخرى. في كثير من الأحيان، أيضا، هو متمرد لا يستطيع الخضوع لمجري ثابت طوال حياته على مقعد العمل من أجل إنتاج ألف من الملذات لصاحب عمله، في حين يعرف نفسه بكونه أقل غباء من

الأثنين، ويعرف خطأه الوحيد، و هو أنه ولد في كوخ بدلا من المجيء إلى العالم في قلعة.

وأخيرا، فإن عددا كبيرا من "العاطلين" لا يفهمون في هذه المهنة المضطرين لكسب عيشهم من خلالها. أنهم يرون شيء ناقص مصنوع بأيديهم، ويسعون عبثا ليفعلوا ما هو أفضل منه، ولإدراكهم أنهم لن ينجحوا بسبب العادات السيئة للعمل المطلوبة بالفعل، فإنهم يبدأوا في كره مهنتهم، ولعدم معرفتهم لأي مهنة أخرى يكرهون العمل بشكل عام. ويعانى الآلاف من العمال والفنانين الفشل لهذا السبب.

من ناحية أخرى، الذي تعلم منذ شبابه العزف على البيانو بشكل جيد، والتعامل مع النوتات الموسيقية بشكل جيد، أو استخدام الأزميل، والفرشاة، أو القالب، لدرجة أنه يشعر بأن ما يفعله جميل، سوف لن يتخلى أبدا عن العزف على البيانو، أو الأزميل، أو القالب. وسوف يجد متعة في عمله الذي لا يتعبه، طالما أنه لا يجبر عليه.

تم تجميع سلسلة من النتائج لأسباب مختلفة، تحت اسم واحد، "الكسل"، برغم إن كل واحد منها يمكن أن يكون مصدرا للخير، بدلا من أن يكون مصدرا الشر في المجتمع. مثل جميع المسائل المتعلقة بالإجرام و التى تتعلق بقدرات الإنسان، تم جمع الحقائق التى لا يوجد أي شيء مشترك مع بعضها البعض. يقولون الكسل أو الجريمة، من دون إعطاء أنفسهم عناء تحليل قضيتهم. هم على عجل لمعاقبتهم، دون أن يستفسروا إذا كانت العقوبة نفسها لا تحتوي على قسط من "الكسل" أو "الجريمة". [8]

لهذا السبب في المجتمع الحر، عند رؤية زيادة عدد الكسالى في وسطه، سوف يفكر بلا أي شك فى البحث عن سبب الكسل، وذلك لكبحه، قبل اللجوء إلى العقاب. عندما تكون الحالة، كما ذكرنا سابقا، من نقص دموية دماغ بسيطة، إذن، فقبل حشو دماغ الطفل بالعلم، غذي جسده و ذلك لإنتاج الدم، و قويه، وإنه لا يجوز أن تضيع وقته على مقاعد الدرس، خذه إلى الريف أو إلى شاطئ البحر. علمه الهندسة هناك في الهواء الطلق، وليس في الكتب، عن طريق قياس المسافة بين حجرين، أو قياس ارتفاع شجرة. علمه العلوم الطبيعية، في حين يقطف الزهور ويصيد في البحر. وحين يبنى القارب الذى سوف يذهب به لصيد

السمك. ولكن من أجل الرحمة لا تملأ دماغه بالجمل واللغات الميتة. كي لا تجعل منه كسول!.

مثل هذا الطفل الذى لا لديه نظام ولا عادات منتظمة. دعوا الأطفال يغرسون النظام بين أنفسهم، وفي وقت لاحق، الذهاب بهم إلى المختبر، وورشة العمل، والعمل معهم في مساحة محدودة، مع العديد من الأدوات حولهم، سوف يتعلمون المنهج. ولكن لاتطرد الكائنات غير المنضبطة بمدرستك، التي يكون النظام فيها فقط هو تماثل المقاعد، والتي هى الصورة الحقيقية للفوضى في تعاليمها، والتى سوف لن تلهم أبدا أي شخص بحب الانسجام والاتساق، ومنهج العمل.

ألا ترون أنه من خلال مناهجكم في التدريس، والتي صاغتها وزارة لثمانية ملايين من الطلاب، الذين يمثلون ثمانية ملايين من القدرات المختلفة، فرضتم فقط وجود نظام جيد لمتوسطى القدرات، خططتم له ليناسب متوسطى القدرات؟ تصبح مدرستك جامعة الكسل، بينما السجن هو جامعة الجريمة. إجعل المدرسة حرة، وإلغى درجات جامعتك، وناشد المتطوعين للتدريس. إبدأ بهذه الطريقة، بدلا من سن قوانين ضد الكسل التي لا تؤدي إلا إلى زيادته.

إعطاء العامل الذي يضطر لصنع الجسيمات الدقيقة لبعض الأشياء، والذي يتم خنقه على آلته الصغيرة، والذي ينتهي الحال به لبغض عمله، فرصة لحراثة الأرض، وقطع الأشجار في الغابات، والإبحار في البحار في أسنان العاصفة، يشق الفضاء على المحرك، ولكن لا تجعله المهمل بإجباره أن يقضى كل حياته للحضور للآلة الصغيرة، لصنع رأس المسمار، أو لحفر ثقب إبرة.

إكبح سبب الكسل، وإنه يمكن اعتبار إنه من المسلم به أن عدد قليل من الأفراد سوف يكرهون حقا العمل، والعمل التطوعي خصوصا، وإنه لن تكون هناك حاجة لتصنيع مدونة القوانين بسببهم.

الفصل الثالث عشر
نظام الأجور الجمعية

أولاً

في رأينا أن الجمعيين ارتكبوا خطأ مزدوجا في خططهم لإعادة بناء المجتمع. فبينما يتحدثون عن إلغاء حكم الرأسمالية، فإنهم ينوون مع ذلك الإبقاء على إثنين من المؤسسات الأساسية للغاية لهذه الحكم - الحكومة التمثيلية ونظام الأجور.

وفيما يتعلق بما يسمى بالحكومة التمثيلية، التي كثيرا ما تحدثنا عنها. فمن غير المفهوم على الاطلاق لنا أن بشر أذكياء - وهذا غير مطلوب في الحزب الجمعي - يمكن أن يظلوا أنصار البرلمانات الوطنية أو البلدية من بعد كل دروس التاريخ المأخوذة منهم - في فرنسا، أو في انكلترا، أو في ألمانيا، أو في الولايات المتحدة.

في حين نرى أن الحكم البرلماني ينكسر بحدة، وأصبح انتقاد هذا الحكم يعلو من جميع الجهات - ليس فقط بسبب نتائجه، ولكن أيضا لمبادئه - كيف يمكن للاشتراكيين الثوريين الدفاع عن نظام أدانوه بالفعل إلى الموت؟.

بنت الطبقات البرجوازية البرلمانية، والحكم البرلماني كسمة بارزة لحكم الطبقة البرجوازية كي تتماسك ضد الملكية وتحاسبها، وفي نفس الوقت تعزز، سيطرتها على

العمال. ولم يأخذ المؤيدون لهذا النظام على محمل الجد أن البرلمان أو المجالس البلدية تمثل الدولة أو المدينة. حيث يعلم الأكثر ذكاءا من بينهم أن هذا أمر مستحيل. وقد استخدمت الطبقة البرجوازية بكل بساطة النظام البرلماني لرفع الحاجز بينها وبين الملوك، من دون اعطاء الحرية للناس. ولكن تدريجيا، أصبح الناس واعين لمصالحهم وتنوع مصالحهم المتكاثرة، وأن النظام لم يعد يعمل. لذا تصور الديمقراطيون من جميع البلدان عبثا مسكنات المرض. وحاولوا اللجوء للاستفتاء فوجدوه فاشل؛ تحدثوا عن التمثيل النسبي، وهو تمثيل الأقليات، وفي كلمة واحدة كل اليوتوبيات البرلمانية الأخرى، التى تسعى للعثور على ما لا يمكن العثور عليه، أجبرتهم على الاعتراف بأنهم على الطريق الخطأ، واختفت الثقة في الحكومة التمثيلية.

إنه نفس الأمر مع نظام الأجور. فبعد أن أعلن إلغاء الملكية الخاصة، وأقر بالحيازة المشتركة لجميع وسائل الإنتاج، فكيف يمكن أن يحافظ مخلصا على نظام الأجور بأي شكل من الأشكال؟ وهو، مع ذلك، ما يفعله الجمعى عندما يوصي بشيكات العمل.

فمن السهل أن نفهم لماذا توصل الاشتراكيون الإنجليز الأوائل لنظام شيكات العمل. لأنهم حاولوا ببساطة أن يجعلوا رأس المال والعمل يوافقون على ذلك. انهم تنكروا لفكرة وضع اليد بعنف على الملكية الرأسمالية.

كما يفهم بسهولة لماذا تبنى برودون هذه الفكرة في وقت لاحق. فقد حاول في نظامه المتنافع جعل رأس المال أقل هجومية، على الرغم من الإبقاء على الملكية الخاصة، التي كان يكرهها من أعماق قلبه، ولكن التي كان يعتقد في نفس الوقت أنها ضرورية لضمان حرية الأفراد ضد الدولة.

ليس من المدهش أن اقتصاديين معينين، أكثر أو أقل برجوازية، يقدرون شيكات العمل. أنهم يهتمون قليلا بالوسائل التى يتم الدفع بها للعامل سواء بمذكرات العمل أو بعملة مختومة برمز الجمهورية أو الإمبراطورية. أنهم يهتمون فقط بإنقاذ الملكية الفردية للمنازل، وللأراضي، وللمصانع، من الدمار، وفى أى حالة تكون فيها المنازل السكنية ورأس المال ضروريان للتصنيع. وسوف تكون مذكرات العمل مجرد الإجابة التى الغرض منها دعم هذه الملكية الخاصة.

طالما يمكن تبادل مذكرات العمل بجواهر أو عربات، فإن صاحب المنزل يقبلها منهم عن طيب خاطر للإيجار. وطالما يملك المنازل والحقول والمصانع مالك معزول، ولديه ما سوف يدفعه للبشر، بطريقة أو بأخرى، لكونه يسمح لهم بالعمل في الحقول أو المصانع، أو بالعيش في المنازل. فإن الملاك سوف يقبلون أن يدفع لهم العاملين بالذهب، أو بورقة مالية، أو بشيكات صرف لجميع أنواع السلع. ولكن كيف يمكن أن ندافع عن مذكرات العمل، هذا الشكل الجديد من الأجورية، عندما نعترف أن المنازل والحقول والمصانع لن تكون ملكية خاصة، وأنها سوف تنتمي إلى الكوميونة أو الأمة؟

ثانيًا

دعونا نبحث عن كثب هذا النظام للأجر عن العمل المنجز، الذي بشر به الجمعيون الفرنسيون، والألمان، والإنجليز، والإيطاليون (الأناركيون الأسبان، الذين ما زالوا يطلقون على أنفسهم جمعيون، يعنون بالجمعية الحيازة المشتركة لجميع أدوات الإنتاج، و"حرية كل مجموعة فى تقسيم المنتجات، بما تراه مناسبا، وفقا للشيوعية أو أي مبادئ أخرى"). فهو يرقى إلى هذا: يعمل الجميع في الحقل والمصنع والمدرسة، والمستشفى، وما إلى ذلك. تحدد الدولة التي تملك الأراضي والمصانع والطرق، وما إلى ذلك، يوم العمل، ويتم الدفع لكل يوم عمل بمذكرة عمل، والمكتوب فيها هذه الكلمات: ثمانية ساعات عمل. يمكن مع هذا الشيك للعامل أن يقوم بشراء جميع أنواع البضائع من المخازن المملوكة للدولة أو من الشركات العامة. ويقبل الشيك القسمة، بحيث يمكنك شراء بقيمة ساعة عمل اللحوم وبقيمة عشر دقائق كبريت، أو بنصف ساعة عمل التبغ. بعد الثورة الجمعية، بدلا من أن تقول " قيمة الصابون بنسين،" سنقول "قيمة الصابون عشرة دقائق عمل".

معظم الجمعيون أوفياء للتمييز بين العامل المؤهل والعامل البسيط، الذى أقره خبراء الاقتصاد من الطبقة البرجوازية (ومن بينهم ماركس)، يقولون لنا، علاوة على ذلك، أن العامل المؤهل أو المهنى يجب أن يدفع له كمية معينة أكثر من العمل البسيط. وهكذا فعمل ساعة من الطبيب سوف يتعين النظر إليه بما يعادل عمل ساعتين أو ثلاث ساعات للممرضة في المستشفى، أو لثلاث ساعات

عمل من الحفار. يقول جرونلاند الجمعي، " العمل المهني أو المؤهل، سوف يكون من مضاعفات العمل البسيط، لأن هذا النوع من العمل يحتاج إلى التدرب لفترة أكثر أو أقل طولا".

الجمعيون الآخرون، مثل الماركسيون الفرنسيون، لا يتبنون هذا التمييز. أنهم يعلنون "المساواة في الأجور." الطبيب، والمدرس، سوف يتم الدفع لهم (بشيكات العمل) بنفس معدل الحفار. سوف تكون ثماني ساعات فى زيارة المرضى في المستشفى تستحق نفس الثماني ساعات التى تم إنفاقها فى العمل في الأرض، أو في المناجم أو في المصانع.

البعض قدم تنازلات أكبر. هم يعترفون بأن العمل غير المستحب أو غير الصحي - مثل العمل فى الصرف الصحي - يمكن أن يدفع له بمعدل أعلى من العمل المقبول. كما يقولون إن ساعة عمل واحدة من عامل الصرف الصحى سوف تكون بقيمة، ساعتين من عمل أستاذ.

دعونا نضيف ان بعض الجمعيين يقرون بأن المؤسسات سوف تدفع مبلغ مقطوع للعمل المنجز. وهكذا سوف تقول المؤسسات: "هنا مائة طن من الفولاذ. تتطلب مائة من العمال لإنتاجها، وتأخذ منهم عشرة أيام. حيث يوم عملهم يكون ثماني ساعات عمل، ويأخذ ذلك منهم ثمانية آلاف ساعة من العمل لإنتاج مئة طن من الصلب بمعدل ثماني ساعات للطن ". لهذا سوف تدفع الدولة لهم ثمانية ألف مذكرة عمل، وكل مذكرة بساعة عمل واحدة، وسيتم تقسيم هذه الثمانية آلاف من مذكرات العمل بين الأعضاء من عمال الحديد بالطريقة التى يرونها مناسبة.

من ناحية أخرى، بعد أن أخذ مئة من عمال المناجم عشرين يوما لاستخراج ثمانية آلاف طن من الفحم، وسوف يكون الفحم بقيمة ساعتين عمل للطن، وستة عشر ألف من مذكرات العمل ساعة واحدة لكل منها، تسلمها نقابة عمال المناجم، سوف تقسم بين أعضائها وفقا لتقديرهم الخاص.

إذا احتج عمال المناجم، وقالوا إن طن من الصلب يجب أن لا يكلف سوى ست ساعات عمل بدلا من ثمانية. لو تمنى الأستاذ أن يدفع مقابل يوم عمله أكثر مرتين من الممرضة، فإن الدولة سوف تتدخل، لتسوية خلافاتهم.

هذا هو، في بضع كلمات، التنظيم الجمعى الذى يرغب في رؤية انفجار الثورة الاجتماعية. كما نرى، مبادئهم هي: الملكية الجماعية لأدوات الإنتاج، ومكافأة كل عامل حسب الوقت الذي يقضيه في الإنتاج، مع الأخذ بعين الاعتبار إنتاجية عمله. أما بالنسبة للنظام السياسي، فسوف يكون البرلمانية التى يتم تعديلها بمبدأ التعليمات الإلزامية التى يعطيها الناخبين إلى المنتخبين، ومن خلال الاستفتاءات - حيث تأخذ الأمة فى التصويت، بغالبية المصوتين بلا أو المصوتين بنعم.

دعونا نعترف أن هذا النظام يبدو لنا غير ممكن تحققه.

يبدأ الجمعيون بإعلان مبدأ ثوري هو إلغاء الملكية الخاصة ، ثم ينكرون ذلك بأسرع مما أعلنوه بدعم وتنظيم الإنتاج والاستهلاك الذي نشأ في سياق الملكية الخاصة.

يعلنون مبدأ ثوري، ويتجاهلون العواقب التى تنتج عن هذا المبدأ حتما. ينسون أن الحقيقة الكاملة لإلغاء الملكية الفردية لوسائل العمل - الأراضي والمصانع والطرق ورأس المال - يجب أن تأخذ المجتمع إلى مسارات جديدة بشكل مطلق. يجب الإطاحة تماما بنظام الإنتاج الحالي، سواء في هدفه، وكذلك في وسائله. يجب تعديل العلاقات اليومية بين الأفراد، بمجرد اعتبار الأرض، والآلات، وجميع أدوات الإنتاج الأخرى ملكية مشتركة.

يقولون:"لا ملكية خاصة"، وعلى الفور يسعون جاهدين للحفاظ على الملكية الخاصة في مظاهرها اليومية. " يجب أن تكون الكوميونة فيما يتعلق بالإنتاج: الحقول، والأدوات، والآلات، وكل ما تم اختراعه حتى الآن- المصانع والسكك الحديدية والموانئ والمناجم، الخ، كلها لكم. ولن يتم أدنى تمييز فيما يتعلق بحصة كل شخص منكم في هذه الملكية الجماعية.

ثم يضيفون "لكن من الغد سوف تناقش بدقة نصيبك الذى سوف تأخذه لإنشاء آليات جديدة، في حفر مناجم جديدة. سوف تزن بعناية أي جزء من المحصول الجديد ينتمي لك. وسوف تحسب كل دقيقة من عملك، وسوف تراقب دقيقة جيرانك بحيث لا يمكن أن تشترى بأكثر من دقيقتك.

"وبينما الساعة لا تقيس شيئا، كما هو الحال في بعض المصانع حيث يمكن للعامل أن يتابع ست محركات أنوال في وقت واحد، بينما في مصنع آخر يمكن أن يتابع إثنين فقط، سوف تزن القوة العضلية، والطاقة الدماغية، والطاقة العصبية

التـى تـم إنفاقهـا فى كل سـاعة. سـوف تقـوم بحسـاب دقيق لسـنوات التلمـذة الصناعية مـن أجـل تقييـم الكميـة التـى سـوف تسـاهم كل منهـا فى الإنتـاج في المسـتقبل. وهـذا - بعـد أن أعلنـت أنـك لا تأخـذ بعـين الاعتبـار نصيبـه في الإنتـاج السـابق "

حسـنا، بالنسـبة لنـا فمـن الواضـح أن المجتمـع لا يمكـن أن يقـوم عـلى مبدأيـن متعارضـين تمامـا، وإثنـين مـن المبـادئ اللـذان يتعارضـان مـع بعضهـا البعـض باسـتمرار. والأمـة أو الكوميونـة التـي مـن شـأنها أن يكـون لهـا مثـل هـذا التنظيـم سـوف تضطـر إلى العـودة إلى الملكيـة الخاصـة في أدوات الإنتـاج، أو لتحويـل نفسـها فـورا إلى المجتمـع الشـيوعي.

ثالثًا

قلنـا أن بعـض الكتـاب الجمعيـين يرغبـون فى وجـوب التمييـز بـين العمـل المؤهـل أو المهنـي والعمـل البسـيط. ويدعـون أن سـاعة عمـل مهنـدس، أو مهنـدس معـماري، أو طبيـب يجـب أن ينظـر إليهـا، كسـاعتين أو ثـلاث سـاعات عمـل " لحـداد، أو بنـاء، أو ممرضـة مستشـفى. ويجـب أن يتـم نفـس التمييـز بـين جميـع أنـواع المهـن التـى اسـتلزمت وقـت أكـثر أو أقـل مـن التدريـب، و بـين التعـب البسـيط مـن عـمال المياومـة.

حسـنا، إقامـة هـذا التمييـز سـيكون الحفـاظ عـلى جميـع أوجـه عـدم المسـاواة في المجتمـع الراهـن. إنـه سـوف يعنـي تثبيـت الخـط الفاصـل، مـن البدايـة، بـين العـمال وأولئـك الذيـن يطالبـون بحكمهـم. فـإن ذلـك يعنـي تقسـيم المجتمـع إلى طبقتـين متميزتـين جـدا - أرسـتقراطية المعرفـة فـوق الطبقـة الأدنى التـى تعمـل بيديهـا- واحـدة محكومـة لخدمـة الآخـرى. واحـد يعمـل بيديـه لإطعـام وكسـاء أولئـك الـذي، اسـتفادوا مـن وقـت فراغهـم، ودراسـة كيفيـة التحكـم بهـم.

وهـذا يعنـي إحيـاء واحـدة مـن الخصائـص المميـزة للمجتمـع الحـالي، وإعطائهـا إقـرار الثـورة الاجتماعيـة. ويعنـى وضعـه كمبـدأ سيء أديـن بالفعـل في مجتمعنـا المتداعـي القديـم.

نحـن نعـرف الجـواب الـذى سـوف نحصـل عليـه. هـم يتحدثـون عـن "الاشـتراكية العلميـة". ويقتبسـون مـن الاقتصاديـين البرجوازيـين، وماركـس أيضـا، لإثبـات أن حجـم

الأجور لديه سبب لوجوده، مثل أن " قوة عمل " المهندس ستكون أكثر تكلفة للمجتمع من " قوة عمل " الحفار . في الواقع، - لم يحاول الاقتصاديون أن يثبتوا لنا أنه إذا تم الدفع لمهندس عشرين مرة أكثر من الحفار فذلك لأن المصاريف "الضرورية" لجعله مهندس أكبر من تلك الضرورية لجعله حفار عشرين مرة؟ وألم يؤكد ماركس أن نفس التمييز منطقي بالتساوي بين فرعين من العمل اليدوي؟ وقال انه لا يمكن أن نخلص إلى خلاف ذلك، بعد أن أخذ في حسابه الخاص نظرية ريكاردو في القيمة،، وأيد إنه يجري تبادل السلع بما يتناسب مع كمية العمل الضروري اجتماعيا لإنتاجها.

ولكننا نعرف الفكرة في هذا التفاوت. ونعلم أنه إذا تم الدفع للمهندسين والعلماء والأطباء عشرة أو مائة مرة أكثر من العامل، وإن النساج يكسب ثلاث مرات أكثر من مجرد العامل الزراعي، وعشر مرات أكثر من فتاة في مصنع للكبريت، فإنه ليس بسبب "تكلفة الإنتاج"، ولكن بسبب احتكار التعليم، أو احتكار الصناعة. يستغل المهندسون والعلماء والأطباء رؤوس أموالهم أي شهاداتهم الدراسية بشكل مجرد، مثلما يستغل أرباب العمل من الطبقة البرجوازية مصانعهم، أو مثلما إعتاد النبلاء استغلال ألقابهم، ألقاب طبقة النبلاء.

كما أن صاحب العمل الذي يدفع للمهندس عشرين مرة أكثر من العامل، يحقق ببساطة مصلحة شخصية. فلو كان المهندس يمكن أن يوفر 4000 جنيه إسترليني له في السنة من تكلفة الإنتاج، يدفع له صاحب العمل 800 جنيه استرليني، ولو صاحب العمل لديه مراقب عمال يوفر 400 جنيه استرليني من العمل عن طريق دفع العمال للعمل بنشاط، فانه يعطيه بكل سرور 80 جنيه استرليني أو 120 جنيه استرليني في العام. ويتنازل عن 40 جنيه استرليني اضافية عندما يتوقع حصوله على 400 جنيه استرليني من عمل المهندس والمراقب؛ وهذا هو جوهر النظام الرأسمالي. وهي نفس الاختلافات التي تحدث بين الحرف والمهن اليدوية.

دعهم، بالتالي، لا يتحدثون إلينا عن "تكلفة الإنتاج" التي ترفع تكلفة العمالة الماهرة، ويقولون لنا إن الطالب الذي أمضى بمرح شبابه في الجامعة له الحق في أجر عشرة أضعاف إبن عامل المنجم الذي نمى شاحبا في منجم منذ أن كان في سن الحادية عشرة. أو أن النساج لديه الحق في أجر ثلاث أو أربع مرات أكبر من العامل الزراعي. فتكلفة دراسة النساج لعمله ليست أربعة أضعاف تكلفة

تعليم الفلاح لعمله. يستفيد النساج ببساطة عن طريق مزايا ما تجنيه صناعته في أوروبا، بالمقارنة مع الدول التي ليس لديها حتى الآن أي صناعات نسيجية.

لم يحسب أحد من قبل تكلفة الإنتاج، وإذا كانت تكلفة العاطل عن العمل أكثر بكثير من العامل للمجتمع ، يبقى أن نرى ما إذا كان العامل اليومي القوي لا يكلف المجتمع أكثر من الحرفي الماهر، وبينما لا نأخذ فى حسابنا وفاة حديثي الولادة، وويلات فقر الدم، وحالات الوفاة المبكرة بين الفقراء.

هل يمكنهم، على سبيل المثال، أن يجعلونا نعتقد أن الجنية الاسترليني والثلاث شلنات التى تدفع لعامل باريسى، وأن الثلاث شلنات التى تدفع للفتاة الفلاحة أوفيرني التي تصبح عمياء بسبب صنع الدانتيل، أو الجنية الاسترليني والثمن شلنات. التى تدفع إلى الفلاح تمثل "تكلفة إنتاجهم." ونحن نعلم جيدا أن الناس يعملون بأقل من ذلك، ولكننا نعلم أيضا أنهم يفعلون ذلك حصرا لأنهم، بفضل أنظمتنا الرائعة، سيموتون من الجوع إن لم يقبلوا هذه الأجور الوهمية.

بالنسبة لنا فإن سلم الأجور هو نتيجة معقدة للضرائب، وللتأثير الحكومي، وللاحتكار الرأسمالي. في كلمة واحدة، للدولة ولرأس المال. لذلك نقول أن جميع نظريات الأجور قد اخترعت بعد وقوع الحدث لتبرير الظلم القائم في الوقت الحاضر، والتي لا نحتاج إلى أخذها بعين الاعتبار.

كما أنهم سوف يفشلون في اقناعنا بقولهم لنا أن مقياس الأجور الجمعية سيكون تحسنا. ويقولون كذلك ، "سيكون أفضل، رؤية بعض الحرفيين يحصلون على أجر أعلى مرتين أو ثلاث مرات من عمال الكوميونة، من أن نرى وزير يتلقى في يوم واحد ما لا يمكن أن يكسبه عامل في السنة. ستكون خطوة كبيرة نحو المساواة".

بالنسبة لنا هذه الخطوة ستكون عكس التقدم. سوف تصنع التمييز بين العمل البسيط والعمل المهني في المجتمع الجديد، وسوف تؤدي إلى اقرار واعتراف فى الثورة بمبدأ الحقيقة الوحشية التى نخضع له فى الوقت الحاضر، ولكننا على الرغم من ذلك نجده غير عادل. فإن ذلك يعني تقليد هؤلاء السادة من الجمعية الوطنية الفرنسية الذي أعلنت في 4 أغسطس 1789، إلغاء الحقوق الإقطاعية، ولكنهم في 8 أغسطس أقروا هذه الحقوق نفسها من خلال فرض رسوم على الفلاحين لتعويض النبلاء، وفرضت هذه الرسوم باسم حماية الثورة. وإن ذلك

يعني تقليد الحكومة الروسية، التي أعلنت، في وقت انعتاق الأقنان، أن الأرض يجب أن تملكها من الآن فصاعدا طبقة النبلاء، في حين كانت الأراضي تعتبر سابقا مملوكة للأقنان.

وإلا، فمن الأفضل أن نأخذ مثالا معروفا، عندما قررت كومينة 1871 أن تدفع إلى أعضاء المجلس البلدي ستة جنيهات استرلينى و12 شلن. في اليوم واحد، في حين تلقى الاتحاديون المدافعين على أسوار باريس جنية استرلينى وثلاث شلنات فقط. وقد أشادوا بهذا القرار على أنه عمل من أعمال المساواة الديمقراطية الفائقة. ولكن في الواقع، صدقت الكومينة فقط على اللامساواة بين الموظف والجندي، وبين الحكام والمحكومين. قادمة من دائرة انتهازية النواب، ان مثل هذا القرار قد ظهر مثيرا للاعجاب، ولكن الكومونة قد تخلت عن مبادئها الثورية لأنها فشلت في وضعها موضع التنفيذ.

ووفقا لنظامنا الاجتماعي القائم، بينما يحصل الوزير على 4000 جنية استرلينى في السنة، فإن العامل يجب أن يكتفي ب40 جنية استرلينى أو أقل؛ بينما تدفع لمراقب العمال مرتين أو ثلاث مرات أكثر من العامل، وبين العمال هناك كل تدرج ممكن في الأجور، من ثماني شلنات في اليوم للعامل الصناعي وصولا إلى ثلاث شلنات للفتاة الفلاحة؛ نحن لا نوافق على راتب الوزير المرتفع فضلا عن الفرق بين الثمانية شلنات للعامل والثلاث شلنات للمرأة الفقيرة. و نقول، تسقط امتيازات التعليم، وكذلك تلك التي للميلاد!" ثورتنا نحن الأناركيون على وجه التحديد بسبب هذه الامتيازات.

انه ما نثور عليه بالفعل في هذا المجتمع السلطوى. فهل يمكن أن نحمله إلى مجتمع بدأ بإعلان المساواة؟

هذا هو السبب في أن بعض الجمعيين، يفهمون استحالة الحفاظ على سلم الأجور في المجتمع الملهم بنفحة من الثورة، فيبادرون إلى إعلان المساواة في الأجور. ولكنهم يقابلون صعوبات جديدة، و تصبح مساواتهم الأجور نفس اليوتوبيا التي لا يمكن تحقيقها مثل سلم أجور الجمعيين الآخرين.

إن المجتمع بعد أن أخذ حيازة كل الثروة الاجتماعية، بعد أن أعلن بجراءة حق كل شخص في هذه الثروة - أيا كان النصيب الذى ساهم به في الإنتاج سوف يضطر إلى التخلي عن أي نظام للأجور، سواء في شكل عملة أو سندات عمل.

رابعًا

يقول الجمعى "لكل حسب أفعاله". أو بعبارة أخرى، وفقا لحصته من الخدمات التى قدمها للمجتمع. انهم يعتقدون انه من المناسب وضع هذا المبدأ موضع التنفيذ حالما اندلعت الثورة الاجتماعية التى سوف تجعل جميع وسائل الإنتاج ملكية مشتركة. ولكننا نعتقد إنه إذا كان للثورة الاجتماعية من سوء حظها إعلان مثل هذا المبدأ، فإن ذلك سوف يعني ضرورة فشلها. ذلك يعني ترك المشكلة الاجتماعية، التي ظلت تثقلنا طوال القرون الماضية، دون حل. في الواقع، في مجتمع مثل مجتمعنا، الذي يعوض فيه عمل الإنسان بحسب كونه أكثر أو أقل، هذا المبدأ قد يبدو للوهلة الأولى إنه يحقق العدالة. لكنه في الحقيقة ليس سوى إدامة لظلم الماضي. إنه بموجب هذا المبدأ تبدأ الأجورية، لتنتهي بالاختلالات الصارخة، وجميع فواحش المجتمع الراهن. من اللحظة التى يقدر فيها العمل الذى تم القيام به بالعملة أو بأي شكل آخر من أشكال الأجور. اليوم الذى يتم الاتفاق فيه على أن الإنسان سوف لا يحصل إلا على الأجر الذى يمكنه بها تأمين نفسه، وتاريخ المجتمع الرأسمالي كله مكتوب بأفضل ما يكون بمساعدة الدولة. قد نبت من هذا المبدأ.

ألا يجب علينا، إذن، العودة إلى نقطة انطلاقنا ونذهب عبر نفس التطور مرة أخرى؟ يرغب منظرونا في ذلك، ولكن لحسن الحظ أنه من المستحيل. فإن الثورة ينبغى أن تكون شيوعية. و إن لم يكن، فسوف تغرق في الدم، ومن ثم يجب أن تبدأ من جديد.

لا يمكن أن تقيم الخدمات المقدمة للمجتمع بالمال، سواء من الذين يعملون في المصنع أو الحقل أو الخدمات الذهنية، لا يمكن أن يكون هناك مقياس دقيق للقيمة (ما اصطلح على تسميته خطأ بالقيمة التبادلية)، ولا القيمة الاستعمالية، فيما يتعلق بالإنتاج. إذا عمل شخصين للمجتمع خمس ساعات يوميا، سنة بعد سنة، في عملين مختلفين مقبولا لهم بالتساوي، يمكننا ان نقول ان عملهم على العموم يكون متساوى. لكننا لا نستطيع تقسيم عملهم، ونقول إن نتيجة أي يوم أو ساعة أو دقيقة من عمل معين تستحق نتيجة دقيقة أو ساعة من عمل الآخر.

ويمكن القول تقريبا أن الرجل الذي خلال حياته قد حرم نفسه من وقت الفراغ عشر ساعات قد أعطى أكبر بكثير للمجتمع من الشخص الذي حرم

نفسه فقط من قضاء أوقات الفراغ خمس ساعات يوميا، أو الذي لم يحرم نفسه طوال الوقت. ولكن لا يمكننا اخذ ما قام به خلال ساعتين ونقول أن العائد يستحق ضعفي العائد من شخص آخر، عمل ساعة واحدة فقط، ونعوضهما بنفس النسبة. سوف يتم تجاهل كل ما هو معقد في الصناعة، وفي الزراعة، وفي حياة المجتمع الحالي كله؛ يتجاهل إلى أي مدى يكون كل عمل فردي نتيجة لعمل سابق، وحاضر للمجتمع ككل. وهذا يعني الاعتقاد بأننا نعيش في العصر الحجري، في حين أننا نعيش في عصر من الصلب.

إذا قمت بالدخول لمنجم الفحم سوف ترى رجل داخل قفص بآلة ضخمة ترفع وتخفض القفص لأعلى وأسفل. يمسك الرجل برافعة في يده توقف وتعكس مسار الآلة؛ انه يخفضها والقفص يحول اتجاهه مرة أخرى في طرفة عين. يرفعها إليه، ويخفضها مرة أخرى مع سرعة تصيب بالدوار. ويتابع بكل الاهتمام، بعيناه المثبتتين على الحائط حيث يوجد مؤشر يبين له على نطاق صغير، إلى أى نقطة ينتقل القفص في كل ثانية من تقدمه. وبمجرد أن يصل المؤشر إلى مستوى معين فإنه يوقف فجأة مسار القفص، وليس بباردة أعلى ولا أدنى من البقعة المطلوبة. وبأسرع ما يكون فإن الفحاميين يحملون الفحم فى العربات، ويدفعون تلك الفارغة بدلا من ذلك، مما يعكس الرافعة، ومرة أخرى يرسل القفص مرة أخرى إلى الفضاء.

يجب عليه أن يركز انتباهه خلال ثماني أو عشر ساعات متتالية. ولا يجب أن تسترخى دماغه لحظة، وإلا فإن القفص سوف يقف حتما ضد السير، ويكسر عجلاته، ويقطع الحبل، ويسحق الرجال، ويعرقل العمل في المنجم. ومع ثلاث ثوان تضيع في كل لمسة للرافعة، سوف يتم تخفيض الاستخراج ما بين20إلى50 طن يوميا، في مناجمنا الكاملة الحديثة.

هل هذا العامل هو المفيد الأكبر في المنجم؟ أو ربما هو الصبي الذي يشير إليه من أسفل كي يرفع القفص؟ هل هو عامل المنجم في الجزء السفلي من العمود، الذي يخاطر بحياته كل لحظة، والذي سوف يقتل في يوم من الأيام بثوران رطبة؟ أم هو المهندس الذي سيفقد طبقة من الفحم، وسوف يسبب فى أن يحفر عمال المناجم على الصخور بسبب خطأ بسيط في حساباته الهندسية؟ وأخيرا، هل هو مالك المنجم الذي وضع كل ما قدمه من رأس المال في المنجم، والذي لديه ربما، خلافا لمشورة الخبراء ما يؤكد أن الفحم الممتاز يوجد هناك؟.

يساهم جميع عمال المناجم العاملين في هذا المنجم في استخراج الفحم بما يتناسب مع قوتهم، و طاقتهم، ومعرفتهم، وذكائهم، ومهاراتهم. ويمكننا ان نقول ان لهم كل الحق في العيش، لتلبية احتياجاتهم، وحتى أهوائهم، عندما يتم تأمين ضرورات الحياة للجميع. ولكن كيف يمكننا تقييم عملهم؟.

وعلاوة على ذلك، هل الفحم استخرجه عملهم فقط؟ أليس كذلك عمل الرجال الذين بنوا خط السكة الحديدية لتؤدى إلى المنجم، والطرق التي تشع منه لكل محطاتها؟ أليس كذلك عمل ذلك الذي حرث وزرع الحقول، واستخرج الحديد، وقطع الخشب في الغابات، وبنى الآلات التي تحرق الفحم، وهلم جرا؟.

"لا يمكن التمييز بين قيمة عمل عامل وأخر لتحديد القيمة النهائية للمنتج، وكل محاولة لقياس قيمة عمل الإنسان سوف تقودنا نتائجها إلى العبث؛ ومحاولة تقسيمها وقياسها من خلال الساعات التي يقضيها العامل في العمل، سوف تقودنا أيضا إلى سخافة فلا يبقى سوى شيء واحد: وضع تلبية الاحتياجات البشرية فوق مكافأة الأعمال بالأجور، أو تسعير السلع بالثمن، وأولا وقبل كل كل شيء أن تعترف بحق كل شخص في العيش، وفي وقت لاحق، إلى وسائل الراحة فى الحياة، لجميع أولئك الذين يؤدون دورهم في الإنتاج.

لكن لنأخذ أي فرع آخر من فروع النشاط البشري - نأخذ مظاهر الحياة ككل. أي واحد منا يستطيع أن يدعي أحقيته في الأجر الأعلى لعمله؟ هل هو الطبيب الذي اكتشف المرض، أوالممرض الذي أدى إلى انتعاش المريض من خلال رعايته الصحية؟ هل هو مخترع أول محرك بخارى، أو الصبي الذي فى أحد الأيام تعب من سحب الحبل الذي كان يفتح سابقا صمام المحرك للسماح للبخار أن يدخل تحت المكبس، فربط الحبل إلى ذراع الآلة، وبهذا الفعل اخترع الجزء الميكانيكي الأساسي لجميع الآلات الحديثة دون شك - الصمام التلقائي.

هل هو مخترع القاطرة، أو رجل الأعمال فى نيوكاسل، الذي اقترح استبدال الحجارة التى كانت توضع سابقا تحت القضبان بالألواح الخشبية التى تربط القضبان، لأن الحجارة، لعدم مرونتها، كانت تسبب عرقلة القطارات؟ هل هو المهندس على قاطرة؟، رجل الإشارة الذي يمكن أن يوقف القطارات؟ هل هو المحولجى الذي ينقل القطار من خط إلى خط آخر؟ - لمن ندين من الذين أنشأوا كابل النقل عبر الأطلسي؟ هل هو المهندس الذي أكد بعناد أن الكابل

من شأنه أن ينقل الرسائل بينما أعلن الكهربائيون المتعلمون أنه من المستحيل أن يفعل ذلك؟ هل هو موري، أم العلماء، الذين نصحوا بأن الكابلات السميكة يجب أن توضع فى شكل كابلات أرفع ما يكون مثل الخيرزان بجانب بعضها البعض؟ هل هؤلاء المتطوعين، والذين أتوا من حيث لا يعلم أحد ، الذين قضوا أيامهم ولياليهم على سطح السفينة يفحصون بدقة كل ياردة من الكابل،ويزيلون المسامير التي جعلها المساهمون فى شركات السفن البخارية بغباء تخترق غلاف الكابل، ولجعله غير صالح للاستعمال، كى يؤدى لعدم إجراء الاتصالات عبرها.

وفي مجال أوسع، المجال الحقيقي للحياة، بأفراحها، ومعاناتها، وحوادثها، هل يمكن لأى واحد منا أن يدعى أن الشخص الذى أدى خدمة كبيرة جدا أننا يجب أن نكون ساخطين إذا ما ذكر ما يعادلها بعملة؟ الخدمة قد تكون مجرد كلمة واحدة، ليست سوى كلمة قيلت في الوقت المناسب، وإلا فإنها قد تكون أشهر وسنوات من التفاني، ونحن في طريقنا لتقييم هذه الخدمات التى "لا تحصى بمذكرات العمل"؟.

"سوف يعمل الكل!"، وإلا فإن المجتمع البشري سوف لن يوجد لأكثر من جيلين متتاليين إذا كان كل واحد لن يعطي بلا حدود أكثر من الذى دفع له بالعملة، "بالشيكات"، أو بالمكافآت المدنية. سوف ينقرض العرق بسرعة إذا لم تضحى الأمهات بحياتهن لرعاية أطفالهن، اذا لم يعطى البشر في كل الوقت، دون أن يطالبوا بما يعادله، اذا كان البشر لا يعطون فقط إلا لأولئك الذين يتوقعون منهم أي مكافأة.

لو تحلل مجتمع الطبقة البرجوازية، بحيث قد وصل إلى طريق مسدود من حيث لا يمكننا الخروج منه دون مهاجمة المؤسسات الماضية بالنار والكراهية، وهذا هو بالضبط لأننا أصبحنا نتحاسب كثيرا جدا. ذلك لأنه قد جعلنا نتأثر فقط بالإعطاء فقط مقابل أن نتلقى. ذلك لأنه يهدف إلى تحويل المجتمع إلى شركة تجارية مؤسسة على الدائنين والمدينين.

يعرف الجمعيون ذلك. وهم يرون أن المجتمع لا يمكن أن يوجد إن لم ينفذ مبدأ "كل وفقا لأفعاله " حيث لديهم فكرة هى أن احتياجات الفرد الضرورية، لا تتوافق دائما مع أعماله، ونحن لا نتكلم عن أهواءه. ولهذ يقول دي بيب لنا: إن آثار مبدأ الفردية البارز، يمكن أن تخفف بالتدخل الاجتماعي، لتعليم الأطفال

والشباب (بما في ذلك الرعاية والإقامة)، والتنظيم الاجتماعي لمساعدة العجزة والمرضى، ولتقاعد العمال المسنين، الخ "إنهم يفهمون أن رجلا فى أربعين، وهو أب لثلاثة أطفال، لديه احتياجات أخرى مختلفة عن شاب فى العشرين. وهم يعرفون أن المرأة التي ترضع طفلها الرضيع، وتقضي الليالي الطوال بلا نوم في السرير، ولا تستطيع أن تفعل الكثير من العمل بينما أن الرجل هو الذي ينام بسلام. ويبدو أنهم لا يأخذون في اعتبارهم بأن الرجال والنساء، يمكن أن يتهالكوا بفضل العمل الزائد للمجتمع، وقد يكونوا غير قادرين على القيام بالكثير من العمل في حين أن هناك من يقضوا وقت فراغهم وجيوبهم الخاصة " مليئة بمذكرات العمل" لأنهم فى مهنة متميزة في دولة الموظفين.

إنهم يحرصون على تخفيف آثار مبدأهم. فيقولون: "إن المجتمع سوف لن يفشل في الحفاظ على أبنائه وتنشئتهم. ولمساعدة كل من المسنين والعجزة. دون شك ستكون الاحتياجات المقياس للتكلفة التى سوف يتحمل عبئها المجتمع نفسه ، للتخفيف من مبدأ الأفعال ".

الخيرية، و دائما الخيرية المسيحية، و لكن التي تمنحها الدولة هذه المرة. وهم يعتقدون في تحسين الملاجئ للقطاء، وفي رعاية الشيخوخة وتأمين المرضى - وذلك لتخفيف مبدأهم. لكنهم لا يستطيعون الرمي بعد جانبا لفكرة "الإصابة أولا وتضميد الجراح بعد ذلك!".

وهكذا، بعد إنكارهم الشيوعية، بعد أن تحايلوا على تيسيرهم الصيغة - "لكل حسب حاجته" أكتشف هؤلاء الاقتصاديين العظام أنهم قد نسيوا شيئا، احتياجات المنتجين، التي أعترفوا بها الآن. و التى لا يجوز للدولة أن تقدرها إلا إذا كانت لا تتناسب مع العمل.

سوف توزع الدولة الإعانات الخيرية. وفقا إلى قانون الفقراء الإنجليزي والإصلاحية ما هى إلا خطوة.

لا يوجد سوى درجة، لأنه حتى زوجة أب المجتمع، وفي مواجهة ما قد يسبب الثورة عليها، أجبرت على تخفيف أثار مبادئها الفردية. إنها، أيضا، كان عليها أن تقدم تنازلات في الاتجاه الشيوعي، وتحت نفس النوع من الأعمال الخيرية.

إنها تقوم أيضا، بتوزيع وجبات العشاء بنصف بنى لمنع نهب متاجرها. وتبني مستشفى سيئة جدا- في كثير من الأحيان، على الرغم من تلك الرائعة في بعض

الأحيـان تمنـع ويـلات الأمـراض المعديـة. إنهـا، أيضـا، بعـد أن تدفـع مقابـل سـاعات العمل، تـأوي أبنـاء هـؤلاء الذيـن قـد دمرتهـم. انهـا تأخـذ احتياجاتهـم بعـين الاعتبـار، وتحـت نفـس شـكل الصدقـة.

الفقـر، كـما قلنـا في أي مـكان آخـر، كان السـبب الرئيـسي للـثروة. كان الفقـر هـو الذى خلـق الرأسـمالية الأولى. لأنـه، قبـل تراكـم "فائـض القيمـة"، الـذي نسـمع بـه كثيرا، كان عـلى الرجـال أن يكونـوا معوزيـن بمـا فيـه الكفايـة للموافقـة عـلى بيـع قـوة عملهـم، حتـى لا يموتـون مـن الجـوع. كان البـؤس هـو الـذى صنـع الرأسـماليين. وإذا كان عـدد الفقـراء فى زيـادة سريعـة خـلال العصـور الوسـطى، فقـد كان بسـبب أن الغزوات والحـروب التـي تلـت تأسـيس الـدول، وزيـادة الـثروات الناتجـة عن اسـتغلال الشرق، التـي مزقـت الأواصر إربـا، والتـي وحـدت مـرة واحـدة المجتمعـات الزراعيـة والحضريـة، وعلمتهـم أن يعلنـوا مبـدأ الأجـور، العزيـز جـدا عـلى المسـتغلين، بـدلا مـن التضامـن الـذى مارسـوه في السـابق.

وهـل هـذا المبـدأ الـذى ينطلـق مـن ثـورة يجـرؤ البـشر عـلى اسـتدعاؤها باسـم الثورة الاجتماعيـة، هـو اسـم واضـح جـدا للجوعـى والمضطهديـن و الذيـن يعانـون؟

لا يمكـن أبـدا أن يكـون. اليـوم الـذي ستسـقط فيـه المؤسسـات القديمـة تحـت الفأس البروليتـاري، والأصـوات تـصرخ: "الخبـز والمـأوى، والرفاهيـة للجميـع!" وهـؤلاء سوف يسـتمعوا إلى تلـك الأصـوات ؛ النـاس سـوف يقولـون: "دعونـا نبـدأ تهدئـة عطشنا مـن أجـل الحيـاة، والسـعادة، مـن أجـل الحريـة، وأننـا لـن نطفـأ أبـدا. وعندمـا نكون قـد ذاقـت مـن هـذا الفـرح يمكننـا تحديـد العمـل عـلى هـدم مـا تبقـى مـن آثار حكـم الطبقـة البرجوازيـة، وأخلاقهـا المسـتمدة مـن دفاتـر الحسـاب، وفلسـفة الخصم والائتـمان، وفي هــدم مؤسسـات مـا لى ومـا لـك، سـوف نبنـي، "كـما قـال برودون. ويجـب علينـا أن نبنـي باسـم الشـيوعية والأناركيـة ".

الفصل الرابع عشر
الاستهلاك و الإنتاج

أولاً

نبدأ من الفرد الحر للوصول إلى المجتمع الحر عند البحث عن المجتمع وتنظيمه السياسي، وهي وجهة نظر مختلفة عن المدارس الاستبدادية، بدلا من أن نبدأ من الدولة لننزل للفرد، نتبع نفس الأسلوب في القضايا الاقتصادية. ندرس احتياجات الأفراد أولا، والوسائل التي تمكنهم من تلبيتها لأنفسهم، قبل مناقشة الإنتاج، والتبادل، والضرائب، والحكومة، وما إلى ذلك

وبادئ ذي بدء، قد يظهر الفرق تافه، ولكنه في واقع الأمر يزعزع الاقتصاد السياسي الرسمي.

إذا قمت بفتح أعمال أي اقتصادي سوف تجد أنه يبدأ من الإنتاج، وتحليل الوسائل المستخدمة في الوقت الحاضر لخلق الثروة. تقسيم العمل، والتصنيع، والآلات، وتراكم رأس المال. سار الجميع من آدم سميث إلى ماركس، على طول هذه الخطوط. ويتناولون فقط في الأجزاء الأخيرة من كتبهم الاستهلاك، وهذا يعني، الوسائل اللازمة لتلبية احتياجات الأفراد؛ وعلاوة على ذلك، فإنهم يقتصرون

على شرح كيفية تقسيم الثروات بين أولئك الذين يتنافسون مع بعضهم البعض على حيازاتها.

وربما سوف يقال أن هذا أمر منطقي. فقبل تلبية الاحتياجات يجب إنشاء ما يلزم للوفاء بها. ولكن قبل إنتاج أي شيء، ألا يجب أن يشعروا بالحاجة لذلك؟ أليست الضرورة هي التي قادت أول رجل كي يصطاد، وليربي الماشية، وليزرع الأرض، وليصنع الأدوات، وفي وقت لاحق أن يخترع الآلات؟ أليست دراسة الاحتياجات هي التي ينبغي أن تحكم الإنتاج؟ ولذلك سيكون من المنطقي تماما أن نبدأ بالنظر في الاحتياجات، وبعد ذلك مناقشة وسائل الإنتاج من أجل تلبية هذه الاحتياجات.

هذا هو بالضبط ما نعني القيام به.

ولكن بمجرد أن ننظر إلى الأمر من وجهة النظر هذه ، يغير الاقتصاد السياسي تماما مظهره. فهو لم يعد وصفا بسيطا للحقائق، ويصبح علم. ويمكننا تحديد ذلك على النحو التالي: دراسة الاحتياجات الإنسانية، ووسائل تلبيتها بأقل أهدار محتمل للطاقة البشرية. يجب أن يكون إسمه الحقيقي، علم وظائف الأعضاء للمجتمع. وهو يشكل العلم الموازي لعلم وظائف الأعضاء في النباتات والحيوانات، والتي هي أيضا دراسة احتياجات النباتات والحيوانات، والطرق الأكثر فائدة لتلبيتها. يأخذ في سلسلة العلوم الاجتماعية مكان اقتصاد المجتمعات البشرية، ويحتل ما يحتله في سلسلة العلوم البيولوجية علم وظائف الأعضاء للأجسام العضوية.

ونحن نقول، هنا كائنات بشرية، تكتلت في مجتمع. ويشعر الجميع بالحاجة للعيش في منزل صحي . فالكوخ الوحشي لم يعد يلبي لهم احتياجهم. أنهم يحتاجون إلى مأوى أكثر راحة وتماسكا. والسؤال هو، إذن: ما إذا كان يمكن لقدرة الإنسان على الإنتاج أن تحقق ذلك ، بحيث يمكن لكل إنسان أن يكون له بيت خاص؟ وما الذى يعرقل حصوله عليه؟.

ونحن تقريبا مقتنعون أن كل أسرة في أوروبا يمكن أن يكون لها بيت مريح تماما، مثل الذى يتم بناؤه في انجلترا، أو في بلجيكا، أو في بولمان سيتي، أو أى مجموعة مماثلة من الغرف. سيكون هناك عدد معين من أيام العمل تكفي لبناء منزل رائع صغير متجدد الهواء، ومجهز جيدا، وحتى مضاء بالغاز.

و لكن تسعة أعشار الأوروبيون لم يمتلكوا منزل صحي أبدا، لأنه في كل مرة كان عامة الناس يعملون يوما بعد يوم لتلبية احتياجات حكامهم، و لم يكن عندهم

وقت الفراغ الضروري أو المال لبناء المنزل، أو ليبنوا منزل أحلامهم. وطالما لم يمكن أن يكون لهم أي دور، فسوف يظلوا يعيشون في أكواخ طالما بقيت الظروف الحالية دون تغيير.

نحن ننطلق كما ترون، على عكس الاقتصاديين، الذين يخلدون ما يسمى بقوانين الإنتاج، ويحسبون عدد المنازل التي بنيت في كل عام، ويظهرون بالإحصاءات، أن المنازل الجديدة التي بنيت لا تكفي لتلبية جميع المطالب، ولذلك فتسعة أعشار الأوروبيون يجب أن يعيشوا في الأكواخ.

دعنا نمر على مسألة الحصول على الغذاء. بعد تعداد الفوائد المتأتية من تقسيم العمل، يخبرنا الاقتصاديون أن تقسيم العمل يتطلب أن بعض الرجال يجب أن يعملوا في الزراعة وغيرهم في التصنيع. تنتج المزارع كثيرا، وتنتج المصانع كثيرا، ويجري التبادل في مثل هذه الطريقة، ويحللون البيع، والربح وصافي الربح أو فائض القيمة، والأجور، والضرائب، والخدمات المصرفية، وهلم جرا.

ولكن بعد أن إتبعناهم حتى الآن، لازلنا في حيرة، ولو سألناهم: "كيف يمكن أن يعاني الملايين من البشر من عدم وجود الخبز، وعند كل أسرة يمكن أن ينمو القمح بما يكفي لإطعام عشرة، وعشرين، وحتى مائة شخص سنويا؟. "أنهم يجيبونا بتكاسل بنفس النشيد - تقسيم العمل، والأجور، وفائض القيمة، ورأس المال، وما إلى ذلك - وصولا إلى نفس النتيجة. إن الإنتاج غير كاف لتلبية جميع الاحتياجات. الاستنتاج الذي إذا كان هذا صحيحا، لا يجيب على السؤال: "هل يمكن أو لا يمكن للإنسان إنتاج الخبز الذى يحتاجه من عمله؟. وإذا كان لا يمكن، فما الذى يعيقه؟. "هنا 350 مليون من الأوروبيين. انهم في حاجة للكثير من الخبز، الكثير من اللحوم، والنبيذ والحليب والبيض، والزبدة كل عام. إنهم في حاجة للكثير من المنازل، والكثير من الملابس. هذا هو الحد الأدنى من احتياجاتهم. هل يمكن أن ينتجوا كل هذا؟. ولو كان بإمكانهم، هل بعد ذلك سوف يترك لهم وقت الفراغ الكافي للفن والعلوم و التسلية؟ . في كلمة واحدة، لكل ما لا يكون في فئة الضرورات المطلقة؟. إذا كان الجواب بالإيجاب، فما الذي يعيقهم فى المضي قدما؟. و ما يجب القيام به لإزالة تلك العقبات؟ والوقت اللازم؟ إسمح لهم بعمل ذلك! ولكن دعونا لا نغفل هدف الإنتاج - أي تلبية الاحتياجات.

إذا ظلت الاحتياجات الأكثر إلحاحا للإنسان لا تلبى، فماذا يجب عليه القيام به لزيادة الإنتاجية من عمله؟ وهل هناك سبب آخر؟ فهل قد يكون هذا الإنتاج، بعد أن فقد احتياجات الإنسان، قد ذهب في اتجاه خاطئ تماما، وهل تنظيمه خطأ؟ وكما إننا يمكن أن نثبت أن هذا هو الحال، دعونا نرى كيفية إعادة تنظيم الإنتاج، وذلك لتلبية جميع الاحتياجات حقا.

يبدو لنا هذا الطريق الصحيح الوحيد لمواجهة الأمور. والطريقة الوحيدة التي من شأنها أن تسمح للاقتصاد السياسي أن يصبح علم - علم وظائف الأعضاء الاجتماعي.

ومن الواضح أنه بينما هذا العلم سوف يعالج الإنتاج، كما يجرى في الوقت الحاضر بالأمم المتحضرة ، وبكوميونات الهنود، أو بعشائر البدائيين، فإنه كما نقول سوف يذكر حقائق مختلفة بقوة عن ما ينص عليه الاقتصاديون الآن. وهذا يعني فصل وصفي بسيط، مماثل لفصول وصفي في علم الحيوان وعلم النبات. ولكن إذا تمت كتابة هذا الفصل لإلقاء الضوء على اقتصاد الطاقة الضرورية لتلبية الاحتياجات الإنسانية، سوف يكتسب الفصل الدقة، مثلما يكتسب القيمة الوصفية. فإنه يثبت بوضوح الاهدار المخيف للطاقة البشرية في ظل النظام الحالي، وسوف يعترف، كما نفعل، إنه طالما يوجد هذا النظام، فالاحتياجات الإنسانية لن تكون مشبعة.

وجهة النظر، التى نراها، سوف تتغير تماما. فخلف النول الذي ينسج الكثير من ياردات القماش، ووراء ثقب لوحة الفولاذ ، ووراء الخزانة التي يتم فيه إكتناز الأرباح، يجب أن نرى الإنسان وحرفي الإنتاج، غير مستبعدا من الوليمة التى أعدها للآخرين في كثير من الأحيان. وعلينا أيضا أن نفهم أن وجهة النظر الخاطئة، في ما يسمى بقوانين القيمة والتبادل التى ليست سوى تفسير زائف جدا للأوضاع الجارية، كما تحدث في الوقت الحاضر. وأن الأشياء سوف تحدث بشكل مختلف جدا عندما يتم تنظيم الإنتاج بالطريقة التى تلبى جميع احتياجات المجتمع.

ثانيًا

ليس هناك مبدأ واحد متميز فى الاقتصاد السياسي لا يتغير مظهره إذا نظرتم إليه من وجهة نظرنا.

خذ على سبيل المثال، الإفراط في الإنتاج، وهي كلمة يعاد صداها فى آذاننا كل يوم. هل هناك اقتصادي واحد، أو أكاديمي، أو مرشح للحصول على لقب أكاديمي، لم يؤيد هذه الحجج، ويثبت أن الأزمات الاقتصادية نتيجة لفائض الإنتاج . إنه في لحظة معينة يتوفر المزيد من القطن، والمزيد من القماش، وإنتاج المزيد من الساعات الزائدة عن الحاجة! لم يتهم البشر"جشع" الرأسماليين الذين هم ملزمون بعناد على إنتاج أكثر مما يمكن أن يستهلكوه! ولكن عند دراسة متأنية لكل هذه الأسباب تثبت أنها غير سليمة. في الواقع، هل هناك سلعة بين تلك التي تستخدم على نطاق عالمي يتم إنتاجها بكمية أكبر من الحاجة؟ دراسة واحدة تلو الأخرى لجميع السلع التي ترسلها البلدان المصدرة على نطاق واسع، وسوف نرى أن كلها تقريبا تنتج بكميات غير كافية لسكان البلدان المصدرة لهم.

إنه ليس الفائض من القمح هو ما يرسله الفلاحون الروس إلى أوروبا. لأنهم لا ينتجون أكثر المحاصيل وفرة من القمح والجاودار فى روسيا الأوروبية إلا بما يكفي للسكان. وكقاعدة عامة يحرم الفلاح نفسه من ما يحتاج إليه فعلا عندما يبيع محصوله من القمح أو الشعير لدفع الإيجار والضرائب.

وليس من وجود لفائض من الفحم الذي يرسل من إنجلترا إلى الزوايا الأربعة من العالم، فقط لأن ثلاثة أرباع طن، لكل فرد من السكان، سنويا، تبقى للاستهلاك المحلي المنزلى، مع حرمان الملايين من الإنجليز من إشعال النار في الشتاء، أو لا يملكون إلا ما يكفي لسلق الخضروات القليلة. في الواقع، وبالوضع جانبا الكماليات عديمة الفائدة، هناك في إنجلترا، التي تصدر أكثر من أي بلد آخر، مجرد سلعة واحدة في الاستخدام العالمي هى المنسوجات القطنية التى يكون إنتاجها كبير بما فيه الكفاية، ولربما يتجاوز احتياجات المجتمع. ولكن بالنظر إلى الخرق التي تستخدم فى الملابس التي يرتديها أكثر من ثلث سكان المملكة المتحدة، يقودنا إلى أن نسأل أنفسنا ما إذا كانت كل هذه الأقطان المصدرة لا تتضمن مقدار تافه، يتناسب مع الاحتياجات الحقيقية للسكان؟.

وبينما القاعدة إنه لا يوجد فائض حيث يتم تصديره، على الرغم من أنه قد يكون كذلك في الأصل. فحكاية الإسكافي حافي القدمين صحيحة بالنسبة للدول كما كانت سابقا بالنسبة للحرفيين. نحن نصدر السلع الضرورية. ونحن نفعل ذلك، لأن العمال لا يستطيعون أن يشتروا بأجورهم ما كانوا قد أنتجوه، ويدفعون إلى جانبه الإيجار للرأسمالي، والفائدة للمصرفي.

فالامر لا يقتصر على الحاجة المتزايدة من الراحة التى لا تزال غير مشبعة، ولكن الضرورات المباشرة غالبا ما تكون مفتقدة. لذلك "إنتاج الفائض"، لا وجود له، على الأقل ليس بالمعنى الذى يقصده منظروا الاقتصاد السياسي.

خذ نقطة أخرى - يقول جميع الاقتصاديون لنا: إن هناك قانونا ثبت جيدا " ينتج الإنسان أكثر مما يستهلك" بعد أن عاش على عائدات تعبه، لا يزال هناك فائض. وهكذا، تنتج عائلة من المزارعين ما يكفي لإطعام عدد من العائلات، وهكذا دواليك.

بالنسبة لنا، هذه الجملة المتكررة ليس لها معنى. فإنها تكون صحيحة إذا كان ذلك يعني أن كل جيل يترك شيئا للأجيال القادمة. وهكذا، على سبيل المثال، مزارع زرع شجرة سوف تعيش، ربما، لمدة ثلاثين، أو أربعين، أو مائة سنة، والتي سيظل يجمع ثمارها أحفاد المزارع. أو أنه نظف أفدنة قليلة من الأرض البكر، ونحن نقول إن تراث الأجيال القادمة قد زاد عن ذلك بكثير. الطرق و الجسور والقنوات وبيته وأثاثه والكثير من الثروات التى تركها للأجيال القادمة.

ولكن هذا ليس هو المقصود. فقد قالوا لنا أن المزارع أنتج أكثر مما كان يحتاج أن يستهلكه. وبدلا من ذلك ينبغي أن نقول إن الدولة دائما ما تأخذ منه نصيب كبير من إنتاجه للضرائب، ويأخذ الكاهن العشر، ويأخذ مالك الأرض الإيجار، وبذلك تم إنشاء طبقة كاملة من الرجال، الذين تناولوا سابقا ما أنتجه، ووفر ما كان يضعه جانبا لحوادث غير متوقعة، أو مصاريف تكبدها في عمليات التشجير والطرق، وما إلى ذلك - ولكنه اليوم يضطر للعيش بشكل سيئ للغاية، من اليد إلى الفم، والباقي يؤخذ منه من كل من الدولة ، ومالك الأرض، والكاهن، والمرابي.

دعونا نلاحظ أيضا أنه إذا كانت احتياجات الفرد لدينا هي نقطة الانطلاق، فنحن لا يمكن أن نفشل في الوصول إلى الشيوعية، وهي النظام الذى يمكنا من

تلبية جميع الاحتياجات بالطريقة اقتصادية الأكثر شمولا. في حين إذا كان لنا أن نبدأ من طريقتنا الحالية للإنتاج، والتى تهدف إلى جنى الربح وفائض القيمة، دون الأخذ بعين الاعتبار أن الإنتاج يكون فى مقابل تلبية الاحتياجات، سوف نصل بالضرورة إلى الرأسمالية، أو على الأكثر إلى الجمعية - فكلاهما أشكالا متنوعة من نظام الأجورية.

في الواقع، عندما نأخذ في الاعتبار احتياجات الفرد والمجتمع، والوسائل التي يلجأ إليها الإنسان من أجل إرضاءها خلال مراحله المتنوعة للنمو، فلأننا مقتنعون بضرورة منهجة جهودنا، بدلا من الإنتاج العشوائي كما نفعل في الوقت الحاضر. إنه يصبح من الواضح أن استيلاء عدد قليل من الناس لكل الثروات التى لا تستهلك، والتى تنتقل من جيل إلى آخر، ليس في المصلحة العامة. ويمكننا القول كحقيقة أنه بسبب هذه الأساليب فإن احتياجات ثلاثة أرباع المجتمع ليست مشبعة، وأن الإهدار الحالي لقوة الإنسان غير مفيد، وأكثر اجراما.

نكتشف، علاوة على ذلك، أن الاستخدام الأكثر فائدة لجميع السلع سيكون، أولا، لتلبية تلك الاحتياجات التي هي الأكثر إلحاحا: ذلك، وبعبارة أخرى، فإن ما يسمى ب "القيمة الاستعمالية" لسلعة ما لا يتوقف على نزوة بسيطة، كما جرى التأكيد علي ذلك في كثير من الأحيان، ولكن على ما تشبعه من احتياجات حقيقية.

الشيوعية - وهذا هو القول، هي النظام الذي من شأنه أن يتوافق مع وجهة نظر تأخذ الاستهلاك، والإنتاج، والتبادل، ككل - وبالتالي تصبح نتيجة منطقية لفهم الأشياء، الشيء الوحيد، في رأينا، الذى يمكن أن يكون علمي حقيقي.

ومن المؤكد أن المجتمع الذي يكون دوره هو تلبية احتياجات الجميع، والتي سوف يعرف كيفية تنظيم الإنتاج، وأيضا سيكتسح العديد من التحيزات المتعلقة بالصناعة، وأولا وقبل كل شيء نظرية غالبا ما بشر بها الاقتصاد - نظرية تقسيم العمل - التي نحن بصدد مناقشتها في الفصل التالي.

الفصل الخامس عشر

تقسيم العمل

الاقتصاد السياسي لم يقصر نفسه دائما على ذكر الحقائق التي تحدث في المجتمع، وتبريرها في مصلحة الطبقة المهيمنة. وبالتالي فإنه ينحاز لصالح تقسيم العمل الذى أنشأته الصناعة. وبعد أن وجد أنه مربح للرأسماليين وضعه كمبدأ.

قال آدم سميث، والد الاقتصاد السياسي الحديث فلننظر إلى حداد قرية. إذا كان لم يكن معتادا على صنع المسامير فإنه سوف لن ينجح إلا من خلال العمل الشاق في صهر من مئتين إلى ثلاث مائة فى اليوم، وحتى مع ذلك ستكون سيئة. ولكن إذا كان هذا نفس الحداد لا يصنع أي شيء إلا المسامير، فإنه بسهولة يمكن أن يوفر ما يصل إلى 2300 مسمار في غضون يوم واحد. وسارع سميث إلى الاستنتاج - "تقسيم العمل، والتخصص، المضي قدما نحو التخصص. دعونا لا يكون عندنا من الحدادين إلا الذين لا يعرفون سوى كيفية صنع رؤوس أو أجزاء من المسامير، وهذا يعني أننا سوف تنتج أكثر. سوف نصبح أغنياء ".

أن الحداد المحكوم عليه بالسجن مدى الحياة لصنع رؤوس المسامير سوف يفقد الاهتمام بعمله، سوف يكون تحت رحمة صاحب عمله تماما مع حرفته اليدوية المحدودة، سوف يعمل أربعة أشهر من أصل اثنتي عشر، وسوف يقلل أجر المتدرب عندما يمكن الاستعاضة عنه بسهولة، لم يفكر سميث في الأمر عندما

هتف - "يعيش تقسيم العمل. هذا هو منجم الذهب الحقيقي الذى من شأنه أن يثري الأمة! "وانضم الكل للهتاف.

وفي وقت لاحق، عندما بدأ سيسموندى أو جى بى ساى فى فهم أن تقسيم العمل، بدلا من أن يثرى الأمة كلها، يثري الأغنياء فقط، وإن العامل، الذي يعيش محكوما عليه بأن يصنع الجزء الثامن عشر من دبوس، سوف يزداد غبائه، ويغرق فى البؤس - ماذا أقترح الاقتصاديون الرسميون؟ لا شى! لم يقولو لأنفسهم أنه عن طريق الطحن مدى الحياة لشخص فى نفس الكدح الميكانيكى سوف يفقد العامل كل من ذكائه وروحه للابداع، وأنه على العكس من ذلك، فإن امتهانه مجموعة متنوعة من المهن من شأنها أن تؤدي إلى زيادة كبير في الإنتاجية للأمة. ولكن هذه هي المسألة بالذات المعروضة لنا الآن.

ولكن، إذا بشر الاقتصاديون فقط بالتقسيم الدائم للعمل، وغالبا الوراثى، نحن قد نسمح لهم للتبشير بقدر ما يحلو لهم. ولكن الأفكار التى يدرسها أساتذة العلم تنفذ في عقول الناس وتفسدهم، من السماع مرارا وتكرارا عن تقسيم العمل والأرباح والفوائد والقروض وغيرها، كما يتحدثون عن مشاكل تم حلها منذ فترة طويلة، وينتهى البشر، والعمال أيضا، للقول مثل الاقتصاديين، ويبجلون نفس الأوثان.

وهكذا نرى عددا من الاشتراكيين، حتى أولئك الذين لا يخشون أن يشيروا إلى أخطاء العلم، يبررون تقسيم العمل. يتحدثون لهم حول تنظيم العمل خلال الثورة، وهم يجيبون أن تقسيم العمل يجب أن يستمر. أنه إذا كنت تشحذ الدبابيس قبل الثورة يجب أن تذهب كى تشحذهم بعدها. صحيح، لن تضطر إلى العمل أكثر من خمس ساعات في اليوم، ولكن سيكون شحذ الدبابيس هو كل ما تبذله فى الحياة، في حين أن آخرين سوف يصنعون تصاميم الآلات التي سوف تمكنك من شحذ مئات الملايين من الدبابيس خلال حياتك. والبعض الآخر مرة أخرى سيكونوا المتخصصين في فروع أعلى من الأدب والعلم والفن، وما إلى ذلك. فأنت ولدت لشحذ الدبابيس في حين ولد باستور لابتكار التلقيح ضد مرض الجمرة الخبيثة، وسوف تترك الثورة لكم على حد سواء التوظيفات الخاصة بكل منها. حسنا، هذا هو المبدأ الرهيب، والضار جدا للمجتمع، والوحشي جدا للفرد، مصدر الكثير من الأضرار، والتي نقترح مناقشة مظاهرها المتنوعة.

نحن نعرف عواقب تقسيم العمل تماما. ومن الواضح أننا منقسمين إلى فئتين: من ناحية المنتجون الذين يستهلكون القليل جدا والمعفيون من التفكير لأنهم لا يفعلون سوى العمل البدني، و الذين يعملون بشكل سيء لأن أدمغتهم لا تزال نشطة. ومن ناحية أخرى، فإن المستهلكين، الذين ينتجون القليل أو لا يكادوا ينتجون أي شيء، لديهم امتياز التفكير للآخرين، والذين يفكرون بشكل سيء لأن كل عالم أولئك الذين يكدحون بأيديهم غير معروف لهم. لا يعرف عمال الأرض شيئا عن الآلات، وأولئك الذين يعملون في الأجهزة يجهلون كل شيء عن الزراعة. المثل الأعلى للصناعة الحديثة هو طفل يراقب آلة، وأنه لا يمكن و لا يجب أن يفهم، و يوقع مراقب العمال عليه الغرامات لو فتر انتباهه لحظة. المثل الأعلى للزراعة الصناعية هو الاستغناء عن العامل الزراعي تماما، ووضع رجل محله يؤدى وظائف غريبة ويشغل المحراث البخارى أوالدراس الآلي. يعني تقسيم العمل بوضع العلامات التصنيفية والأختام على البشر مدى الحياة، البعض يجدل الحبال في المصانع والبعض ليكونوا مراقبين في الأعمال التجارية، والبعض الآخر ليملأ السلال الضخمة للفحم في جزء معين من المناجم؛ ولكن أيا منهم ليس لديه أي فكرة عن الآلات، ولا عن الأعمال، ولا عن المناجم ككل. وبذلك يدمرون حب العمل والقدرة على الاختراع، حيث أنشأت الآلية في بداية الثورة الصناعية الحديثة، التي نفخر بها كثيرا.

ما فعلوه للأفراد، أرادوا أيضا أن يفعلوه بالدول. كانت الإنسانية منقسمة إلى ورش عمل وطنية، وكان لدي كل منها تخصصها. روسيا، كما تعلمنا، كانت متجهة بالطبيعة لزراعة الذرة. وتغزل إنجلترا القطن. وبلجيكا لنسج القماش. في حين كانت سويسرا لتدريب الممرضات والمربيين. وعلاوة على ذلك، كانت كل مدينة تنشأ تخصصها المميز. فكانت ليون لنسج الحرير، وأوفيرني لصنع الدانتيل، وباريس للمواد الفاخرة. ويعتقد الاقتصاديون أن التخصص فتح مجال هائل للإنتاج والاستهلاك، والذي كان عصر ثروة لا حدود لها للبشرية في متناول اليد.

ولكن هذه الآمال الكبيرة اختفت بأسرع ما انتشرت المعرفة التقنية في الخارج. فطالما إنجلترا وقفت وحدها كنساج للقطن، وكمعدن على نطاق واسع. و لطالما تمتعت باريس المواد الفنية الفاخرة فقط ، الخ، و طالما كلها على ما يرام، فقد نشر الاقتصاديون بما يسمى تقسيم العمل الدولى دون أن أى دحض.

لكـن تيـار جديـد مـن الفكـر اجتـاح جميـع الـدول المتحـضرة لتصنيـع نفسـها. ووجـد الباحثـون أنـه مـن المفيـد إنتـاج مـا كان ينتـج سـابقا فى بلـدان أخـرى، أو فى مسـتعمراتها، التـي بدورهـا تهـدف إلى تحريـر نفسـها مـن سـيطرة البلـد الأم. جعلـت الاكتشـافات العلميـة أسـاليب الإنتـاج عالميـة، ومـن الآن فصاعـدا أصبـح مـن غـير المجـدي دفـع ثمـن باهـظ في الخـارج لمـا يمكـن بسـهولة أن يتـم إنتاجـه في الوطـن. هـل هـذه الثـورة الصناعيـة تـضرب ضربـة سـاحقة نظريـة تقسـيم العمـل الـذي كان مـن المفـترض أن تكـون سـليمة؟.

الفصل السادس عشر

لا مركزية الصناعة

أولا

بعد حروب نابليون، نجحت بريطانيا في تدمير جميع الصناعات الرئيسية التي ظهرت في فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر. وأصبحت أيضا سيدة للبحار وكان لا منافس لها فى الأهمية. و أخذت في هذا الوضع، تعرف كيفية تحويل امتيازاته، ومزاياه لحسابها. أسست الاحتكار الصناعي، وفرضت على جيرانها أسعارها للبضائع التى أصبحت وحدها التى يمكن تصنيعها، و راكمت الثروات على الثروات.

ولكن بينما ألغت ثورة الطبقة البرجوازية في القرن الثامن عشر العبودية، وخلقت البروليتاريا والصناعة في فرنسا، ، وقد أعيقت لبعض الوقت في رحلتها، ثم انطلقت مرة أخرى، من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، توقفت فرنسا عن أن تكون أحد أسواق انجلترا للسلع المصنعة. فقد تطورت أيضا اليوم إلى أمة تمارس التصدير. انها تبيع كثيرا ما قيمته أكثر من ستين مليون جنيه من السلع المصنعة، وثلثي هذه السلع هي الأقمشة. ويقدر عدد الفرنسيين الذين يعملون لتصدير أو العيش من التجارة الخارجية ما يزيد عن الثلاثة ملايين.

وفرنسا بالتالى لم تعد سوقا لانجلترا. لأنها بدورها سعت إلى احتكار بعض فروع الصناعة الأجنبية، مثل الحرير والملابس الجاهزة، وجنت أرباحا هائلة منها؛ لكنها على وشك فقدان هذا الاحتكار فى أي وقت، بينما انكلترا على وشك فقدان احتكار البضائع القطنية.

بالسفر شرقا، وصلت الصناعة إلى ألمانيا. فقبل خمسين عاما كانت ألمانيا أحد أسواق انجلترا وفرنسا لمعظم السلع المصنعة في فروع أعلى من الصناعة. حتى لم يعد الأمر كذلك. ففي غضون الخمسة وأربعين عاما الماضية، وخاصة منذ الحرب الفرنسية الألمانية، نظمت ألمانيا صناعتها تماما. ويتم تجهيز المصانع الجديدة بأفضل الآلات. وأحدث إبداعات الفن الصناعي في السلع القطنية من مانشستر، أو في الحرير من ليون، وما إلى ذلك، تم الوصول الآن في مصانع ألمانية حديثة. ما استغرقه الأمر من جيلين أو ثلاثة أجيال من العمال، في ليون ومانشستر، لبناء الآلات الحديثة. لكن ألمانيا تبنتها في حالتها المثالية. بنت المدارس الفنية و كيفتها وفقا لاحتياجات الصناعة، لتزويد المصانع بجيش من العمال الذهنيين - المهندسيين العمليين، الذين يمكن أن يعملوا باليد والدماغ. لتبدأ الصناعة الألمانية من النقطة التي لم يتم الوصول إليها إلا بواسطة مانشستر وليون بعد خمسين عاما من تلمس طريقها في الظلام، من المجهود والتجارب.

وترتب على أن ألمانيا أصبحت تصنع محليا كذلك، أنها قللت وارداتها من فرنسا وإنجلترا عاما بعد عام. حتى إنها لم تصبح فقط منافستها في السلع المصنعة في آسيا وأفريقيا، ولكن منافسة أيضا في لندن وباريس. ويصرخ الناس قصيروا النظر ضد معاهدة فرانكفورت، حيث إنهم يفسرون المنافسة الألمانية بسبب الاختلافات القليلة في تسعيرات السكك الحديدية. ويركزون على الجانب الصغير من القضايا والحقائق التاريخية العظيمة المهملة. ولكن لا شيء أقل من أن الصناعات الرئيسية، التي كانت سابقا في يد إنجلترا وفرنسا، قد تقدمت شرقا، في ألمانيا وجدوا البلد، التي تمتلك طبقة برجوازية ذكية شابة ممتلئة بالطاقة، والحريصة بدورها على إثراء نفسها من خلال التجارة الخارجية.

بينما حررت ألمانيا نفسها من الخضوع إلى فرنسا وإنجلترا، وصنعت لنفسها ملابسها القطنية، وشيدت آلاتها الخاصة - في الواقع، صنعت جميع السلع - أخذت الصناعات الرئيسية أيضا تنغرس في روسيا، حيث تطورت الصناعة بما هو الأكثر إثارة للدهشة لأنها انطلقت بالأمس فقط.

ففي زمن إلغاء القنانة عام 1861، فان روسيا لم يكن لديها أي مصانع. كل ما كانت تحتاجه من الآلات، والسكك الحديدية، ومحركات السكك الحديدية، والسلع الغنية جاء من الغرب. إلا أنها بعد عشرين عاما أصبحت تمتلك بالفعل 85000 من المصانع، وزادت البضائع من هذه المصانع أربعة أضعاف في القيمة.

تم استبدال الآلات القديمة، والآن تقريبا جميع الصلب المستخدم في روسيا، و ثلاثة أرباع الحديد، و ثلثي الفحم، وجميع محركات السكك الحديدية، والسكك الحديدية، والقضبان، وجميع البواخر تقريبا، مصنوعة في روسيا.

روسيا، التى كانت متجهة وفق ما كتب الاقتصاديون إلى أن تبقى بلاد زراعية، قد تطورت بشكل سريع إلى بلد صناعية. انها لا تطلب بالكاد أي شيء من انكلترا، والقليل جدا من ألمانيا.

تمسك الاقتصاديون بمسئولية الجمارك عن هذه الحقائق، وحتى الأقطان المصنعة في روسيا تباع بنفس السعر كما هو الحال في لندن. لا يأخذ الرأسمال بالاعتراف بالوطن، والرأسماليون الألمان والإنجليز، يرافقهم المهندسون والملاحظون من جنسياتهم، أنتجوا في مصانع روسيا وبولندا، كل هذه البضائع المتميزة التي أصبحت تتنافس مع الأفضل مع البضائع الواردة من إنجلترا. و إذا ألغيت الجمارك غدا، فإن الصناعة لا تكسب إلا من خلال ذلك. تلقى المصنعون البريطانيون منذ وقت ليس ببعيد ضربة قاسية أخرى إلى واردات القماش، والمنسوجات الصوفية من الغرب. حيث أقاموا مصانع الصوف الهائلة فى روسيا الوسطى والجنوبية ، مجهزة بالآلات الأكثر مثالية من مصانع برادفورد، وبالفعل فإن روسيا الآن بالكاد لا تستورد أكثر من بضع قطع من القماش الإنجليزي والأقمشة الصوفية الفرنسية مثل العينات.

لا تتحرك الصناعات الرئيسية شرقا فقط، فهي تمتد إلى شبه الجزيرة الجنوبية. وقد أظهر معرض تورينو 1884 بالفعل التقدم الذى تم إنجازه في المنتجات المصنعة الايطالية، ودعونا لا نرتكب أي خطأ في ذلك، الكراهية المتبادلة بين الطبقات البرجوازية الفرنسية والإيطالية لا يوجد له أصل بخلاف التنافس الصناعي. وأصبحت أسبانيا أيضا دولة صناعية. أما في الشرق، فقد ظهرت بوهيميا فجأة كمركز جديد مهم لتصنيع وتوفير الآلات الكاملة، وتطبيق أفضل الأساليب العلمية.

بوسعنا أن نذكر أيضا التقدم السريع في الصناعات الرئيسية فى المجر، ولكن دعونا بدلا من ذلك أخذ البرازيل كمثال على ذلك. حكم الاقتصاديون على البرازيل بزراعة القطن للأبد، لتصديره في حالته الخام، والحصول على الأقمشة القطنية من أوروبا بالتبادل. في الواقع، منذ أربعين عاما كانت البرازيل لا تملك سوى تسعة مصانع للأقمشة القطنية صغيرة و بائسة فقط مع 385 مغزل. اليوم هناك 108 مصنع غزل للقطن، لديها 715000 مغزل و 26050 نول نسج، الذي يضخ 234 مليون ياردة من المنسوجات في السوق سنويا.

حتى المكسيك اتجهت لتصنيع القماش من القطن، بدلا من استيراده من أوروبا. كما أن الولايات المتحدة قد حررت نفسها تماما من الوصاية الأوروبية، وطورت بنجاح قوى التصنيع الخاصة بها.

ولكن الهند هى التي أعطت الدليل الأبرز ضد التخصص في الصناعة الوطنية.

نحن نعلم جميعا نظرية: أن الدول الأوروبية العظمى تحتاج المستعمرات، وعلى المستعمرات أن ترسل المواد الخام - ألياف القطن والصوف غير المغزول، والتوابل وغيرها، إلى البلد الأم. بحجة أن البلد الأم ، سوف ترسل لها المواد المصنعة، حيث تتخلص مما لديها من سلعها الرديئة، وآلتها الخردة الحديدية، وكل شيء لم يعد له استخدام عندها. لا يكلفها سوى القليل أو لا شيء، وعلى الرغم من ذلك يتم بيع تلك المواد للبلاد المستعمرة بأسعار باهظة.

كانت هذه النظرية - ملهمة مثل هذه الممارسة لفترة طويلة. صنعت ثروات لندن ومانشستر في حين كان يجري خراب الهند. حيث ترى في متحف الهند في لندن الثروات التى لم يسمع بها من قبل، التي جمعها التجار الإنجليزية في كلكتا وبومباي.

لكن تجار إنجليز آخرين وغيرهم من الرأسماليين تصوروا فكرة بسيطة جدا أنه سيكون من الأنسب استغلال المواطنين من الهند عن طريق صنع الأقمشة القطنية في الهند نفسها، بدلا من استيرادها بما تتراوح قيمته ما بين 20-24 مليون جنيه من البضائع سنويا.

في البداية كانت سلسلة من التجارب التى باءت بالفشل. النساجون الهنديون والحرفيون والخبراء في ممارسة حرفتهم التقليدية ، لم يمكنهم تعويد أنفسهم على الحياة فى المصنع؛ وكانت الأجهزة المرسلة من ليفربول سيئة. وكما كان يجب أخذ

المناخ الحار الرطب في الحسبان؛ وكان على التجار أن يكيفوا أنفسهم مع الظروف الجديدة، والآن لوحظ بشكل كامل، أن الهند البريطانية يمكن أن تصبح المنافس الذى يهدد البلد الأم هذه الأيام.

إنها تمتلك الآن 200 مصنع أقمشة قطنية توظف حوالي 196400 من العمال، تحتوي على 5231000 مغزل، و 48400 نول، و 38 مصنع للجوت، مع 409000 مغزل. انها تصدر سنويا إلى الصين، وإلى جزر الهند الهولندية، وأفريقيا ما تبلغ قيمته ما يقرب من ثمانية ملايين جنيه من نفس أقمشة القطن الأبيض، والتى يقال إنها تخصص لانجلترا. وعلى الرغم من أن العمال الإنجليز عاطلون عن العمل ويعانون العوز الكبير، فالنساء الهنديات تنسجن القطن من الآلات المستخدمة في الشرق الأقصى بمقابل نصف الشلن يوميا. باختصار، أدرك الصناعيون الأذكياء تماما أن اليوم ليس بعيدا عندما لا يعرفوا ماذا سوف يفعلون مع "عمال المصانع" الذين نسجوا سابقا الملابس القطنية المصدرة من إنجلترا. فضلا عن أنه أصبح أكثر وأكثر وضوحا أن الهند لن تستورد طن واحد من الحديد من إنجلترا. وقد تم التغلب على الصعوبات الأولية في استخدام الفحم وخام الحديد في الهند؛ وأنشئت مسابك، لتنافس تلك الموجودة في إنجلترا، وقد تم بناءها على شواطئ المحيط الهندي.

تنافس المستعمرات مع البلد الأم في إنتاجها للسلع المصنعة، هو العامل الذي سوف ينظم الاقتصاد في القرن العشرين.

ولماذا لا يجب أن تصنع الهند؟، ما ينبغي أن يكون عائقا؟، رأس المال؟ ولكن رأس المال يذهب إلى أي مكان يوجد فيه بشر فقراء بما يكفي لاستغلالهم. المعرفة؟ - ولكن المعرفة لا تعترف بالحواجز الوطنية. المهارات الفنية للعامل؟ - لا، مثل العمال الهنود أقل شأنا من 237000 من الفتيان والفتيات، أقل من ثمانية عشر عاما، و الذين يعملون حاليا في مصانع النسيج الإنجليزية؟

ثانيًا

بعد أن أخذنا لمحة عن الصناعات الوطنية فإنه سيكون من المفيد جدا أن نلتفت إلى الصناعات الخاصة.

دعونا نأخذ الحرير، على سبيل المثال، وهو منتج فرنسي بارز في النصف الأول من القرن التاسع عشر. نحن جميعا نعرف كيف أصبحت ليون المركز التجاري لتجارة الحرير. في البداية جمع الحرير الخام في جنوب فرنسا، شيئا فشيئا حتى أنها طلبته من إيطاليا وإسبانيا، والنمسا، ومن القوقاز، ومن اليابان، لتصنيع الأقمشة الحريرية بها. في عام 1875، من أصل خمسة ملايين كيلوجرام من الحرير الخام تم تحويلها إلى سلع في محيط ليون، كان هناك أربعة مائة ألف كيلوجرام فقط من الحرير الفرنسي. ولكن إذا استورد صناعيوا ليون الحرير الخام، فلماذا لا ينبغي على صناعيي سويسرا، ألمانيا، روسيا، أن يصنعوا كثيرا مثلهم ؟ وتطور نسج الحرير فى الواقع في القرى المحيطة بزيوريخ. و أصبحت بايل مركزا كبيرا لتجارة الحرير. و اتفقت إدارة القوقاز مع النساء من مرسيليا والعمال من ليون لتعليم الجورجيين التربية الصحيحة لدودة القز، وفن تحويل الحرير إلى أقمشة للفلاحين فى القوقاز. تلتها النمسا. ثم ألمانيا، مع مساعدة من عمال ليون، التي بنيت مصانع الحرير الكبيرة. و فعلت الولايات المتحدة بالمثل في باترسون.

و اليوم تجارة الحرير لم تعد حكرا فرنسيا. حيث تصنع الحرائر في ألمانيا، و في النمسا، و في الولايات المتحدة، وفي انكلترا. و ينسج الفلاحون القوقازيون في فصل الشتاء، مناديل الحرير بالأجور الأمر الذى يعني جوع نساجوا الحرير فى ليون. و ترسل إيطاليا الحرير إلى فرنسا. وليون، التي صدرت في الفترة ما بين 1870-4187 ما قيمته 460 مليون فرنك "من أقمشة الحرير فصادراتها الآن تصل لنصف هذا المبلغ فقط. في الواقع، فإنه فى وقت ليس بعيدا لن ترسل ليون بضائع الطبقة العليا إلا كعدد قليل من المستجدات كأنماط إلى ألمانيا، وروسيا، واليابان.

وهكذا هو الحال في جميع الصناعات. بلجيكا لم تعد محتكرة للقماش. حيث تصنع الأقمشة في ألمانيا، و في روسيا، و في النمسا، و في الولايات المتحدة. و لم تعد جورا الفرنسية في سويسر محتكرة لصنع الساعات حيث تصنع الساعات في كل مكان. لم تعد اسكتلندا تقم بتكرير السكر لروسيا: حيث يتم تصدير السكر الروسي إلى انكلترا. إيطاليا، على الرغم من أن لا تمتلك الفحم ولا الحديد، تصنع

مدرعاتها ومحركات بواخرها. لم تعد الصناعة الكيميائية حكرا إنجليزيا. يصنع حمض الكبريتيك والصودا حتى في الأورال. وقد اكتسبت المحركات البخارية ، والتي صنعت في فينترتور، في كل مكان شهرة واسعة، وفي الوقت الحاضر، سويسرا، التي ليس لديها الفحم ولا الحديد - و لا شيء سوى المدارس الفنية الممتازة - تصنع آلات أفضل وأرخص من انجلترا. و هكذا تنتهي نظرية التبادل.

الميل للتجارة، كما لكل شيء آخر، يتجه نحو اللامركزية.

وجدت كل أمة أنه من المفيد الجمع بين الزراعة مع أكبر مجموعة متنوعة ممكنة من المسابك والمصانع. فالتخصص العالي للغاية، الذى تحدث عنه الاقتصاديون ، أثرى عدد من الرأسماليين ولكن الآن لا جدوى منه. على العكس من ذلك، هو لصالح كل إقليم، في كل دولة، لزراعة القمح الخاص بها، والخضار الخاص بها، وتصنيع كل إنتاج يتم استهلاكه في الوطن. هذا التنوع في الإنتاج هو أضمن تأمين للتنمية الكاملة للإنتاج من خلال التعاون المتبادل، وسبب الانتقال إلى التقدم، في حين أن التخصص هو عائق أمام التقدم.

لا يمكن أن تزدهر الزراعة إلا في القرب من المصانع. و لا يكاد أن يظهر مصنع واحد فسرعان ما تنشأ طائفة لا حصر لها من المصانع الأخرى التى يجب أن تنطلق حوله، بحيث يدعمون ويحفزون بعضهم البعض بشكل متبادل عن طريق اختراعاتهم، وزيادة إنتاجيتهم.

ثالثًا

فمن الغباء حقا تصدير القمح و استيراد الدقيق، تصدير الصوف و استيراد القماش، تصدير الحديد واستيراد الآلات. ليس فقط لأن النقل هو مضيعة للوقت والمال، ولكن، قبل كل شيء، لأن البلد مع عدم وجود صناعة متطورة يبقى حتما متخلفا عدة درجات في الزراعة؛ لأن البلد الذى ليس لديه مصانع كبيرة لصنع الصلب سوف ينتهى حاله أيضا إلى الوراء في جميع الصناعات الأخرى. وأخيرا، لأن القدرات الصناعية والتقنية للأمة سوف تبقى غير متطورة.

في عالم الإنتاج كل شيء يتماسك معا في الوقت الحاضر. لم تعد زراعة الأرض ممكنة من دون آلية، بدون أعمال الري الكبيرة، دون السكك الحديدية، دون

مصانع السماد. والتكيف مع هذه الآلية، وهذه السكك الحديدية، و مع محركات الري ، وما إلى ذلك، مع الظروف المحلية، وبعض روح الاختراع، على قدر معين من المهارة الفنية، تظل كامنة طالما المجراف والمحراث هي الأدوات الوحيدة للزراعة التى يجب أن يتم تطويرها.

لو تمت زراعة الحقول بشكل صحيح، لأنتجت محاصيل وفيرة، وبالتإلى سوف يكون لدى الإنسان الحق في أن يتوقع، إنه من الضروري أن ورش العمل والمسابك والمصانع تتطور لتكون في متناول الحقول. مجموعة متنوعة من المهن، ومجموعة متنوعة من المهارات الناشئة عنها، تنتهى للعمل معا من أجل هدف مشترك - هذه هي القوى الحقيقية للتقدم.

والآن دعونا نتخيل سكان مدينة أو إقليم - سواء واسعة أو صغيرة - يخطو لأول مرة على مسار الثورة الاجتماعية.

كثيرا ما يقال لنا أن "شيئا لن يتغير": حيث ان المناجم، المصانع، وما إلى ذلك، سيتم نزع ملكيتها، وتعلن ممتلكات وطنية أو مجتمعية، و أن كل إنسان سوف يعود إلى عمله المعتاد، وأن الثورة إذن سوف يكون قد تم إنجازها.

ولكن هذا حلم: الثورة الاجتماعية لا يمكن أن تتم كذلك ببساطة.

ذكرنا سابقا أنه ينبغي للثورة أن تندلع غدا في باريس، أو ليون، أو أي مدينة أخرى - يجب على العمال وضع أيديهم على المصانع والمنازل، والبنوك، والإنتاج الحالي من شأنه أن يكون ثورى تماما من هذه الحقيقة البسيطة.

سوف تصل التجارة الدولية إلى طريق مسدود. و هكذا أيضا سوف يصل استيراد الخبز و السلع الأجنبية؛ و سيصاب بالشلل تداول السلع والمؤن. ومن ثم، فإن المدينة أو المحافظة في الثورة ستضطر لتزود نفسها بالسلع، وإعادة تنظيم الإنتاج. و إذا فشلت في القيام بذلك، فإنه الموت للثورة. و إذا نجحت، فسوف تحدث ثورة في الحياة الاقتصادية للبلاد.

سوف تنخفض كمية المؤن المستوردة، و سوف يزداد الاستهلاك، و سوف يطرد مليون من العمال الباريسيين الذين يعملون لأغراض التصدير من العمل، فإن عددا كبيرا من الأشياء المستوردة اليوم من الدول البعيدة أو المجاورة لن تصل إلى

جهتها، الصناعات الفاخرة كونها مؤقتة ستصل إلى طريق مسدود، فماذا سيكون لدى السكان لتناول الطعام بعد ستة أشهر من الثورة؟

نعتقد أنه بينما المخازن فارغة، سوف تسعى الجماهير للحصول على طعامهم من الأرض. وسوف يكونو مضطرين لزراعة الأرض، إلى الجمع بين الإنتاج الزراعي و الإنتاج الصناعي في باريس و ضواحيها. سيتعين عليهم التخلي عن الصفقات لمجرد الزينة والنظر في الحاجة الأكثر إلحاح - الخبز.

سيكون المواطنون مضطرين ليصبحوا مزارعين. لا بنفس الطريقة مثل الفلاحين الذين يأكلون أنفسهم، الحرث مقابل أجر الذي يوفر لهم بالكاد ما يكفي من الغذاء لعام "ولكن باتباع مبادئ حديقة السوق" الزراعة المكثفة، المطبقة على نطاق واسع بوسائل من أفضل الماكينات التى أخترعها الإنسان أو يمكنه أن يخترعها. وسوف يفلحون الأرض - لا، ليس بالكيفية التى كانت تتم به من أي وقت مضى، مثل الريفى المحمل بالعبء الوحشي، يمكن أن يعترض الصائغ الباريسى على ذلك. سوف يتم إعادة تنظيم الزراعة، ليس في غضون عشر سنوات، ولكن في وقت واحد، خلال النضالات الثورية، من الخوف للتعرض للهزيمة من العدو.

يجب أن تقوم بالزراعة كائنات ذكية. مستفيدة من معارفها، وتنظيم نفسها في جماعات سعيدة للعمل اللطيف، مثل الرجال الذين، قبل مائة عام، عملوا في شامب دي مارس لعيد الاتحاد - عمل مفرح، لو لم يحمل زيادة، عندما ينظم علميا، عندما يخترع الإنسان ويحسن أدواته ويكون واعيا لكونه عضوا مفيدا في المجتمع.

بالطبع، فإنهم سوف لن يزرعوا فحسب، بل سوف ينتجون أيضا تلك الأشياء التي كانت ينتجونها سابقا لأجل مناطق أجنبية. ودعونا لا ننسى أن لسكان إقليم ثار "أجزاءه الخارجية" و التى يمكن أن تشمل جميع المناطق التي لم تنضم للحركة الثورية. خلال ثورات 1793 و 1871 جعلت باريس تشعر أن "المناطق الخارجية" حتى منطقة الريف قفلت في وجهها أبوابها بشدة.

جوع المضاربون في الحبوب البروليتاريا فى باريس بشكل فعال أكثر مما فعلته الجيوش الألمانية التى احضرها المتآمرون فى فرساي إلى الأراضي الفرنسية. ستضطر المدينة الثائرة على القيام دون "أجانب"، ولماذا لا؟ اخترعت فرنسا سكر الشمندر

عندما أصبح سكر قصب السكر شحيحا أثناء الحصار القاري. اكتشف الباريسيون ملح بيتري في أقبيتهم عندما لم يعد الملح يأتي من الخارج. لا يجب أن نكون أقل شأنا من أجدادنا، الذين بصعوبة نطقوا الكلمات الأولى من العلم؟

الثورة هي أكثر من تدمير النظام السياسي. أنها تنطوي على صحوة الذكاء البشري، وتزيد من روح الإبداع عشرة أضعاف، مئة ضعف. من فجر جديد للعلوم - علم رجال مثل لابلاس، و لامارك، و لافوازييه. إنها ثورة في عقول البشر، أكثر مما كانت عليه في مؤسساتهم.

ويقول الاقتصاديون لنا أن نعود إلى ورش عملنا، كما لو كان عبور الثورة مثلما يذهبون إلى ديارهم بعد نزهة في الغابة!

وبادئ ذي بدء، الحقيقة الوحيدة لوضع الأيدى على ممتلكات الطبقة البرجوازية يعني ضرورة إعادة تنظيم مجمل الحياة الاقتصادية تماما في ورش العمل، و في ترسانات بناء السفن، وفي المصانع.

والثورة لن تقصر عن العمل في هذا الاتجاه. يجب على باريس، خلال الثورة الاجتماعية، أن تنعزل عن العالم مؤيد حكم الطبقة البرجوازية لمدة عام أو عامين ، حتى لا تنهار من حياة المصنع الملايين من العقول، سوف تظهر مدينة المهن الصغيرة التي تحفز روح الاختراع للعالم ما يمكن أن ينجزه دماغ الإنسان دون أن يطلب أي مساعدة من الخارج، ولكن فقط بالقوة المحركة للشمس التى تعطي الضوء، وقوة الرياح التي تكنس الشوائب بعيدا، وبقوى الحياة الصامتة في العمل في الأرض.

وسنرى بعد ذلك مجموعة متنوعة من أرباب المهن، يتعاونون تبادليا على بقعة من الكرة الأرضية ويتحركون بالثورة الاجتماعية، ويمكنهم القيام بها لتوفير الطعام والكساء، والسكن، ويمدون جميع أنواع الكماليات للملايين من الرجال الأذكياء.

نحن لسنا بحاجة إلى كتابة أي خيال لاثبات ذلك. ما نحن متأكدون منه ما تم بالفعل جرب فيما سبق، ومعترف به عمليا، سيكون كافيا لأن نحمله إلى حيز التنفيذ، إذا تم تخصيب المحاولة، ونشطت عن طريق الإلهام الجريء للثورة والاندفاع العفوي للجماهير.

الفصل السابع عشر

الزراعة

أولا

كثيرا ما عبر الاقتصاد السياسي عن استخلاص جميع استنتاجاته من مبدأ زائف بالتأكيد، هو أن الحافز الوحيد القادر على إجبار الإنسان على تعزيز قوة إنتاجه هو المصلحة الشخصية في أضيق معانيها.

التعبير صحيح تماما. وصحيح كذلك أن فترات الاكتشافات الصناعية الكبرى والتقدم الحقيقي في الصناعة هي على وجه الدقة تلك التي كانت السعادة لجميع هى الهدف المنشود، والذي كان فيها الإثراء الشخصي الهدف الأقل فى التفكير. هدف المكتشفون والمخترعن الكبار، من دون شك، إلى تحرير البشرية. ولو كان وات، وستيفنسون، وجاكار، الخ، كان يمكن أن يتصوروا فقط مدى حالة البؤس التى سوف يجلبوها للعمال في لياليهم التى بلا نوم ، فإنهم ربما أحرقوا اختراعاتهم، و كسروا نماذجها.

المبدأ الآخر الذي يسود الاقتصاد السياسي بينما هو زائف تماما. هو الاعتراف الضمني، المشترك بين جميع الاقتصاديين، أنه إذا كان هناك غالبا إنتاج زائد في فروع معينة، فإن المجتمع لن يكون لديه أبدا منتجات كافية لتلبية رغبات جميع، فإنه بالتالي سوف لن يأتي أبدا اليوم الذى لن يكون فيه أحد غير

مضطر لبيع عمله مقابل أجر. ويوجد هذا القبول الضمني على أساس جميع النظريات وما يسمى "القوانين" التي يدرسها الاقتصاديون.

و بعد فمن المؤكد أن اليوم الذى سوف يسأل فيه أفراد أى مجتمع متحضر، ما هي احتياجات الجميع، ووسائل تلبيتها، فإنه سوف يرى أنه في الصناعة كما في الزراعة، أنهم يمتلكون بالفعل ما يكفى لتوفير جميع الاحتياجات الخاصة بوفرة، شريطة أن يعرفوا كيفية تطبيق هذه الوسائل لتلبية الاحتياجات الحقيقية.

لا أحد يستطيع أن يعارض أن هذا صحيح فيما يتعلق بالصناعة. في الواقع، إنه يكفي عند دراسة العمليات التى تستخدم بالفعل لاستخراج الفحم وخام الحديد، للحصول على الصلب والعمل عليه، لتصنيع ما يستخدم لصناعة الملابس وغيرها، في المنشآت الصناعية الكبيرة، لكى ندرك أننا يمكن أن نزيد بالفعل إنتاجنا أربعة أضعاف، وبعد ذلك نقتصد العمل.

وعند الذهاب لأبعد من ذلك. نؤكد أن الزراعة في نفس الموقف: العامل الزراعى، مثل الصناعى، يمتلك بالفعل وسيلة لزيادة إنتاجه، وليس فقط أربعة أضعاف، ولكن عشرة أضعاف، وسوف يكون قادرا على وضعها موضع التنفيذ في أقرب وقت لأنه يشعر بالحاجة إلى ذلك، وبمجرد ما سيتم إنشاء التنظيم الاشتراكي للعمل بدلا من التنظيم الرأسمالي الحالي.

في كل مرة يتم التحدث فيها عن الزراعة، يتصور البشر إنحناء الفلاح على المحراث، وارتمائه على كيس ذرة سيئ كيفما أتفق في الأرض، وانتظاره بفارغ الصبر ما سوف يجنيه هذا الموسم ما إذا سوف يكون جيدا أو سيئا له. أو عائلة تعمل من الضحى إلى الليل، وتجني كمكافأة سريرا قاسيا، وخبزا جافا، ومشروبات خشنة. في كلمة واحدة، صورة "الوحش البرى" من لا بروير.

من أجل هذا الرجل، الخاضع بالتالى للبؤس، فإن أقصى ما تقترحه جمعيات الإغاثة هو تقليص ضرائبه أو إيجاره. ولكن حتى لا يجرؤن على تصور وقوف الفلاح منتصبا، له الحق فى أوقات الفراغ، والإنتاج بالعمل بضع ساعات في اليوم لإنتاج ما يكفيه من الغذاء لتغذيته، و ليس عائلته فقط ، ولكن أكثر من مئة إنسان على الأقل. لا تتجاوز أكثر أحلام الاشتراكيين توهجا للمستقبل سوى الزراعة الكثيفة الأمريكية، التي، بعد كل شيء، ليست سوى طفولة الفن الزراعي.

لـدى الزراعـى أفـكار أوسـع اليـوم و مفاهيمـه تمتـد لنطـاق أوسـع بكثـير. يطلـب فقـط جـزء صغـير مـن الإكـر لإنتـاج خـضروات كافيـة لأسرة. ولتغذيـة خمسـة وعشرين مـن حيوانـات المزرعـة فهـو لا يحتـاج إلى مسـاحة أكـبر مـما كان مطلوبـا سـابقا لإطعـام واحـد؛ هدفـه هـو أن تكـون لـه أرضـه الخاصـة، لتحـدي تغـيرات الفصـول والمنـاخ، لتدفئـة كلا مـن الهـواء والأرض حـول النبـات الصغـير. في كلمـة واحـدة، لإنتـاج، عـلى إكـر واحـد مـا كان معتـادا إنتاجـه عـلى خمسـين فـدان، وذلـك دون أي تعـب مفـرط بـل عـلى العكـس مـن ذلـك، عـن طريـق التقليـل، مـن مجمـوع العمـل السـابق بشـكل كبـير. لأنهـم يعلمـون أننـا سـوف نكـون قادريـن عـلى إطعـام الجميـع مـن خـلال إعطـاء زراعـة الحقـول لا مزيـد مـن الوقـت مـن كل مـا يمكـن أن يعطـي مـع المتعـة والفـرح.

هذا هو الاتجاه الحالي للزراعة.

في حـين أن الرجـال العلميـين، يقودهـم ليبـج، مبـدع النظريـة الكيميائيـة للزراعـة، التـى أدى غالبـا الأخـذ بهـا لكـوراث لحبهـم النظريـات المجـردة، يفتـح المزارعـون غـير المتعلمـين طـرق جديـدة لتحقيـق الازدهـار. وقـد فتحـت حدائـق السـوق فى باريـس، وتـروا، وروان، والبسـتانيون الأسـكتلنديون والإنجليـز والفلاحـون الفلمنكيـون و المزارعـون مـن جـيرسي وجيرنـسي، والمزارعـون عـلى جـزر سيشـل هـذه الآفـاق الكبـيرة التـي يـتردد حتـى العقـل في الإمسـاك بهـا. بينـما حتـى في الآونـة الأخـيرة فـإن عائلـة مـن الفلاحـين فى حاجـة لمـا لا يقـل عـن 17-20 إكـر للعيـش عـلى منتجـات الأرض - ونحـن نعـرف كيـف يعيـش الفلاحـون - لم نعـد نسـتطيع أن نقـول مـا هـو الحـد الأدنى مـن المسـاحة التـى يمكـن زراعتهـا عـلى أن تكـون ضروريـة لعائلـة، حتـى بمـا في ذلـك إنتـاج المـواد الفاخـرة، إذا زرعـت الأرض عـن طريـق الاسـتزراع المكثـف.

قبـل عـشر سـنوات كان يمكـن بالفعـل التأكيـد أن بلـد عـدد سـكانها ثلاثـين مليـون شـخص يمكـن أن يعيشـوا بشـكل جيـد للغايـة، دون اسـتيراد أي شيء، عـلى مـا يمكـن أن يـزرع في بريطانيـا العظمـى. ولكـن الآن، عندمـا نـرى التقـدم المحـرز مؤخـرا في فرنسـا وكذلـك في انجلـترا، وعندمـا نتأمـل آفـاق جديـدة تتفتـح أمامنـا، يمكننـا ان نقـول إن في زراعـة الأرض كـما يـزرع بالفعـل في العديـد مـن الأماكـن، حتـى عـلى التربـة الفقـيرة، فـإن خمسـين أو سـتين مليـون نسـمة عـلى أراضي بريطانيـا العظمـى لا تـزال نسـبة ضعيفـة جـدا لمـا قـد يمكـن أن ينتجـه الإنسـان مـن الأرض الزراعيـة.

وعلى أية حال (كما نحن على وشك إثبات) ما يمكن أن نعتبره ثبت تماما أنه إذا نظم في الغد سكان باريس والإدارتان سين وسين وايز أنفسهم، في كوميونة أناركية، التي سوف يعمل فيها الجميع بأيديهم، وإذا رفض الكون كله أن يرسل لهم بوشل واحد من القمح، أو رأس واحدة من الماشية، أو سلة واحدة من الفاكهة، وترك لهم فقط أراضي الإدارتين، فإنه لن يمكنهم أن ينتجوا الذرة واللحوم، والخضروات الضرورية لأنفسهم فقط، ولكن أيضا المواد الفاخرة بكميات كافية للجميع.

وبالإضافة إلى ذلك، فإننا نؤكد على أن مجموع هذا العمل سيكون أقل بكثير من ذلك الذي ينفق في الوقت الحاضر لإطعام هؤلاء الناس بالذرة التي تحصد في أوفيرني وروسيا، مع الخضار المنتج قليلا في كل مكان من قبل الزراعة واسعة النطاق، ومع الفواكه التي تزرع في الجنوب..

إنه من البديهي أننا لا نرغب باي شكل لقمع "كل" تبادل، ولا أن كل منطقة يجب أن تسعى جاهدة للإنتاج من خلال الزراعة ما سوف لن ينمو إلا في مناخ أكثر أو أقل اصطناعية. ولكننا نهتم بأن نلفت الانتباه إلى حقيقة أن نظرية التبادل، مثلما هي مفهومة اليوم، مبالغ فيها بشكل غريب حيث أن هذا التبادل في كثير من الأحيان غير مجدي بل وضار. ونؤكد، علاوة على ذلك، أن الناس لم يكن لديهم أبدا تصور سليم للعمل الهائل من مزارعي النبيذ الجنوبيين، ولا لمزارعي الذرة الروس والمجريين، الذين يمكن أيضا أن يكون عملهم المفرط قليلا جدا إذا اعتمدوا الزراعة المكثفة، بدلا من النظام الحالي للزراعة واسعة النطاق.

ثانيا

سيكون من المستحيل أن أقتبس هنا كتلة الحقائق التي نبني عليها تأكيداتنا. ولذلك مضطر للإشارة لقرائي الذين يريدون المزيد من المعلومات إلى كتاب آخر، هو "الحقول والمصانع وورش العمل." قبل كل شيء ندعو بإخلاص أولئك الذين يهتمون بالمسألة لقراءة العديد من الأعمال الممتازة التي نشرت في فرنسا وأماكن أخرى، وهو ما سوف أعطي به قائمة في ختام هذا الكتاب [9]. أما بالنسبة لسكان المدن الكبيرة، الذين ليس لديهم حتى الآن أي فكرة حقيقية لما يمكن للزراعة أن تكون، وتقديم المشورة لهم لاستكشاف، حدائق السوق المحيطة ودراسة الزراعة.

ما يحتاجونه مجرد مراقبة واستجواب حديقة السوق، فإن عالما جديدا سيكون مفتوحا لهم. وبالتالي سوف يكونوا قادرين على رؤية ما قد تكون عليه الزراعة الأوروبية في القرن العشرين. و سيفهمون ما سوف تجبر الثورة الاجتماعية على التسلح به عندما نعرف سر أخذ كل ما نحتاجه من الأرض.

وهناك بعض الحقائق سوف تكفي لإظهار أن تأكيداتنا ليست بأي حال من الأحوال مبالغا فيها. لا نتمنى لها سوى أن يسبقها بعض الملاحظات العامة.

ونعرف ما تكون عليه ظروف الزراعة الأوروبية البائسة. إذا لم يتم نهب فلاح الأرض عن طريق مالك الأرض، فانه تتم سرقته من قبل الدولة. وإذا فرضت الدولة الضرائب عليه باعتدال، فأن مقرض المال يستعبده عن طريق الكمبيالات، وسرعان ما يحوله إلى مستأجر بسيط للأرض، التي تنتمي في الواقع إلى شركة مالية. وبالتالي المالك، والدولة، والمصرفي ينهبون الفلاح عن طريق الإيجار والضرائب والفوائد. يختلف المبلغ في كل بلد، لكنه لن يقع تحت الربع، وفي كثير من الأحيان نصف الإنتاج الخام. يدفع المزارعون في فرنسا للدولة مؤخرا جدا ما يقدر ب 44 في المائة من الإنتاج الإجمالي.

وعلاوة على ذلك، فإن حصة المالك والدولة تتصاعد دائما إلى الزيادة. بمجرد أن يحصل الفلاح على محاصيل أكثر وفرة من معجزات العمل، أو من استخدام اختراع، أو القيام بمبادرة، فإنه مدين لصاحب الأرض بالجزية، وللدولة بالضرائب، وسوف يزيد المصرفي في سعر الفائدة. إذا ضاعف ما يجنيه من عدد البوشلات للدونم الواحد، سيتم مضاعفة الإيجار والضرائب أيضا، وسوف تحرص الدولة على أن تجمع منه أكثر إذا كانت الأسعار ترتفع. وما إلى ذلك وهلم جرا. باختصار، في كل مكان يعمل فلاح الأرض 12-16 ساعة في اليوم. وتأخذ هذه النسور الثلاث منه كل ما قد جناه من قبل. أنها تسلبه في كل مكان ما يمكنه من تحسين زراعته. هذا هو السبب في تقدم الزراعة ببطء شديد.

ويمكن للمزارع أن يحقق فقط من حين لآخر بعض التقدم في بعض المناطق الاستثنائية، في ظل ظروف استثنائية جدا، بعد مشاجرة بين مصاصي الدماء الثلاثة.. وحتى الآن لم نقل شيئا عن الجزية التي يدفعها كل مزارع إلى الشركات الصناعية. فكل آلة، كل مجراف ، كل برميل من السماد الكيميائي، يباع له بما

يساوى ثلاث أو أربع مرات أضعاف تكلفته الحقيقية. ولا تتركوننا ننسى الوسيط، الذي يأخذ حصة الأسد من إنتاج الأرض.

هذا هو السبب، خلال كل هذا القرن من الاختراع والتقدم، فى أن الزراعة تحسنت فقط من وقت لآخر فى مناطق محدودة جدا.

لحسن الحظ كانت هناك دائما الواحات الصغيرة، مهملة لبعض الوقت من قبل النسور. وهنا علينا أن نتعلم ما يمكن أن تنتجه الزراعة الكثيفة للبشرية. دعونا نذكر بعض الأمثلة.

في البراري الأمريكية (التي، مع ذلك، لا تثمر سوى محاصيل القمح الربيعي الهزيلة، من 7-15 بوشل للفدان، وحتى هذه غالبا ما يشوبها الجفاف الدوري)، يعمل 500 رجل فقط خلال ثمانية أشهر، وينتجون الغذاء السنوي ل 50000 من البشر. و مع كل التحسينات في السنوات القليلة الماضية، فإن إنتاج عمل رجل واحد سنويا (300 يوما)، يسلم دقيقا لتغذية 250 رجلا في شيكاغو سنويا. هنا يتم الحصول على هذه النتيجة عن طريق التوفير الكبير في العمل اليدوي: في تلك السهول العظمى، التي لا تقدر العين أن تحيط بها، الحرث والحصاد، و السحق غالبا، ما يكون منظما فى طراز عسكرى تقريبا. ليس هناك تشغيل بدون جدوى جيئة وذهابا، ولا ضياع للوقت - الكل يعمل مثل عرض دقيق.

هذه هى الزراعة على نطاق واسع - الزراعة الواسعة، والتي تأخذ التربة من الطبيعة دون السعي لتحسينها. وعندما تنتج الأرض كل ما في وسعها، يتركونها لشأنها. ويسعون للتربة البكر في مكان آخر، إلى أن تستنفد خصوبتها بدورها. ولكن هناك أيضا الزراعة "المكثفة"، والتى تعمل بالفعل، وسوف تنتشر أكثر وأكثر من ذلك، من خلال الآلات. هدفها زراعة مساحة محدودة أيضا، تسمد تربتها لتحسينها، ولتركيز العمل، والحصول على أكبر محصول ممكن. هذا النوع من الزراعة ينتشر عاما بعد عام، وحين يكون المزارعون في جنوب فرنسا، وعلى السهول الخصبة الأمريكية الغربية راضين بمحصول متوسط من 11 إلى 15 بوشل للدونم الواحد من الزراعة الواسعة، ويحصدون بانتظام من 39 وحتى 55، وأحيانا 60 بوشل للدونم الواحد في شمال فرنسا بالزراعة المكثفة. وبالتالي الحصول على الاستهلاك السنوي لرجل من أقل من ربع فدان.

و تحتاج الزراعة الأكثر كثافة، عمل أقل للحصول على بوشل من القمح. و تحل الآلات محل الإنسان في الأعمال التمهيدية وللتحسينات التي تحتاجها الأرض - مثل التجفيف، والتنظيف من الحجارة - مما سوف يضاعف المحاصيل في المستقبل، مرة واحدة وإلى الأبد. وأحيانا لا شيء سوى الحفاظ على التربة خالية من الأعشاب الضارة دون السماد، ويسمح للتربة المتوسطة أن تنتج محاصيل ممتازة من سنة إلى أخرى. وقد فعلت ذلك لمدة عشرين عاما متتالية في روزاماستيد، في هيرتفوردشاير.

دعونا لا نكتب رومانسية زراعية، ولكن لنكون راضين عن محصول 44 بوشل للدونم الواحد. فإنه لا يحتاج منا لتربة استثنائية، ولكن مجرد زراعة عقلانية. ودعونا نرى ما نعنيه.

يستهلك 3600000 فرد الذين يقطنون الإدارتين السين وسيين إت واز سنويا لطعامهم أقل قليلا من 22 مليون بوشل من الحبوب، وخصوصا القمح. وفي فرضيتنا، عليهم أن يزرعوا، من أجل الحصول على هذا المحصول، 494200 إكر من بين 1507300 إكر التي يمتلكونها. ومن الواضح أنهم لن يزرعوها بالمجراف. سوف تحتاج إلى الكثير من الوقت - 96 أيام عمل من 5 ساعات للدونم الواحد. سيكون من الأفضل لتحسين التربة مرة واحدة للجميع - للتجفيف ما ينبغي تجفيفه إلى مستوى ما يحتاج إلى تسوية، لتنظيف التربة من الحجارة. و حيث يكون ذلك ضروري عليهم أن ينفقوا 5 مليون يوم عمل من 5 ساعات في هذه الأعمال التحضيرية - وهو متوسط 10 يوم عمل لكل فدان.

ثم أنهم يحرثون بالمحراث البخارى، الذى من شأنه أن يأخذ واحدة وثلاثة أخماس يوم للدونم الواحد، وأنهم سوف يعطون يوم أخر وثلاثة أخماس يوم للعمل مع المحراث المزدوج. سيتم فرز البذور بالبخار بدلا من أخذها كيفما اتفق، وأنها سوف تزرع بعناية في صفوف بدلا من أن يلقى بها إلى الرياح الأربع. إلى الآن كل هذا العمل لا يأخذ 10 يوما من 5 ساعات للدونم الواحد إذا تم إنجاز العمل في ظروف جيدة. ولكن إذا أعطيت 10 ملايين يوم عمل لزراعة جيدة خلال 3 أو 4 سنوات، فإن النتيجة ستكون في وقت لاحق الحصول على 44-55 بوشل للدونم الواحد من خلال العمل فقط نصف الوقت.

وعلى ذلك فقد قضى خمسة عشر مليون يوم عمل لتوفير الخبز لسكان يبلغون 3600000 نسمة. والعمل سيكون من النوع الذي يمكن لكل منهم أن يمارسه دون الحاجة لعضلات من الصلب، أو دون حتى الحاجة للعمل فى الأرض من قبل. ان المبادرة وتوزيع العمل العام سوف يأتي من أولئك الذين يعرفون التربة. فيما يتعلق بالعمل نفسه، فلا يوجد حضري هناك من كلا الجنسين أضعف من أن لا يكون غير قادر على الاعتناء بالآلات، والمساهمة بنصيبه فى العمل الزراعي بعد التلمذة بضع ساعات ".

حسنا، عندما نرى أنه في الفوضى الحالية في مدينة مثل باريس، دون احتساب العاطلين عن العمل من الطبقات العليا، هناك حوالي 100000 رجل عاطل عن العمل في العديد من المهن، ونحن نرى أن القوة المفقودة في تنظيمنا الحالي سوف تكفى وحدها لإعطاء، مع زراعة عقلانية، الخبز اللازم لثلاثة أو أربعة ملايين نسمة من الإدارتين.

نكرر، وهذا ليس حلم خيالي، ونحن لم نتحدث بعد عن الزراعة المكثفة بشكل حقيقى. نحن لم نعتمد على القمح (الذى حصل عليه في غضون ثلاث سنوات السيد هاليت) من زراعة بذرة واحدة، وإعادة زراعتها، لتنتج 5000 أو 6000، وأحيانا 10000 من الحبوب، التي من شأنها أن توفر القمح الضروري لأسرة مكونة من خمسة أفراد على مساحة 120 ياردة مربعة. على العكس من ذلك، ذكرنا فقط ما تم إنجازه بالفعل من قبل العديد من المزارعين في فرنسا وانجلترا وبلجيكا وغيرها، وماذا يمكن عمله فى الغد مع الخبرة والمعرفة المكتسبة بالفعل من خلال الممارسة على نطاق واسع.

ولكن بدون ثورة، لا فى الغد، ولا بعد الغد سوف نراه منجزا ، لأنه ليس فى مصلحة ملاك الأراضي والرأسماليين. ولأن الفلاحون الذين سيجدونه مربحا في ذلك لا يملكون المعرفة ولا المال، ولا الوقت للحصول على ما هو ضروري للمضي قدما فيه.

ولم يصل المجتمع الحالي حتى بعد لهذه المرحلة. ولكن دع الباريسيين يعلنون الكوميونة الأناركية، وأنهم بالضرورة سوف يصلون إليها، لأنهم لن يكون لديهم من الغباء ما يكفي لمواصلة صنع التحف الفاخرة (التي تصنعها بالفعل فيينا، ووارسو، وبرلين،)، ويعرضون أنفسهم لخطر أن يتركوا بدون خبز.

وعلاوة على ذلك، العمل الزراعي، بمساعدة من الآلات، سرعان ما سوف يصبح أكثر جاذبية وأكثر بهجة من جميع المهن.

سوف يقولون " لدينا ما يكفي من المجوهرات وبما فيه الكفاية، من ملابس الدمى. حان الوقت للعمال لتوظيف قوتهم في الزراعة، ويذهبون بحثا عن القوة، عن انطباعات الطبيعة، عن بهجة الحياة، حيث إنه تم نسيانهم في المصانع المظلمة في الضواحي."

في العصور الوسطى كانت مراعي جبال الألب، هي مما سمح للسويسريين بالتخلص من الأباطرة والملوك بدلا من البنادق. وتسمح الزراعة الحديثة لمدينة في ثورة لتحرير نفسها من القوى البرجوازية مجتمعة.

ثالثًا

لقد رأينا كيف أن ثلاثة ونصف مليون نسمة من الإدارتين حول باريس يمكن أن يجدوا الخبز بوفرة من خلال زراعة ثلث أراضيها فقط. و أسمحوا لنا بالمرور الآن إلى الماشية.

يتناول الإنجليز، الكثير من اللحوم، ويستهلكون في المتوسط أقل قليلا من 220 رطل في السنة للشخص البالغ. لنفترض جميع اللحوم المستهلكة من الثيران ما يجعلها أقل قليلا من ثلث ثور. ثور سنويا ل 5 أفراد (بما في ذلك الأطفال) هو بالفعل حصة كافية. لثلاث ملايين ونصف مليون نسمة هذا من شأنه أن يجعل الاستهلاك السنوي 700000 رأس من الماشية.

اليوم، مع نظام المراعي، نحن بحاجة إلى 5 ملايين إكر على الأقل لتغذية 660000 رأس من الماشية. وهذا يعني 9 إكر لكل رأس من الماشية. ومع ذلك، مع البراري المروية باعتدال من مياه الينابيع (كما حدث مؤخرا على آلاف الدونمات في الجنوب الغربي من فرنسا)، فإن مليون وربع إكر تكفي بالفعل. ولكن إذا كان تمت ممارسة الاستزراع المكثف، ويزرع البنجر للعلف، سوف تحتاج فقط ربع هذه المساحة، وهذا هو القول، حوالي 310000 فدان. وإذا لجأنا إلى الذرة وحفظه (كعلف مضغوط بينما يكون أخضر) مثل العرب، فسوف نحصل على العلف من مساحة 217500 إكر.

في ضواحي ميلانو، حيث يتم استخدام مياه الصرف الصحي في ري الحقول، يتم الحصول علي العلف ل 2-3 من الماشية من كل إكر من مساحة 22000 إكر. وعلى عدد قليل من الحقول المفضلة، يصل إلى 177 ألف طن من القش من 10 إكر يتم حصدها، والأعلاف ل 36 بقرة حلوب سنويا. تكون في حاجة لما يقرب من تسعة إكرات لكل رأس من الماشية في ظل نظام مراعي الماشية، وفقط إكرين ونصف ل 9 من الثيران أو الأبقار في ظل النظام الجديد. هذا هو النقيض المتطرف في الزراعة الحديثة.

في جيرنسي، على ما مجموعه 9884 إكر المستخدمة، تغطي ما يقرب من نصفها (4695 إكر) مع الحبوب وحدائق المطبخ؛ ويتبقى فقط 5189 فدان مثل المروج. في هذه ال 5189 إكر، يرعى 1480 من الخيول، و7260 رأس من الماشية، و900 من الأغنام و4200 من الخنازير، مما يعنى أكثر من 3 رأس من الماشية ترعى في 2 فدان، بغير حساب الخراف أو الخنازير. وأنا لا احتاج أن أضيف أن خصوبة التربة بسبب أسمدة الأعشاب البحرية والأسمدة الكيميائية.

بالعودة إلى موقعنا الثلاث مليون ونصف نسمة الذين ينتمون إلى باريس وضواحيها، نرى أن الأرض اللازمة لتربية الماشية ينزل من 5 ملايين إكر إلى197000 إكر. حسنا، إذن، دعونا لا نتوقف عند أدنى الأرقام، دعونا نأخذ تلك الزراعة المركزة العادية. دعونا نضيف بشكل حر إلى الأراضي اللازمة لتربية الماشية الصغيرة التي يجب أن تحل محل بعض حيوانات المزرعة والسماح ب 395000 دونم لتربية الماشية - 494000 إذا أردت، على 1013000 أكر المتبقية بعد أن تم توفير الخبز للشعب.

دعونا نكون أسخياء، ونعطى 5 ملايين يوم عمل لتحويل هذه الأرض إلى حالة منتجة .

بعد العمل على مدار السنة 20 مليون يوم عمل، نصفها للتحسينات الدائمة، سوف يكون حصولنا على الخبز واللحوم مؤكدا بما في ذلك جميع اللحوم الإضافية التى يمكن الحصول عليها في شكل الطيور والخنازير والأرانب، وما إلى ذلك؛ دون الأخذ بعين الاعتبار أن السكان الذين يحصلون على الخضروات والفواكه الممتازة يستهلكون لحوم أقل من الإنجليز، الذين يستكملون امدادتهم الفقيرة من الخضروات بالطعام الحيوانى. الآن، كم يصنع 20 مليون يوم عمل من 5 ساعات

للفرد الواحد؟ القليل جدا في الواقع. يجب أن يكون عدد سكان من ثلاث ملايين ونصف 1200000 على الأقل من الرجال البالغين، والعديد من النساء القادرات على العمل. حسنا، إذن، لتوفير الخبز واللحوم للجميع، فإنه بحاجة إلى 17 يوما فقط نصف من العمل سنويا لكل رجل. إضافة إلى 3 ملايين يوم عمل، أو مضاعفة هذا العدد إذا أردت، من أجل الحصول على الحليب. وهذا سيجعل 25 يوم عمل من 5 ساعات للجميع - لا شيء أكثر من ممارسة الريف الممتعة قليلا - للحصول على ثلاثة منتجات رئيسية الخبز، اللحوم، والحليب. المنتجات الثلاثة التي بعد السكن، تسبب القلق اليومي لتسعة أعشار البشرية.

وحتى الآن - دعونا لا نتعب من تكرار - هذه ليست أحلام خيالية. قلنا فقط ما هو الذي سوف نحصل عليه بالتجربة على نطاق واسع. يمكن إعادة تنظيم الزراعة بهذه الطريقة غدا إذا لم تنتج قوانين الملكية والجهل العام المعارضة.

اليوم الذى سوف تفهم فيه باريس إنه لمعرفة ما تأكله وكيف يتم إنتاجه، هو مسألة المصلحة العامة. اليوم الذى سيكون فيه الجميع قد فهموا أن هذه المسألة هي أكثر أهمية من كل المناقشات البرلمانية التى لا تنتهى في الوقت الحاضر - في ذلك اليوم سوف تكون الثورة أمرا واقعا. سوف تستولى باريس على الإدارتين وتزرعهما. ثم أن العامل الباريسي، بعد أن تعب ثلث وجوده من أجل شراء طعام سيئ وغير كافي، سوف ينتج بنفسه، تحت جدرانه، داخل العلبة من حصونه (إذا كانت لا تزال موجودة)، في غضون ساعات قليلة من عمل صحي وجذاب.

والآن نمر إلى الفواكه والخضروات. دعونا نذهب خارج باريس لنزور منشأة بستان السوق الذي يحقق المعجزات (التى يتم تجاهلها من قبل الاقتصاديين المتعلمين) على بعد أميال قليلة من الأكاديميات.

دعونا نزور، لنفترض،السيد بونسيه، مؤلف العمل في السوق، والحدائق العامة، الذي لا يخفي ما تثمر الأرض له، والذي نشره من فترة طويلة.

يعمل السيد بونسيه، وخصوصا عماله، مثل الزنوج. يأخذ ثمانية رجال لزراعة مساحة أقل قليلا من 3 إكرات (10/27). وهم يعملون 12 وحتى 15 ساعة في اليوم، ولهذا نقول، ثلاث مرات أكثر مما هو مطلوب. أن أربعة وعشرون منهم لا يكونوا كثيرا جدا. وعلى ذلك ربما سوف يجيب السيد بونسيه بأنه يدفع مبلغ

رهيب يصل ل 100 جنيه استرلينى مقابل استئجاره ل 10/27 إكر من الأراضي لمدة عام، و ينفق100 جنيه استرلينى للسماد الذى يشتريه فى حاوية ضخمة، فهو ملزم لاستغلالها. وإنه لا شك سوف يجيب، "كونى يتم استغلإلى، فأنا استغل بدوري." وقد كلفته الإنشاءات أيضا 1200 جنيه استرليني، منها بالتأكيد أكثر من نصفها ذهب تكريما للبارونات الخاملة فى الصناعة. وفي الواقع، تحتاج هذه المؤسسة أكثر من 3000 يوم عمل، وربما أقل بكثير.

ولكن دعونا نبحث محاصيله: ما يقرب من 10 ألف طن من الجزر، ما يقرب من 10 ألف طن من البصل، والفجل، والخضروات الصغيرة، و6000 رأس من الكرنب ، و3000 رأس من القرنبيط،و5000 سلة من الطماطم، و5000 دستة من الفاكهة المختارة،و154000 خضروات السلطة. باختصار، ما مجموعه 123 طن من الخضروات والفواكه من 10/27 فدان - 120 ياردة طولا فى 109 ياردة عرضا، مما ينتج أكثر من 44 طن من الخضار فى الأكر.

ولكن الرجل لا يأكل أكثر من 660 رطل من الخضار والفاكهة في السنة، و إكرين ونصف من محصول بستان السوق يثمر ما يكفي من الخضراوات والفواكه لتزويد غني لمائدة 350 من البالغين خلال العام. وهكذا يعمل 24 شخص مدة عام كامل في زراعة 10/27 إكر من الأراضي، ويعملون فقط 5 ساعات يوميا، من شأنهم أن ينتجوا من الخضار والفواكه ما يكفي ل 350 من البالغين، وهو ما يعادل على الأقل 500 شخص.

لوضعها بطريقة أخرى: في مثل زراعة السيد بونسيه – و التى تم تجاوز نتائجها بالفعل - يجب أن يقدم 350 من البالغين جميعا أكثر قليلا من 100 ساعة في السنة (103) لإنتاج الخضروات والفواكه اللازمة ل 500 شخصا.

دعونا نذكر أن مثل هذا الإنتاج ليس استثنائى. إنه يأخذ مكانه الآن، تحت جدران باريس، على مساحة 2220 فدان، من خلال 5000 بستان سوق. يتم تخفيض بساتين السوق هذه في الوقت الحاضر فقط إلى حالة من الأعباء الوحشية، من أجل دفع متوسط إيجار حوإلى 32 جنيه استرلينى للإكر الواحد.

ولكن أليست هذه الحقائق، التي يمكن التحقق من كل واحدة منها، تثبت أن 17300 إكر (من ال 519000 المتبقية لنا) تكفي لتوفير جميع الخضروات

الضرورية، فضلا عن الكمية الحرة من الفاكهة إلى الثلاث ملايين ونصف نسمة من سكان كوميونتنا بإدارتيها؟.

أما بالنسبة لكمية العمل اللازمة لإنتاج هذه الفواكه والخضروات، فإنها تصل إلى 50 مليون يوم عمل من 5 ساعات (50 يوما للذكور البالغين)، وإذا قمنا بالقياس وفق معايير بستاني السوق للعمل. لكننا يمكن أن نقلل من هذه الكمية إذا لجأنا لعملية في قوة ما يحدث في جيرسي وجيرنسي. علينا أن نتذكر أيضا أن بستاني سوق باريس سوف يكون مضطر للعمل بجد لأن ينتج غالبا الفواكه في بداية الموسم، لارتفاع الأسعار التي سوف يدفعها للإيجارات الخرافية، وأن هذا النظام الزراعي يستلزم المزيد من العمل أكثر مما هو ضروري حقا. وبستانيوا السوق فى باريس، ليس لديهم الوسائل لإنفاق كبير على حدائقهم، ويضطرون إلى دفع تكاليف باهظة للحصول على الزجاج، والخشب، والحديد، والفحم، وللحصول على الحرارة الاصطناعية الخارجة من السماد، في حين أنه يمكن أن تكون أقل بكثير من حيث التكلفة في الدفيئات (الصوب).

رابعًا

ونحن نقول، بستانيوا السوق، مضطرون ليصبحوا آلات، وينبذوا كل مباهج الراحة للحصول على محاصيلهم الرائعة. ولكن هذه المجارش الصلبة أدت خدمة كبيرة للبشرية في تعليمنا أن التربة يمكن أن تصنع من المراقد القديمة من السماد، والتي خدمت بالفعل لإعطاء الدفء اللازم للنباتات الصغيرة و لتبكير الإثمار؛ وأنهم يصنعونه في مثل هذه الكمية الكبيرة لأنهم مضطرون لبيعه جزئيا، وإلا فإن من شأنه أن يرفع مستوى حدائقهم بوصة واحدة كل عام. وهم يفعلون ذلك بشكل جيد (حتى بارال يعلمنا في كتابه "قاموس الزراعة"، في مقال عن بستان السوق) أنه في العقود الأخيرة، يتعهد بستاني السوق أنه سيحمل بعيدا قليلا من التربة معه عندما يغادر الأرض التى قام بزراعتها. يحمل الطمى بعيدا على العربات، مع الأثاث وإطارات الزجاج - وهذه هى إجابة المزارعين عمليا على الاطروحات العلمية لريكاردو، الذي برر إيجار الأرض كوسيلة لتحقيق المساواة بالمزايا الطبيعية للتربة. "التربة تستحق ما الذى يستحقه الرجل " هذا هو شعار البستانين.

وحتى الآن، يعمل بستانيوا الحديقة فى باريس وروان ثلاث أضعاف زملائهم في العمل في جيرنسى أو في انكلترا للحصول على نفس النتائج بصعوبة. تطبيق الصناعة على الزراعة صنع مناخ هذه الأخيرة بالإضافة إلى تربتها، عن طريق وسائل الصوب الزجاجية.

قبل خمسين عاما كانت وسائل الصوب الزجاجية ترف الأغنياء. إنها كانت تحفظ نمو النباتات الغريبة من أجل المتعة. لكن في الوقت الحاضر بدأ استخدامها بشكل عام. ونمت صناعة هائلة في الآونة الأخيرة في جيرنسي وجيرسي، حيث يتم تغطية مئات الأكرات بالفعل بالصوب الزجاجية - ناهيك عن الصوب البلاستيكية الصغيرة التى لا تعد ولا تحصى وحيث توضع في كل حديقة صوبة صغيرة. ومؤخرا تم بناء إكرات وإكرات من الدفيئات الزراعية أيضا في ورذينج، في ضواحي لندن، وفي العديد من أجزاء أخرى من انجلترا واسكتلندا.

يتم بناؤها من كل النوعيات، بدءا من تلك التي لها جدران جرانيت، وصولا إلى تلك التي تمثل مجرد مأوى منتج من إطارات الخشب وألواح الزجاج، وتبلغ تكلفتها، حتى الآن، مع كل الجزية المدفوعة للرأسماليين والوسطاء، أقل من ست دولارات و ثلاث سنتيمات. لكل ياردة مربعة تحت الزجاج. ويتم تسخين معظمها على الأقل ثلاثة أو أربعة أشهر كل عام. ولكن حتى الدفيئات الباردة، والتي ليست ساخنة على الإطلاق، تعطي نتائج ممتازة - بالطبع، ولكن ليس لزراعة العنب والنباتات الاستوائية، ولكن بالنسبة للبطاطا والجزر والبازلاء والطماطم، وهلم جرا.

وبهذه الطريقة يعتق الإنسان نفسه من المناخ، وفي الوقت نفسه يتجنب أيضا العمل الشاق مع المراقد الساخنة، وانه يوفر فى كل من شراء السماد الكثير وفي العمل الأقل. ثلاثة رجال للفدان، كل منهم يعمل أقل من ستين ساعة في الأسبوع، وينمو على مساحات صغيرة جدا ما كان مطلوبا سابقا من إكرات وإكرات من الأراضي.

ونتيجة كل هذه الفتوحات الأخيرة فى الزراعة، فأنه لو أعطى النصف فقط من كل البالغين فى المدينة حوالي خمسين نصف يوم عمل لزراعة أفضل الفواكه والخضروات للموسم، سيكون لديهم على مدار السنة امدادات غير محدودة من هذا النوع من الفاكهة والخضروات لجميع السكان.

ولكننا نلاحظ حقيقة هناك لا تزال أكثر أهمية. هي الصوب الزراعية في الوقت الحاضر لديها ميل لتصبح مجرد حديقة مطبخ تحت الزجاج. وعندما يتم استخدامها لمثل هذا الغرض، فالملاجئ غير المدفأة من أبسط أطارات الخشب وألواح الزجاج تعطي بالفعل محاصيل رائعة - مثل، على سبيل المثال، 500 بوشل من البطاطس للأكر الواحد كمحصول أول، جاهزة بحلول نهاية إبريل. وبعد ذلك يتم الحصول على المحصول الثاني والمحصول الثالث في درجة الحرارة العالية للغاية التي تسود في الصيف تحت الزجاج.

أعطيت فى كتابى "الحقول والمصانع، وورش العمل،" معظم الحقائق الكبرى في هذا الاتجاه. يكفي القول هنا، أنه في جيرسي 34 رجلا، مع بستاني مدرب واحد فقط، يزرعون 13 فدانا تحت الزجاج، والتي يحصلون منها على 143 طن من الفواكه والخضروات في وقت مبكر، وذلك باستخدام هذه الزراعة غير العادية بأقل من 1000 طن من الفحم.

ويتم ذلك الآن في جيرنسي وجيرسي على نطاق واسع جدا، بحيث أن عدد كبير من البواخر التي تبحر باستمرار بين جيرنسي ولندن، مخصصة فقط لتصدير محاصيل الدفيئات.

في الوقت الحاضر، من أجل الحصول على نفس المحصول 500 بوشل من البطاطس، يجب علينا أن نحرث كل عام سطح 4 إكرات، وتسويتها، وزراعتها، وتنظيفها من الأعشاب، وهلم جرا. في حين مع الصوب الزجاجية، حتى لو كنا سوف نعطيها، من البداية، ربما العمل نصف يوم واحد في ياردة مربعة من أجل بناء الصوبة الزجاجية – سوف نوفر النصف بعد ذلك على الأقل، وربما ثلاثة أرباع العمل الذى كان مطلوبا فى السابق سنويا.

هذه هي الحقائق، والنتائج التي يمكن أن يتحقق كل واحد منها بنفسه. وهذه الحقائق هي بالفعل إشارة إلى ما يمكن للإنسان أن يحصل عليه من الأرض إذا تعامل معها بذكاء.

خامسًا

في كل مـا سـبق فإننـا فسرنـا سر مـا صمـد بالفعـل للاختبـار بالتجربـة. الاسـتزراع المكثـف فى الحقـول والمـروج المرويـة، والصـوب الزراعيـة، وأخـيرا حديقـة المطبـخ تحـت الزجـاج هـي الحقائـق. وعـلاوة عـلى ذلـك، فـإن الاتجـاه هـو توسـيع وتعميـم هـذه الأسـاليب الزراعيـة، لأنهـا تسـمح بالحصـول عـلى المزيـد مـن المنتجـات مـع عمـل أقـل وبمزيـد مـن اليقـين.

في الواقـع، بعـد أن درسـنا الملاجـئ الزجاجيـة الأبسـط فى جيرنـسي، فإننـا نؤكـد أنـه، مـع الأخـذ في الاعتبـار كل شيء، أن العمـل الـذى يتـم بذلـه أقـل بكثـير للحصـول عـلى البطاطـس تحـت الزجـاج في أبريـل، أكـثر مـن نموهـا في الهـواء الطلـق، الأمـر الـذي يتطلـب حـرث مسـاحة أكـبر أربـع مـرات، و ريهـا، و إزالـة الأعشـاب الضـارة منها،الـخ.... العمـل يكـون أيضـا اقتصاديـا عنـد توظيـف أداة أو آلـة مثاليـة ، حتـى عـلى مسـتوى الإنفـاق الأولي الـذي يتـم تكبـده لـشراء الأداة.

لا زلنـا نحتـاج الأرقـام الكاملـة المتعلقـة بزراعـة الخـضروات الشـائعة تحـت الزجاج. فالقيـام بهـذه الزراعـة حديثـة النشـأة، والتـى لا تمـارس سـوى فى مناطـق صغـيرة. ولكـن لدينـا بالفعـل الأرقـام المتعلقـة بزراعـة خمسـين سـنة مـن العنـب في بدايـة الموسـم، وهـى أرقـام قاطعـة.

في شـمال إنجلـترا، عـلى الحـدود الاسـكتلندية، حيـث يتكلـف الفحـم ثـلاث شـلنات فقـط للطـن عـلى فـم حفـرة المنجـم، إلا أنـه لطالمـا أخذتهـا صـوب العنـب المتزايـدة منـذ ذلـك الحـين. كان ينضـج هـذا العنـب قبـل ثلاثـين عامـا، في ينايـر، ثـم يبيعـه المـزارع ب 20 شـلن للرطـل والـذي كان يتـم توريـده ب 40 شـلن للرطـل لمائـدة نابليـون الثالـث. يبيعهـا اليـوم نفـس المـزارع بشـلنين فقـط للرطـل، الـذى يـروي لنـا بذلـك بنفسـه في مجلـة البسـتانية. حيـث تسـببت أطنـان وأطنـان من العنـب فى هبوط سـعره و وصولـه في ينايـر إلى لنـدن وباريـس.

تمكـن العنـب مـن السـفر مـن الشـمال إلى الجنـوب الآن، بفضـل رخـص الفحـم والزراعـة الذكيـة، في اتجـاه مخالـف للفاكهـة العاديـة. ويبـاع عنـب جـيرسى الإنجليـزي في مايـو بشـلن. للرطـل مـن البسـتانيين، لتكلفتـه القليلـة جـدا، ولكـن هـذا السـعر، مثلـه في ذلـك مثـل الأربعـين شـلن. يتـم الاحتفـاظ بـه فقـط فى حالـة هبـوط الإنتـاج قبـل ثلاثـين عامـا.

يباع العنب البلجيكى في مارس ما بين 6مارك. ل 8مارك، بينما في أكتوبر، فإن العنب المزروع بكميات هائلة - تحت الزجاج، مع وجود تدفئة صناعية صغيرة في ضواحي لندن يباع بنفس السعر مثل العنب المشترى بالرطل من كروم العنب في سويسرا ونهر الراين، وهذا يعني، على سبيل المثال لا الحصر بضع أنصاف بنسات . ومع ذلك لا تزال تكلفة الثلثين كثيرة جدا، بسبب الإيجارات الباهظة للأرض، وارتفاع تكلفة إنشاء الصوب الزجاجية، وتكاليف التدفئة، وما يدفعه البستاني من أتاوة هائلة إلى الصانع والوسيط. هذا مع العلم، إنه يمكننا ان نقول ان تكلفته "القادمه لا شيء" لامتلاك العنب اللذيذ تحت خط العرض المناسب، وفي لندن الضبابية في الخريف. في واحدة من الضواحي، على سبيل المثال، هناك مأوى من الزجاج والجص البائس، ما بين 9 أقدام إلى 10أقدام طولا و 6 ½ قدم عرضا، يقبع في مواجهة كوخنا، وفر لنا حوالي خمسين رطلا من العنب بطعم رائع في أكتوبر، لمدة تسعة سنوات متتالية. جاء المحصول في الأصل من زراعة ساق كرمة من هامبورغ، وكان لها من العمر ست سنوات. وكان الملجأ سيئا للغاية حيث يتسلل إليه المطر. في الليل كانت درجة الحرارة دائما كما هي في الخارج. حيث كان من الواضح أن تسخينه، لن يكون مجديا مثل محاولة تسخين الشارع! وجل الاهتمام الذى نعطيه له : تشذيب الكرمة لمدة نصف ساعة سنويا. وجلب ملىء عربة يد من السماد، والذي يتم طرحه على ساق الكرمة المزروعة في الطين الأحمر خارج الملجأ.

من ناحية أخرى، إذا قدرنا مبلغ الرعاية المقدمة للكرمة على حدود نهر الراين أو بحيرة ليمان، حيث المدرجات المشيدة حجرا حجر على سفوح التلال، ونقل السماد أيضا من الأرض إلى إرتفاع من اثنين أو ثلاث مئات من الأقدام، وصلنا إلى استنتاج مفاده أنه على العموم إن نفقات الأعمال اللازمة لزراعة الكروم هو أكبر كثيرا في سويسرا أو على ضفاف نهر الراين مما هو عليه الحال تحت الزجاج في ضواحي لندن.

قد يبدو هذا متناقضا، لأن الاعتقاد الشائع هو أن الكروم تنمو من نفسها في جنوب أوروبا، وأن عمل زارع الكروم لا يكلف شيئا. ولكن البساتينون و زراعة البساتين، بعيدا عن تناقضنا، تثبت تأكيداتنا. و كتب البستاني العملي، رئيس تحرير "مجلة البساتين الإنجليزية" ان "الزراعة الأكثر بروزا في انجلترا هي زراعة الكرمة. وتتحدث الأسعار ببلاغة عن نفسها، كما نعلم.

بترجمة هذه الحقائق إلى اللغة الشيوعية، نحن يمكن أن نؤكد أن الرجل أو المرأة الذي يأخذ عشرين ساعة في السنة من بعض وقت فراغه لإعطاء القليل من الرعاية - اللطيفة جدا في معظم الأحوال - إلى إثنين أو ثلاث سيقان كرمة محمية بزجاج بسيط تحت أي مناخ أوروبي، يمكنه جمع أكبر عدد ممكن من العنب ما يمكن لأسرهم وأصدقائهم أن يأكلوه. وهذا لا ينطبق فقط على الكروم، ولكن على جميع أشجار الفاكهة.

الكوميونة من شأنها أن تضع عمليات الاستزراع المكثف في الممارسة على نطاق واسع بحيث سيكون لديك كل الخضروات الممكنة، الأصلية أو الغريبة، وجميع الفواكه المرغوب فيها، دون توظيف أكثر من حوالي عشر ساعات في السنة للفرد الواحد.

في الواقع، لا شيء سيكون أسهل من التحقق من البيانات المذكورة أعلاه عن طريق التجربة المباشرة. لنفترض 100 فدان من الطمي الخفيف (مثل الذى لدينا في رذينج) يتم تحويلها إلى عدد من حدائق السوق، كل واحد مع البيوت الزجاجية لتربية الشتلات والنباتات الصغيرة. لنفترض أيضا أنه تم تغطية أكثر من 50 إكر بالصوب الزجاجية، والمنازل، وتنظيم الكل حسبما تركته لنا الخبرة العملية للمزارعين الفرنسيين، للصوبة الزراعية فى جيرنسي أو رذينج.

إسناد رعاية المئة وخمسون إكر في المتوسط فى جيرسي، تتطلب عمل ثلاثة رجال للأكر الواحد تحت الصوبة الزجاجية - مما يعنى أقل من 8600 ساعة عمل في السنة - سنكون بحاجة إلى حوالي 1300000 ساعة ل150 فدان. يعطي الخمسون بستانى المتخصص خمس ساعات يوميا لهذا العمل، والعمل المتبقى سوف يقوم به ببساطة الناس الذين لا تكون البستنة ليست مهنتهم ، حيث سوف يتعلمون سريعا كيفية استخدام الأشياء بأسمائها الحقيقية، والتعامل مع النباتات. ولكن هذا العمل من شأنه أن يوفر على الأقل كما رأينا ذلك في الفصل السابق كل الضروريات والمواد الفاخرة من الفاكهة والخضروات لتصل إلى ما لا يقل عن 40000 أو 50000 شخص. دعونا نعترف أن من بين هذا العدد هناك 13500 من البالغين، على استعداد للعمل في حدائق المطبخ؛ عندئذ، فإن كل واحد سوف يعطي 100 ساعة في السنة موزعة على مدى عام كامل. إن هذه الساعات من العمل تصبح ساعات من الترفيه يقضيها بين الأصدقاء والأطفال في الحدائق الجميلة، والأكثر جمالا ربما من حدائق سميراميس الأسطورية.

هـذه هـي الميزانيـة العموميـة للعمـل الـذى سـوف يتـم إنفاقـه مـن أجـل أن نكـون قادريـن عـلى تنـاول طعـام الفاكهـة لحـد الشـبع الـذي يحـرم علينـا اليـوم، والحصـول عـلى الخـضروات بوفـرة، وتقـدر ذلـك بدقـة ربـة المنـزل الآن، عندمـا سـوف تحسـب كل نصـف بنـي تذهـب إلى إثـراء الرأسـماليين ومـلاك الأراضي [10].

إذا كانـت الإنسـانية فقـط تعـي مـا في وسـعها أن تفعلـه، وإذا كان هـذا الوعـي يعطـى فقـط القـدرة عـلى الإرادة!.

إذا كانـت تعـرف فقـط أن جـبن الـروح هـو الصخـرة التـي قـد تقطعـت عليهـا سـبل كل الثـورات حتى الآن.

سادسًا

يمكننا بسهولة تصور آفاق جديدة مفتوحة قبل الثورة الاجتماعية.

في كل مـرة نتحـدث عـن ثـورة العامـل الـذي يـرى الأطفـال الراغبـين في الطعـام، ويخفـض جبينـه حـين يكـررون بعنـاد - "هـل مـن خبـز؟ هـل سـيكون هنـاك مـا يكفى إذا كان الجميـع يـأكل وفقـا لشـهيته؟ مـاذا لـو قـام الفلاحـون، كأدوات جاهلـة بـرد فعـل، وقامـوا بتجويـع مدننـا كـما فعلـت العصابـات السـوداء في فرنسـا في عـام 1793 - مـا يتعـين علينـا القيـام بـه "؟.

دعهم لسوء حالاتهم! فإن المدن الكبيرة يجب أن تعيش بدونهم.

عـلى مـاذا إذن ينبغـي لمئـات الآلاف مـن العـمال، الذيـن يختنقـون يوميـا في الـورش الصغـيرة والمصانـع، أن يفعلـوا في اليـوم الـذي يسـتعيدون فيـه حريتهـم؟ سـوف يستمرون فى تأمـين أنفسـهم في المصانـع بعـد الثـورة؟ هـل سـوف يسـتمرون في صنـع اللعـب الفاخـرة للتصديـر بينـما يـرون مخزونهـم مـن الـذرة ينفـذ، وأصبحـت اللحـوم نـادرة، وتختفـي الخـضروات دون أن يتـم اسـتبدالها؟

مـن الواضـح لا! سـوف يتركـون المدينـة ويذهبـون إلى الحقـل! وتسـاعدهم عـلى ذلـك الآلات التـي سـتمكن الأضعـف منهـم ليضـع يديـه عـلى عجلـة القيـادة، وأنهـم سـوف يحملـون الثـورة في زراعـة المسـتعبدين سـابقا مثلـما قـد حملوها إلى المؤسسـات والأفـكار.

وسيتم تغطية مئات الأكرات بالصوب الزجاجية، وسوف يعزز الرجال، والنساء مع الأصابع الحساسة، نمو النباتات الصغيرة. وسوف يحرثون مئات الأكرات الأخرى بالمحراث البخارى، ويحسنون التربة بالأسمدة، أو يخصبون التربة الاصطناعية التي يتم الحصول عليها من سحق الصخور. سوف تغطى الحشود السعيدة من العمال هذه الاكرات بمحاصيل، مسترشدة في العمل والتجارب جزئيا بأولئك الذين يعرفون الزراعة، ولكن بصفة خاصة من الروح الكبيرة والعملية لشعب استيقظ من سبات طويل واستنار بالمنارة المشرقة - السعادة للجميع.

وخلال شهرين أو ثلاثة أشهر سوف تلبى بواكير المحاصيل مطالبهم الأكثر إلحاحا، وتوفر الغذاء للشعب، بعد قرون عديدة من التوقع، وعلى الأقل أن تكون قادرة على إشباع جوعهم والأكل وفقا لشهيتهم.

في غضون ذلك، فإن العبقرية الشعبية، وعبقرية الأمة التي ثارت وتعرف احتياجاتها، ستعمل على تجريب عمليات جديدة للزراعة التى بالفعل أمسكنا بلمحة منها، والتي تحتاج فقط معمودية من الخبرة لتصبح عالمية. سيتم تجريب الضوء مع عامل غير معروف للزراعة يجعل الشعير ينضج في خمسة وأربعين يوما تحت خط عرض ياكوتسك. فتركيز أو اصطناع الضوء، سوف ينافس الحرارة في تسريع نمو النباتات. وهناك من سوف يخترع آلة لتوجيه أشعة الشمس وجعلها تعمل، حين لن يعد يتسنى لنا السعي لحرارة الشمس المختزنة في الفحم في أعماق الأرض. وسوف نجرب سقي التربة مع زراعة الكائنات الدقيقة التى تم تصورها كمجرد فكرة عقلانية بالأمس القريب، والتي سوف تسمح لنا أن نعطي للتربة تلك الكائنات الحية الصغيرة، اللازمة لتغذية الجذور، بتحليلها الأجزاء العضوية المكونة من التربة.

وسوف يجربون .... ولكن دعونا نتوقف هنا و إلا سوف ندخل أنفسنا في عالم الخيال. دعونا نبقى في واقع الحقائق المكتسبة. مع عمليات الزراعة قيد الاستخدام، والتى تطبق على نطاق واسع، ومنتصرة بالفعل في النضال ضد المنافسة الصناعية، يمكننا أن نعطي لأنفسنا السهولة والترف في مقابل عمل مقبول. وسوف يظهر في المستقبل القريب ما هو عملي في العمليات التي تعطينا لمحة عنها الاكتشافات العلمية الحديثة. دعونا نقتصر في الوقت الحاضر لفتح طريق جديد يتكون من دراسة احتياجات الإنسان، و وسائل تلبيتها.

الشيء الوحيد الذي يمكن أن نحتاجه في الثورة هو جرأة المبادرة.

مع عقولنا التى ضاقت بالفعل في شبابنا، المستعبدة بالماضى في سن بلوغنا وحتى وصولنا للقبر، ونحن بالكاد نجرؤ على التفكير. وإذا ذكرت فكرة جديدة - قبل أن نغامر برأي خاص بنا،، نستشير كتب تعفنت عمرها مائة سنة، لمعرفة ما يعتقد السادة القدماء حول هذا الموضوع.

سوف نفشل في توفير الطعام ، لو لم نطلب جرأة الفكر و المبادرة في الثورة.

من جميع الأيام العظيمة للثورة الفرنسية، والأكثر جمالا، والأعظم، كان كل شخص من المندوبين الذين جاءوا من جميع أنحاء فرنسا إلى باريس، عملوا بكل بكل ما وسعهم لتمهيد الأرض لبطل مارس، وإعداده لحفلة الاتحاد.

في ذلك اليوم كانت فرنسا متحدة: ملهمة بالروح الجديدة، كان لديها رؤية للمستقبل في العمل المشترك للأرض.

و سيكون مرة أخرى من قبل عمل مشترك للأرض حيث أن المجتمعات المغلقة سوف تجد وحدتها، وسوف تطمس مشاعر الكراهية والاضطهاد التي تفرق بينها.

من الآن فصاعدا، قادرة على تصور التضامن - حيث أن قوة هائلة سوف تزيد من طاقة الإنسان والقوى الخلاقة مئة مرة- فإن المجتمع الجديد سوف يسير نحو غزو المستقبل مع كل قوة الشباب.

لن يعرف المجتمع ترك الإنتاج لمشترين مجهولين، والبحث في وسطهم لتلبية الاحتياجات والأذواق، سوف يؤكد المجتمع بشكل حر سهولة الحياة لكل عضو من أعضائه، فضلا عن الارتياح المعنوي الذي يعطيه العمل عندما يختارونه اختيارا حرا وينجزونه بحرية، و يشعرون بفرح العيش دون التعدي على حياة الآخرين.

سوف يسير الجميع معا ملهمين بجرأة جديدة لغزو أفراح عالية من المعرفة والإبداع الفني بفضل مشاعر التضامن.

وبالتالي فمن المؤكد أن المجتمع الملهم سوف لا يخشى خلافات في داخل ولا أعداء من الخارج. سوف يعارض التناغم الجديد تحالفات الماضي ، بمبادرة من الكل و للجميع، والجرأة التي تنطلق من صحوة عبقرية الشعب.

تآمر الملوك سيكون عاجزا أمام مثل هذه القوة التي لا تقاوم. لا شيء سوف يبقى لهم إلا الانحناء اجلالا واكبارا ، وتسخير أنفسهم إلى عربة الإنسانية، المتحركة نحو آفاق جديدة فتحتها الثورة الاجتماعية.

Table 1

DEPARTMENTS OF SEINE AND SEINE-ET-OISE	
Number of inhabitants in	1889 3,900,000
Area in acres	1,507,300
Average number of inhabitants per acre	2.6
Areas to be cultivated to feed the inhabitants (in acres):	
Corn and cereals	494,000
Natural and artificial meadows	494,000
Vegetables and fruit from	17,300 to 25,000
Leaving a balance for houses, roads, parks,forests	494,000
Quantity of annual work necessary to improve and cultivate the above surfaces in five-hour work-days:	
Cereals (culture and crop)	15,000,000
Meadows, milk, rearing of cattle	10,000,000
Market-gardening culture, high-class fruit,	33,000,000
Extras	12,000,000
Total	70,000,000

الهوامش

.1 " For the International Paris Exhibitions of 1889 and 1900.

.2 "Shabble of a Duke" is an expression coined by Carlyle; it is a somewhat free rendering of Kropotkine's "Monsieur le Vicomte," but I think it expresses his meaning. — Trans.

3. The municipal debt of Paris amounted in 1904 to 2,266,579,100 francs, and the charges for it were 121,000,000 francs.

4. Kropotkine is here supposing the Revolution to break out first in France. — Trans.

5. The decree of the 30 March: by this decree rents due up to the terms of October, 1870, and January and April, 1871, were annulled.

6. We know this from Playfair, who mentioned it at Joule's death.

7. It seems that the Communists of Young Icaria had understood the importance of a free choice in their daily relations apart from work. The ideal of religious Communists has always been to have meals in common; it is by meals in common that early Christians manifested their adhesion to Christianity. Communion is still a vestige of it. Young Icarians had given up this religious tradition. They dined in a common dining-room, but at small separate tables, at which they sat according to the attractions of the moment. The Communists of Amana have each their house and dine at home, while taking their provisions at will at the communal stores.

8. See my book, "In Russian and French Prisons." London 1887

9. Consult "La Répartition métrique des impôts," by A. Toubeau, two vols., published by Guillaumin in 1880. (We do not in the least agree

with Toubeau's conclusions, but it is a real encyclopædia, indicating the sources which prove what can be obtained from the soil.) "La Culture maraîchere," by M. Ponce, Paris, 1869. "Le Potager Gressent," Paris, 1885, an excellent practical work. "Physiologie et culture du blé," by Risler, Paris, 1881. "Le blé, sa culture intensive et extensive," by Lecouteux, Paris, 1883. "La Cité Chinoise," by Eugène Simon. "Le dictionnaire d'agriculture," by Barral (Hachette, editor). "The Rothamstead Experiments," by Wm. Fream, London, 1888 — culture without manure, etc. (the "Field" office, editor). "Fields, Factories, and Workshops," by the author. London (Swan Sonnenschein); cheap editions at 6d. and 1s.

10. Summing up the figures given on agriculture, figures proving that the inhabitants of the two départements of Seine and Seine-et-Oise can perfectly well live on their own territory by employing very little time annually to obtain food, we have: [see table 1 at the end of the document]. If we suppose that half only of the able-bodied adults (men and women) are willing to work at agriculture, we see that 70 million work-days must be divided among 1,200,000 individuals, which gives us 58 work-days of 5 hours for each of these workers. With that the population of the two departments would have all necessary bread, meat, milk, vegetables, and fruit, both ordinary and luxury. To-day a workman spends for the necessary food of his family (generally less than what is necessary) at least one-third of his 300 work-days a year, about 1000 hours be it, instead of 290. That is, he thus gives about 700 hours too much to fatten the idle and the would-be administrators, because he does not produce his own food, but buys it of middlemen, who in their turn buy it of peasants who exhaust themselves by working with bad tools, because, being robbed by the landowners and the State, they cannot procure better ones.

كروبوتكين وكتابه الخبز والحرية

المؤلف هو بيوتر ألكسيفيتش كروبوتكين؛ 9 ديسمبر 1842 - 8 فبراير 1921 الثوري والعالم والفيلسوف، والمنظر الأبرز والأكثر منهجية وغزارة إنتاجية في التيار الأناركي الشيوعي. انحاز كروبوتكين لفكرة المجتمع الشيوعي الأناركي اللامركزي الخالي من الحكومة المركزية، والذي يقوم على الاتحادات الطوعية للمجتمعات المحلية ذات الحكم الذاتي، والتعاونيات التي يديرها أعضائها توافقيا. رافضا نموذج اشتراكية الدولة التي أسسها البلاشفة بعد الثورة الروسية، وكتب العديد من الكتب والكتيبات والمقالات، أبرزها "الاستيلاء على الخبز"وعنوانه بالروسية "الخبز والحرية"، و"الحقول، والمصانع وورش العمل"، و"أصل الدولة"، و"تاريخ الثورة الفرنسية"، و"مذكرات ثورى"، وطرح نظريته العلمية الرئيسية في البيولوجيا، في كتاب "المساعدة المتبادلة: عامل للتطور". كما ساهم بمقالة حول الأناركية إلى الموسوعة البريطانية الطبعة الحادية عشرة، وترك العمل غير المكتمل عن الفلسفة الأخلاقية الأناركية، والعديد من الكتب والكتيبات والمقالات والأوراق والأبحاث العلمية.

ولد كروبوتكين في موسكو، منتميا إلى ثاني أعلى مستوى من الأرستقراطية الروسية. كانت والدته ابنة جنرال من القوزاق. وكان والده، ألكسي بتروفيتش كروبوتكين، أمير سمولينسك، من سلالة روريك التي كانت تحكم روسيا قبل

صعـود آل رومانـوف للعـرش1613. وكان يمتلـك مسـاحات كبـيرة مـن الأراضي، ومـا يقـرب مـن 1200 مـن الرقيـق الذكـور في ثـلاث مقاطعـات في روسـيا القيصريـة.

تخـلى كروبوتكـين عـن اسـتخدام لقبـه الأمـيري في سـن ال 12، تحـت تأثـير التعاليـم الجمهوريـة، وكان يوبـخ أصدقـاءه، عندمـا يشـيرون إليـه باللقـب.

في عـام 1857، في سـن 14، سـجل كروبوتكـين في مدرسـة فيلـق الحـرس الإمبراطـوري في سـانت بطرسـبرج. ولم يكـن ملتحقـا بالمدرسـة سـوى 150 صبيـا معظمهـم مـن أبنـاء النبـلاء الذيـن ينتمـون إلى البـلاط الإمبراطـوري لتعليمهـم في هـذا السـلك المتميـز، الذي يجمـع بـين طابـع المدرسـة العسـكرية التـي تمنـح حقوقـا خاصـة لطلابهـا وخريجيهـا، وكونهـا مؤسسـة بـلاط تابعـة لـلأسرة الإمبراطوريـة. وتذكـر مذكـرات كروبوتكـين بالتفصيـل المضايقـات والإسـاءات وغيرهـا في ممارسـات الحـرس الـذي أصبـح الفيلـق بسـببها سـئ السـمعة.

اهتـم كروبوتكـين بأحـوال الفلاحـين، وازداد هـذا الاهتـمام مـع تقدمـه في السـن. وعـلى الرغـم مـن عملـه كحـارس للقيـصر الكسـندر الثـاني إلا أنـه كان متشـككا في حقيقـة سـمعة القيـصر "الليبراليـة"، وفي نفـس الوقـت سر كروبوتكـين جـدا بقـرار القيـصر بتحريـر العبيـد في عـام 1861.

قـرأ كروبوتكـين بشـكل حـر في بطرسـبرغ عـلى نطـاق واسـع، وأولى اهتمامـا خاصـا لأعـمال الموسـوعيين الفرنسـيين والتاريـخ الفرنـسي. وشـهدت السـنوات 1857-1861 نمـوا في القـوى الفكريـة في روسـيا، ولذلـك وقـع كروبوتكـين تحـت تأثـير الكتابـات الليبراليـة الثوريـة الجديـدة، التـي أعربـت إلى حـد كبـير عـن تطلعاتـه الخاصـة.

في عـام 1862، تمـت ترقيـة كروبوتكـين لينتقـل مـن فيلـق الحـرس إلى الجيـش. وكان لأعضـاء الفيلـق الحـق التقديـري في اختيـار الفـوج الـذي سـيلحقون بـه في الجيـش، وقد عـين مسـاعد حاكـم إقليـم ترانزبايكاليـا في تشـيتا لبعـض الوقـت. وفي وقـت لاحـق تـم تعيينـه ملحقـا لقضايـا القـوزاق في دائـرة الحاكـم العـام لـشرق سـيبيريا في إيركوتسـك.

ولمـا كان العمـل الإداري نـادرا، قبـل كروبوتكـين في عـام 1864 الالتحـاق ببعثـة مسـح جغـرافي، عـبر شـمال منشـوريا مـن ترانسـبايكاليا إلى نهـر آمـور، وسرعـان مـا تـم إرفاقـه بحملـة أخـرى في نهـر سـونجاري في قلـب منشـوريا. وحققـت البعثـات نتائـج جغرافيـة قيمـة. وتسـببت اسـتحالة تحقيـق أيّ إصلاحـات إداريـة حقيقيـة في

سيبيريا في أن يكرس كروبوتكين كل وقته تقريبا للاستكشاف العلمي في الجيولوجيا والجغرافيا، حيث واصل نجاحا كبيرا.

في عام 1866، بدأ كروبوتكين قراءة أعمال الأناركي الفرنسي بيير جوزيف برودون، والمفكرين السياسيين الآخرين مثل جون ستيوارت ميل وألكسندر هيرزين. هذه القراءات، جنبا إلى جنب مع تجاربه بين الفلاحين والعشائر والشعوب الأصلية في سيبيريا، وتجربته في الإدارة المركزية البيروقراطية للإمبراطورية الروسية، ومقارنة فشلها وفسادها مع نجاح المبادرات والحلول الشعبية الذاتية والحرة، قادته إلى إعلان نفسه أناركيا بحلول عام 1872.

في عام 1867، استقال كروبوتكين من عمله في الجيش، وعاد إلى سانت بطرسبرج، حيث التحق بجامعة سانت بطرسبرج الإمبراطورية لدراسة الرياضيات والفيزياء، وأصبح في الوقت نفسه سكرتير قسم الجغرافيا في الجمعية الجغرافية الروسية. وبذلك تخلى عن التقليد العائلي في الخدمة العسكرية، مما دفع والده إلى حرمانه من امتيازاته كأمير مع تركه دون وسائل واضحة لمساعدته. في عام 1871، استكشف رواسب وأنهار جليدية في فنلندا والسويد لحساب الجمعية. وفي عام 1873، نشر إسهاما هاما في العلم، في شكل بحث علمي وخرائط أظهر فيها أن الخرائط الموجودة تحرف تماما السمات الفيزيائية لآسيا؛ حيث اكتشف أن الخطوط الهيكلية الرئيسية في الواقع من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وليس من الشمال إلى الجنوب أو من الشرق إلى الغرب كما كان من المفترض سابقا. خلال هذا العمل، عرض عليه القيام ببعثات استكشافية أخرى لحساب الجمعية، لكنه قرر أن من واجبه عدم العمل في الاكتشافات الجديدة، ولكن المساعدة في نشر المعرفة بين الناس عموما. وبناء على ذلك، رفض العرض وعاد إلى سانت بطرسبرغ، حيث انضم إلى المعارضة الثورية.

زار كروبوتكين سويسرا في عام 1872 وأصبح عضوا في جمعية العمال الدوليين (إيوا) في جنيف. ومع ذلك، وجد نفسه لا يفضل مفهوم إيوا حول الاشتراكية. وبدلا من ذلك، درس برنامج اتحاد جورا الأكثر راديكالية في نيوشاتيل، وقضى بعض الوقت في التعاون معه، وأصبح من الأعضاء البارزين.

عند عودته إلى روسيا، قدمه صديقه ديمتري كليمنتس إلى حلقة تشايكوفسكي الثورية، وهي جماعة اشتراكية / شعبوية أنشئت في عام 1872. وعمل كروبوتكين

لنشر الدعاية الثورية بين الفلاحين والعمال، وعمل كجسر بين الحلقة الثورية والأرستقراطية. وحافظ طوال هذه الفترة، على وظيفته داخل الجمعية الجغرافية من أجل توفير تغطية لأنشطته الثورية.

في عام 1874، ألقت الشرطة القبض على كروبوتكين نتيجة لعمله مع حلقة تشايكوفسكي، وسجن في قلعة بيتر وبولس بتهمة ممارسة أنشطة سياسة تخريبية، وبسبب خلفيته الأرستقراطية، حصل على امتيازات خاصة في السجن، مثل الإذن بمواصلة عمله الجغرافي في زنزانته. وقدم أثناءه تقريره عن موضوع العصر الجليدي، حيث جادل بأنه لم يحدث في الماضي القريب كما كان يعتقد في البداية.

في عام 1876، قبل محاكمته، تم نقل كروبوتكين إلى سجن منخفض الحراسة في بطرسبرج، الذي استطاع الهرب منه بمساعدة أصدقائه. وتوجه إلى إنجلترا. وبعد إقامة قصيرة هناك، انتقل إلى سويسرا حيث انضم مجددا إلى اتحاد جورا. وفي عام 1877، انتقل إلى باريس، حيث ساعد في نشاط الحركة الاشتراكية الفرنسية. في عام 1878، عاد إلى سويسرا حيث قام بتحرير صحيفة الثوري لاتحاد جورا الفيدرالي، ونشر العديد من الكتيبات الثورية.

في 1881، بعد وقت قصير من اغتيال القيصر ألكسندر الثاني، طرد من سويسرا بعد إقامة قصيرة في (سافوي)، وبقي في لندن ما يقرب من عام. وحضر المؤتمر الأناركي في لندن 14 يوليو 1881، الذي أعلن "استقلالية كاملة للمجموعات المحلية"، وحدد إجراءات دعائية يمكن أن يتبعها الجميع، ووافق على أن الدعاية بالأعمال هيَ الطريق إلى الثورة الاجتماعية.

عاد كروبوتكين إلى سافوي في أواخر عام 1882. وسرعان ما اعتقلته الحكومة الفرنسية، وحوكم في ليون، وحكم عليه من قبل قاض في محكمة الشرطة (بموجب قانون خاص صدر بعد هزيمة كوميونة باريس) بالسجن لمدة خمس سنوات، على أساس أنه ينتمي إلى إيوا (1883)، وأفرج عنه في عام 1886. ودعته شارلوت ويلسون إلى بريطانيا، وشارك في تأسيس صحيفة فريدوم برس، وهي صحيفة أناركية لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا. وكان كروبوتكين مساهما منتظما بمقالاته فيها. استقر بالقرب من لندن، وعاش في أوقات مختلفة في هارو، وتزوج هناك من ابنة أحد الثوريين الروس اللاجئين في لندن، حيث أنجب ابنته ألكسندرا، وقد عاش أيضا لعدة سنوات في برايتون. وأثناء إقامته في لندن، أصبح كروبوتكين

صديقا لعدد من الاشتراكيين البارزين، من بينهم ويليام موريس وجورج برنارد شو.

فجأة وهو في الثانية والسبعين من عمره ارتكب خطيئته الكبرى، وربما الوحيدة، التي أفقدته احترام تلاميذه، وثقة رفاقه، وقدرته على التأثير السياسي في مجريات أحداث الثورة الروسية، إذ قامت الحرب العالمية الأولى 1914 بين روسيا وفرنسا وبريطانيا من جهة، وألمانيا والنمسا والإمبراطورية العثمانية من جهة أخرى، فانحاز بيوتر كروبوتكين للطرف الأول ضد الطرف الثاني في الحرب، بحجة إن السلطوية العسكرية والنزعة المركزية الألمانية أشد خطرا على الحرية البشرية، من سلطوية الروس والإنجليز، رغم المعارضة الجذرية والمبدأية للعسكرية والحرب في الأناركية.

في عام 1917، بعد ثورة فبراير، وسقوط القيصرية، عاد كروبوتكين إلى روسيا مرة أخرى بعد سنوات من المنفى. وكان في استقباله حشد من عشرات الآلاف من الناس. وعرض عليه تولي وزارة التعليم في الحكومة المؤقتة التي رفضها، لأنه شعر بأن العمل كوزير سيكون انتهاكا لمبادئه الأناركية.

تحول حماسه للتغيرات التي تحدث في روسيا إلى خيبة أمل عندما استولى البلاشفة على السلطة في ثورة أكتوبر. حيث قال "ما يفعلونه سوف يدفن الثورة". معتقدا أن البلاشفة أظهروا بما فيه الكفاية أنهم سوف ينجزون الثورة؛ بطرق استبدادية بدلا من الأساليب التحررية. فقد كان يعارض اشتراكية الدولة الاستبدادية في كل كتاباته (على سبيل المثال الاستيلاء على الخبز)، وتنبأ بأن أيّ دولة تقوم على هذه المبادئ من المرجح أن تتفكك سريعا وتعود للرأسمالية، وهو ما حدث بالفعل بعد عدة عقود.

توفي كروبوتكين لاصابته بالالتهاب الرئوي في 8 فبراير 1921، في مدينة دميتروف، ودفن في مقبرة نوفوديفيتشي في موسكو. وقد شارك الآلاف من الناس في موكب الجنازة، بموافقة فلاديمير لينين، وحمل الأناركيون لافتات و شعارات مناهضة للبلشفية. وكان من المقرر أن تكون الجنازة آخر ظهور علني للأناركيين، في روسيا السوفيتية.

كشف كروبوتكين مثالب النظم الإقطاعية والرأسمالية. وأعرب عن اعتقاده بأنها تخلق الفقر وتصطنع الندرة لتعزيز ولتبرير امتيازات الاقطاعيين والرأسماليين.

وبدلا من ذلك، تبنى نظاما اقتصاديا أكثر لا مركزية يقوم على المساعدة المتبادلة، والدعم المتبادل، والتعاون الطوعي، مؤكدا أن اتجاهات هذا النوع من التنظيم موجودة بالفعل في الواقع الاجتماعي، سواء في الكائنات الحية أو في المجتمع البشري.

في عام 1902، نشر كروبوتكين كتابه "المعونة المتبادلة: عامل تطور"، الذي قدم وجهة نظر بديلة تفسر بقاء وتطور الكائنات الحية، في مواجهة تفسيرات المنافسة والصراع بين الأفراد والجماعات، والتي تبرر التسلسل الهرمي في المجتمعات والجماعات الذي قدمه في ذلك الوقت "الداروينيون الاجتماعيون". وقال إن " التركيز في تطور الكائنات الحية يقوم على التعاون أكثر من المنافسة بالمعنى الداروينى، وهو ما أدى لنجاح الأنواع في البقاء، وأدى لتطورها، بما في ذلك الإنسان". واستكشف كروبوتكين التأثير الواسع النطاق للتعاون باعتباره آلية للبقاء على قيد الحياة في المجتمعات البشرية وبين الحيوانات عبر مراحل تطورها العديدة، واستخدم العديد من الأمثلة الواقعية في محاولة لإثبات أن العامل الرئيسي في تيسير التطور هو التعاون بين الأفراد في المجتمعات والمجموعات المرتبطة بحرية، دون سيطرة مركزية أو سلطة أو إكراه. ولقد فعل ذلك من أجل التصدي لمفهوم المنافسة الشرسة باعتباره سبب التطور، وقدم مفهوما نقديا للنظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المهيمنة القائمة على التفسيرات السائدة للداروينية. حيث كتب في الفصل الأخير من الكتاب:

رأينا في عالم الحيوان أن الغالبية العظمى من الأنواع تعيش في مجتمعات، وأنهم يجدون في الاجتماع أفضل الأسلحة للنضال من أجل الحياة: وليس الكفاح من أجل مجرد الوجود، ولكن كأداة صراع ضد جميع الظروف الطبيعية غير المواتية لهذا النوع. فالأنواع الحيوانية [...] التي يتم فيها تقليص النضال الفردي إلى أضيق الحدود [...] والتي تمارس أسلوب المساعدات المتبادلة قد حققت أكبر قدر من التطور [...] وهي دائما الأكثر عددا، والأكثر ازدهارا، والأكثر انفتاحا لمزيد من التقدم والتطور. ففى هذه الحالة الاجتماعية التعاونية تتوفر الحماية المتبادلة، وإمكانية بلوغ الشيخوخة، وتراكم الخبرة، والتطور الفكري العالي، وزيادة نمو العادات الاجتماعية، وتأمين الحفاظ على الأنواع، وتمديدها، وتطورها التدريجي. وعلى النقيض من ذلك، فإن الأنواع غير القابلة للاجتماع والتعاون محكوم عليها بالاضمحلال والانقراض.

لم ينكر كروبوتكين حجج وجود تنافسية في البشر على الإطلاق، ولكنه لم يرها كقوة دافعة للتاريخ (كما فعل الرأسماليون والداروينيون الاجتماعيون) وقال إنه يعتقد أن ممارسة الصراع أثبتت فائدتها الاجتماعية فقط في محاولات تدمير المؤسسات السلطوية الظالمة، مثل الدولة أو الكنيسة، التي رأى أنها تخنق الإبداع البشري والحرية، وتعيق الحركة الغريزية الإنسانية نحو الاجتماعية والتعاون.

وأدت ملاحظات كروبوتكين للاتجاهات التعاونية في الشعوب الأصلية (ما قبل الإقطاعية) والباقية في المجتمعات الحديثة إلى استنتاج مفاده أنه ليست كل المجتمعات البشرية تقوم على المنافسة، مثل تلك التي في أوروبا الصناعية، وأن العديد من المجتمعات أظهرت التعاون فيما بين الأفراد والجماعات كقاعدة وليس استثناء. وخلص أيضا إلى أن معظم المجتمعات ما قبل السلطوية تدافع بنشاط ضد تراكم الممتلكات الخاصة، على سبيل المثال، توزع بالتساوي داخل المجتمع ممتلكات الشخص عندما يتوفى، أو بعدم السماح ببيع الهدية أو المقايضة أو استخدامها لخلق الثروة.

اقترح كروبوتكين في كتابه عام 1892 "الاستيلاء على الخبز" نظاما للاقتصاد يقوم على التبادلات الطوعية في نظام التعاون الطوعي. وأعرب عن اعتقاده بأنه في حالة تطوير المجتمع اجتماعيا وثقافيا وصناعيا بما فيه الكفاية لإنتاج جميع السلع والخدمات التي يحتاجها، فإن أيّ عائق، مثل التوزيع التفضيلي أو التسعير أو التبادل النقدي، سوف يمنع الجميع من أخذ ما يحتاجونه من المجتمع المنتج. وأعرب عن تأييده لإلغاء الأموال في تبادل أو توزيع السلع والخدمات في نهاية المطاف.

اعتقد كروبوتكين أن النموذج الأناركي الجمعي لباكونين هو ببساطة إعادة إنتاج نظام الأجور باسم مختلف، وأن مثل هذا النظام من شأنه أن يولد نفس النوع من المركزية، وعدم المساواة كالنظام الرأسمالي للأجور. وذكر أنه من المستحيل تحديد قيمة مساهمات الفرد في منتجات العمل الاجتماعي، واعتقد أن أيّ شخص يحاول تحديد قيمة السلعة بالثمن أو العمل بالأجر، وأن يتخذ فيه مثل هذه القرارات سوف يحظى بسلطة على أولئك الذين يحدد أجورهم وأسعار منتجاتهم. مما يعني إن العمل المأجور والنقود والأسعار تستدعي قيام السلطة المتعالية والمنفصلة عن الخاضعين لها، وهو ما يتنافى وجوهر الأناركية نفسه، وهو الموضوع الذي استفاض فيه في كتابه الحقول والمصانع وورش العمل.

مع كتاب المعونة المتبادلة خاصة، ومع كتاب الحقول والمصانع وورش العمل، استطاع كروبوتكين الابتعاد عن الحدود العبثية للأناركية الفردية، وأناركية اللاقواعد التي ازدهرت خلال تلك الفترة، حيث وفر بدلا منها رؤية أناركية شيوعية، في أعقاب اكتشافه نماذج المجتمعات التعاونية المستقلة أثناء تطوير نظريته للمعونة المتبادلة. تعارض الأناركية الشيوعية القوانين المركزية والقوانين على مستوى الدولة، مثل الأناركية الفردية، لكنها ترى أنه على نطاق صغير معين، فإن المجتمعات والكوميونات والجمعيات التعاونية يمكن أن تزدهر و تزود البشر بحياة مادية غنية ومساحات واسعة من الحرية الفردية دون السيطرة المركزية.

وقد ركز كروبوتكين على أهمية الاستقلال الذاتي المحلي للبلدات، ورأى بأنه ينبغي لأيّ بلدة أن تسعى إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي وصنع سلعها، وزراعة طعامها، مما يقلل من اعتمادها على الواردات من الخارج. وتحقيقا لهذه الغاية، دعا إلى استخدام الصوبات الزراعية لتعزيز القدرة المحلية على إنتاج الأغذية.

كتب بيتر كروبوتكين كتاب "الاستيلاء على الخبز" في ثمانينات القرن التاسع عشر وتمت ترجمته للغات الأوربية الرئيسية على بداية القرن العشرين، بلغة سهلة تبسيطية لحد كبير كونه موجه للشعب، وليس دراسة أكاديمية، وهو الأمر الذي ينبغي للقارئ مراعاته، حينما يقرأ الكتاب، فقد تغير العالم كثيرا جدا بعد قرن وربع من نشر الكتاب، وأصبحت بعض المعلومات والإحصائيات الواردة به بلا أهمية، وكثير من أفكار الكتاب فقدت صلاحيتها للتحقق عمليا في ظروف عصرنا، بنفس السيناريو العملي الذي يقترحه للثورة، وتوقعاته لها، والطريقة التي يراها المؤلف لتحقيق الأناركية الشيوعية واقعيا في مدينة واحدة على طراز كوميونة باريس، ولكن تظل الأفكار الأساسية للكتاب، ومنهجه ومبادئه محتفظة بأهميتها الشديدة وقيمتها الكبيرة في حياتنا المعاصرة، بل وتشكل أحد البدائل الممكنة للبربرية التي تهدد البشرية، والدمار الذى سوف يلحق بالحياة على الأرض لو استمرت الأوضاع كما هى دون تغيير.

برهن كروبوتكين في هذا الكتاب بشكل علمي على إمكانية تحقيق الرفاهية للجميع وتوفير كافة الاحتياجات الأساسية والضرورية لكل البشر مجانا مقابل أن يعمل كل القادرين على العمل من سن العشرين لسن الخمسين خمس ساعات في اليوم مستندا على الزيادة الهائلة في الإنتاجية التي وفرتها التكنولوجيا

في زمنه أضعاف النمو في عدد السكان...والهدر الهائل في الموارد الطبيعية والبشرية في الإنتاج والخدمات غير المفيدة وغير الضرورية والضارة...كالإنفاق على التسلح، وعلى ترف الحكام والملاك البرجوازيين، والتحكم في الإنتاج ومنعه حفاظا على الربح، على سبيل المثال لا الحصر. كل هذا مشروط بالطبع بأن يتم التخلي عن النقود كوسيلة للتداول والتوزيع، والثمن لتحديد القيمة، سواء قيمة العمل أو قيمة السلعة أو الخدمة، وحقوق الملكية الخاصة لوسائل الاستهلاك والإنتاج فيما عدا حق الاستعمال، والدولة المركزية، والإنتاج من أجل التبادل والربح، والعمل المأجور، ومبدأ التمثيل السياسي، وتقسيم العمل سواء على مستوى المهنة أو على المستوى العالمي..... إلخ.

بعد أكثر من قرن من تأليف هذا الكتاب الذي لم تسمع به سوى قلة نادرة من البشر... يمكن تأليف كتاب آخر يستنتج نفس الاستنتاجات مع براهين علمية أقوى.

فقد تضاعفت الإنتاجية البشرية بعد هذا القرن مئات المرات، في حين لم يتضاعف عدد السكان سوى 7 أو 8 مرات، وزاد الإهدار غير المفيد وغير الضروري والضار للموارد الطبيعية والبشرية آلاف المرات...مما يجعلنا نستنتج أن توفير الإحتياجات الأساسية والضرورية مجانا لكل البشر سوف يستلزم تقليص أكثر حدة بمراحل في عدد ساعات العمل الضروري الذي ينبغي أن ينفقها البالغون القادرون على العمل لتوفير احتياجاتهم الأساسية.

فالثورة التي يمكن أن يطرحها كروبوتكين وفق معايير عصرنا الأكثر ثراءا لا عصره الأكثر فقرا، يجب أن تسعى إلى أن توفر من أول لحظة كل هذه الحقوق مجانا لكل الناس وفق احتياجاتهم من الميلاد حتى الموت....طعام صحي مشبع.... ماء نظيف لشتى الاستخدامات....ملابس صحية ملائمة لكل الاستخدامات....سكن صحي يضمن الراحة والهدوء والخصوصية.....مصادر نظيفة للطاقة، ومرافق لشتى الاستخدامات.....وسائل مواصلات واتصالات مريحة وسهلة.....علاج ورعاية و وقاية طبية شاملة.....تعليم وثقافة لا تحدهما سوى الكفاءة والرغبة الشخصية...بيئة نظيفة بلا ملوثات....فرص متاحة لممارسة الهوايات المختلفة في العلم والفن والأدب والرياضة. والحقيقة إنه لا يوجد ما يعيق هذا من ناحية الإنتاجية المتوفرة للبشر حاليا.

ما يعوق هذا تحديدا هو تلك القلة الضئيلة من ملاك الثروة والبيروقراطيين، التي تتميز بالجشع والأنانية والجنون والغباء، التي تتحكم في ثروات الكوكب، وتزداد سيطرتها إحكاما على سكانه ماديا وعقليا بمرور الزمن، لصالح تأمين مصالحها ضيقة الأفق بالضد من مصالح الغالبية المحرومة من السلطة و وسائلها.. وبالتالي حرمانها من الرفاهية والحرية. الغالبية التي يتم خداعها وتجهيلها وتغييبها وتضليلها وقمعها ونزع قوتها، والتي غالبا ونظرا لكل ما سبق من قمع وترويض تقاوم بشراسة من يحاول أن ينقذها من غفلتها وجهلها وغيبوبتها، ويدلها للخروج من بؤسها.

يفسر بيتر كروبوتكين فشل كل الثورات في العصر الحديث، بأنها ركزت على تحقيق كل ما بعد الطعام والسكن والملابس من احتياجات إنسانية ملحة، وأهملت توفيرها للناس، فانصرف الجوعى والعرايا والمشردين عن الثورة مرحبين بالثورة المضادة، تاركين الثرثرة للسياسيين والحالمين الشبعى... ومن هنا رأى إن توفير الطعام والملابس والمساكن وغيرها من الاحتياجات الضرورية مجانا للجميع كخطوة افتتاحية ضرورية لنجاح الثورة يأتى بعدها الحديث عن أى شىء آخر، ولذلك سمى كتابه الذي يشرح فيه سيناريو الثورة الناجحة بالاستيلاء على الخبز، يبدأ باسقاط حقوق الملكية الخاصة، ومصادرة وسائل الإنتاج والاستهلاك لصالح الشعب بواسطة الشعب، والبدء في توزيع الاحتياجات مجانا على كل السكان عبر لجان شعبية تطوعية عفوية في كل شارع وحي ومدينة...هذا هو شرط نجاح الثورة الاجتماعية الذي يشرحه الكتاب.

يرى كروبوتكين أن المنطقي والذي يتفق مع العلم أن يبدأ الاقتصاد من الإجابة على السؤال المركزي، وهو ما هيَ احتياجات الناس؟ وكيف نلبيها في ضوء الموارد المتاحة؟. ويرى أن المشكله إن ما يحدث في علم الاقتصاد الزائف الذي يدرس في الجامعات..إن سؤاله المركزي ليس عن الحاجة الإنسانية، وكيف نلبيها بل عن الإنتاج، وعن كيف ننتج؟ ثم البحث عن من يستهلك ما ننتج، وتتوإلى الأزمات بسبب ذلك، أزمات فيض الإنتاج عن الحاجة، وإهدار الموارد الطبيعية والبشرية، أو أزمات الندرة والمجاعة.

وفي الطريق يتم ممارسة أنشطة غير ضرورية لترويج ما ننتج كالإعلانات والترويج والتسويق، ونخلق احتياجات غير ضرورية كيْ نستمر في الإنتاج، ولو على حساب إهدار الموارد الطبيعية والبشرية، ويصبح إهلاك البشر في العمل هدف

في حد ذاته حتى ولو كان يمكن الاستغناء عنه، وحتى ولو كان غير ضروري... المهم أن تدور عجلة الاستهلاك التي تحافظ على عجلة الإنتاج في حالة الدوران المستمر، ويستمر البشر في العمل بلا طائل ولا فائدة.

والحقيقة التي يهملها علم الاقتصاد الزائف إن الإنسان لا يحتاج فعليا إلا ما يستعمله وينتفع به، إلا أن غباء البشر وجشعهم اللاعقلاني هو الذي يجعلهم يقدسون الاستحواز والاقتناء لمجرد الاقتناء والملكية الخاصة لما ليس بقدرتهم استخدامه أو الانتفاع به، والتي لن يأخذوها معهم إلى القبر، وسوف يتصارع عليها أبنائهم، ويفتتوها رغم روابط الدم، ورغم ما يتكلفه المالك نفسه والمجتمع نفسه من موارد وثروات لحماية الملكية الخاصة تفوق قيمتها ومنافعها.

يفند كروبوتكين آراء من يرون إن الأناركية ساذجة وخيالية، ويرون في الوقت نفسه أن قمة الفطنة والواقعية أن ينتخب غالبية الناس شخصا واحدا كيْ يأخذ قرارات تؤثر في حياة ومستقبل ملايين البشر دون أخذ رأي هؤلاء البشر.....باعتباره عين العقل والحكمة والذكاء، وأن تختار الغالبية بضعة أشخاص لتشريع ما يحكمهم من قوانين دون أخذ رأيهم في هذه القوانين التي تؤثر في حياتهم..... ويرى أن البشرية لن تحتاج في ظل الأناركية الشيوعية أى ديمقراطية من أى نوع ...و لن تحتاج لأيّ استبداد من فرد أو من جماعة حتى ولو من عباقرة البشر وأنقياءهم....ولأن لكل نظام اقتصادي اجتماعي نظام سياسي يتوائم معه، ففي ظل الأناركية الشيوعية لابد وأن ينتظم الناس اجتماعيا وفق اتفاقات وتعاقدات جماعية حرة توافقية بين الأفراد في جماعاتهم التعاونية، وبين جماعاتهم التعاونية الصغيرة في اتحاداتها التعاونية، لتلبية المصالح المشتركة...تتحد وتنفصل وتتعاون وتنسق فيما بينها عبر مندوبين للتفاوض ملزمين في نفس الوقت بإرادة من فوضوهم، ولا يحق لهم الانفراد بأخذ أيّ قرارات دون الرجوع لمن فوضوهم، القادرين على سحب التفويض منهم في أيّ لحظة،.... هذا هو النظام السياسي الذي يقترحه كروبوتكين بعد إلغاء الملكية الخاصة.

يرى كروبوتكين أن حق الملكية الخاصة ليس مقدسا، ولا الحق في العمل هو الحق الذي ينبغي على العمال المطالبة به، بل ما ينبغي أن يطالبوا به هو حق الحياة والرفاهية والعيش بكرامة لكل فرد باعتباره الأولى بالرعاية والقداسة بدلا من التسول والعيش على الإحسان، وبدلا من الإضطرار لبيع قوة العمل والحرية والكرامة مقابل أجر.

كانت الخطوة الأولى لكل الثورات البرجوازية هيَ إسقاط كل الحقوق الاقطاعية واعتبارها كأن لم تكن، وإزالة الحماية والمشروعية عنها بدءا من الريع والإيجار وحتى حق الليلة الأولى، وأعلنت حقوقا جديدة هيَ الحقوق البرجوازية المعلنة في سلاسل إعلانات حقوق وحريات الإنسان والمواطن، بدءا من الثورة الفرنسية وحتى الإعلان العالمي الصادر عن الأمم المتحدة...على اعتبار إن الإنسان هو البرجوازي تحديدا الذي يخدعونا بأنه الإنسان المجرد من وضعه الطبقي...ولا شك إن أيّ ثورة سوف تتجاوز الرأسمالية، لابد وأن تكون خطوتها الأولى إسقاط كل الحقوق البرجوازية، واعتبارها كأن لم تكن وأن تزيل عنها الحماية والمشروعية ... فما هيَ تلك الحقوق البرجوازية المتضمنة في إعلانات حقوق الإنسان؟ حتى لانخلطها بحقوق أخرى موجودة في تلك النصوص والمواثيق والإعلانات....إنها بجانب حقوق أخرى تتعلق بحقوق التمثيل السياسي، وحقوق العمل المأجور، حقوق الملكية الخاصة...التي تتضمن حقوق التصرف، وهي الإدارة والبيع والشراء والرهن والوصية والوقف والهبة والتوريث والاهلاك، وحقوق الاستغلال وهي الفائدة على الأموال، والريع على العقارات، والأرباح من التدوال، واستخدام العمل المأجور والجبري....حتى يظل الحق الإنساني الوحيد للأفراد والجماعات هو حق الاستخدام والانتفاع بجانب الحق في الرفاهية للجميع.

ينتقد كروبوتكين السياسيين لاهتمامهم بقضايا التحول الديمقراطي والحقوق والحريات المدنية والسياسية أيْ بالكلام الذي لا يشبع جوعا، والثرثرة التي لا تستر بدنا في المقام الأول، لأنها تتيح لهم فرصة التنافس السلمي على السلطة، ولذلك يصنعون ثورة سياسية،.... في حين يهتم الشعب الثائر المحروم من غير محترفي السياسة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أيْ بالخبز في المقام الأول لأنه شرط أولي بالنسبة لهم كيْ يصبحوا أحرارا بالفعل فبدونه يعرفون الجوع، ومن ثم العبودية والفقر، ولذلك لا يريدون سوى ثورة اجتماعية، ولا تعنيهم إلا الثورة الاجتماعية.

في النهاية لي بعض الملاحظات النقدية على الكتاب التي أود تسجيلها، وفضلت أن تكون في أخر الكتاب، كيْ لا أصادر على حق القارئ عند قراءة الكتاب، وخصوصا إنه نقل لأول مرة للعربية.

* من الجدير بالذكر أني متفق مع معظم ما يطرحه المؤلف من أفكار أساسية وأراها الحل العقلاني الضروري الذي يجب أن تتبناه البشرية فورا كيْ تتخلص من أمراضها و انحطاطها و توحشها، ولكن ليس كل ما يتمناه الإنسان يدركه.

* هناك ملاحظة كتبها عادل العمري هيَ: "توجد أفكار أشتراكية غريبة منها التي تقول ان العالم الآن (ومنذ القرن 19) أصبح ينتج ما يكفي احتياجات كل البشر!!!.أنا أعتبر هذه مجرد نكتة لأن العالم دائما وأبدا باستثناء فترات الكوارث الطبيعية كان ينتج ما يكفي احتياجات كل البشر في هذا الوقت أو ذاك بل كان دائما ينتج فائضا بدليل النمو المستمر في نسبة الفئات غير المنتجة للمنتجات المادية:القائمين بالعمل الذهني، والذين كانوا دائما يحصلون على احتياجاتهم. الفكرة الأغرب هيَ القائلة بأن للبشر احتياجات ضرورية محددة، فالاحتياجات البشرية الضرورية تتزايد باستمرار، ويجد الناس أنفسهم مدفوعين للتطور، وزيادة الإنتاج لتلبية هذا التزايد. الفكرة الغريبة الثالثة هيَ حكاية أن المبدد من الإنتاج حاليا أو في عصر الرأسمالية يكفي لسد حاجة الفقراء، فهذه الظاهرة قديمة جدا وبدأت منذ فجر التاريخ، فكانت هناك دائما مصروفات عسكرية وأمنية خصوصا مع نشوء الدولة، وتبديد لقوة العمل في إنتاج أشياء تافهة مثل الأهرامات كمثال، ناهيك عما كانت تخربه الحروب والصراعات الاجتماعية".

ومعنى هذ الكلام هو نسف منطقية وعلمية تطور المجتمعات، وتسلسل مراحله وفق تطور قوى الإنتاج حسب الرؤية الماركسية، وأن الشيوعية كانت ومازالت ولا تزال إمكانية واقعية كامنة في الواقع، تعوقها فقط مصالح وقوى اجتماعية معادية، ويعوقها الوعي الاجتماعي الذي لا يتصورها، ولا يرى إمكانيتها، ولا يتحمس لها بشكل كافٍ، إمكانية غير مشروطة لا بوفرة في الإنتاج، ولا بمستوى معين لتطور قوى الإنتاج، ولا بالقضاء على الندرة المفتعلة غالبا، ولا بزيادة الإنتاجية. كما يستند إليها كروبوتكين في الفصل الأول "ثرواتنا". والدليل الأهم أن الشيوعية الأناركية في شكلها البدائي ميزت المجتمعات البشرية في العصور الحجرية حين كان الإنتاج بلا فائض، والإنتاجية ضعيفة من اليد للفم، وإن الانقلاب الطبقي والسلطوي في حياة البشر، حدث بمجرد تزايد القدرة الإنتاجية، ونشوء الفائض التي استولت عليه القلة حارمة الغالبية منه، وليس أبدا بسبب ضعف القدرة الإنتاجية.

لا أعتقد أن نزعات التفرد والتميز والتنافس والهيمنة والتراتبية والأنانية والفردية والعنصرية هيَ المشكلة الوحيدة التي تقف حجر عثرة في طريق تحقق الشيوعية الأناركية واقعيا...المشكلة الأخطر إن البشر مهما بلغ ذكاؤهم وثقافتهم وتعلمهم في الغالب الأعم كائنات لاعقلانية لأنهم محكومون ومدفعون بغرائزهم وعواطفهم الحيوانية الأقوى من عقولهم البشرية، والذي يستطيع أيّ دجال أن يسحبهم منها كما تسحب الأبقار من رقابها لمصيرها المحتوم إلى مذبح الجزار ...ليدوسوا في طريقهم كل ما يملكونه من ذكاء وثقافة ومعرفة وحكمة... وهكذا انجر البشر طوال التاريخ البشري وراء كل أنواع الدجالين... من الساسة والعسكر ورجال الدين والإعلاميين والفنانين والأدباء والكتاب ..... الذين سحبوهم من بين أفخاذهم، أو من بطونهم الجائعة، وعقولهم الفارغة، وعواطفهم الساذجة، وأوهامهم العبيطة.

- في الحقيقة أشعر بالصدمة في حسن الظن الشديد للمؤلف بالبشر عموما، وفي ثقته المطلقة في عفويتهم، ووعيهم الغريزي، ونوعية طموحاتهم، متناسيا أن السلطويين والحكومات التي تعبر عنهم صرفوا التريليونات من الدولارات من أجل أن يشكلوا البشر على هذا المستوى من الخلل العقلي، والمرض النفسي، والانحطاط والتفاهة والفساد والجهل والغباء والأنانية والجلافة، وعبر ما تملكه من مؤسسات الإعلام والتعليم الرسمي ومؤسسات الدين وفنون الجماهير..فضلا عن المسابقات الرياضية وألعاب التسلية وهلم جرا .... وتفاقمت قدرتهم وازداد تأثيرهم في القرن الأخير بالراديو والتليفزيون والسينما .... وهو ما أدى في النهاية لهيمنة ساحقة ماحقة لكل ما هو ضد حق البشر في الحرية والمساواة والرفاهية...صنعت الحكومات والسلطات بكل تلك الوسائل كائنات مشوهة على شاكلتها ومثالها ....صنعت بشرية رجعية محافظة عنصرية لا تشعر ببؤسها، ولا يمكنها تحرير نفسها، معنى ذلك أن الحل الأقرب للواقعية ليس في عملية جراحية ثورية تعتمد على عفوية الناس، لكن في مضادات حيوية تدريجية يتم غرسها بدأب وانتظام في المجتمع، تعتمد على تنظيم الناس حول مصالحهم لمقاومة تأثير الأمراض التي أصابت بها السلطة عبيدها لشفائهم منها.

- تصطـدم أفـكار الكتـاب مـع المفاهيـم والقيـم والثقافـة السـائدة بحدة...حيـث يهتـك الكتـاب بقـوة مقدسـات اجتماعيـة للغالبيـة السـاحقة مـن النـاس المتمسـكة بهـا بعنـف أكـثر مـن الدين....عـلى رأسـها الملكيـة الخاصـة وحقوقهـا.... والنقـود والأسـعار والعمـل المأجور....والدولـة والديمقراطيـة التمثيليـة ..... وتقسـيم العمـل في المهنـة الواحـدة وتقسـيم العمـل عـلى المسـتوى الـدولي والإنتـاج والعمـل مـن أجـل الربـح. ويطـرح بدائـل معاكسـة لـكل هـذا تمامـا يـرى إمكانيـة تحققهـا بـالإرادة الحـرة للجماهـير الفاقـدة أصـلا لـلإرادة الحـرة، ووعيهـا وتنظيمهـا العفويـان، دون حتـى عمـل حسـاب المقاومـة العنيفـة لمـن تهـددت مصالحهـم الأنانيـة مـن رأسـماليين وحـكام حتـى ولـو رأيناهـا لاعقلانيـة وغبيـة، وهـي كذلـك بالفعـل، لكـن منـذ متـى كانـت دوافـع النـاس عقلانيـة وذكيـة، ودون عمل حسـاب لمـا لديهـم مـن إمكانيـات قمـع وسـحق أى تمـرد عليهـم، في ضـوء ضعـف إمكانيات المتمردين عليهـم، وهنـا مكمـن الصعوبـة الشـديدة في تحقـق هـذه الأفـكار عـلى أرض الواقـع، وقبـول النـاس بهـا، ونضالهـم مـن أجلهـا، وسـعيهم لتحقيقهـا بالطريقـة التـي يطرحهـا الكتـاب... ليـس لأنهـا لا عقلانيـة لكـن عـلى العكـس لأنهـا تخاطـب كائنـات غـير عقلانيـة في الأصـل، وهـي لا تعـبر عـن أحلامهـم في الحقيقـة.... ربمـا أكـون متشـائما أو مخطئـا، لكنـي لا أحـب أن أفكـر بالتمنـي.

- بالطبـع اتفـق مـع كروبوتكـين في رفـض الوسـائل القمعيـة الـذي اسـتخدمها أتبـاع اشـتراكية الدولـة التـي سـقطت بسـبب الطابـع الاسـتبدادي لنظامهـم، وبالطبـع لا يمكـن فـرض رؤيتنـا عـلى مـن يرفضونهـا جـبرا، ومـن ثـم يجـب اتبـاع طـرق أخـرى تضمـن قبولهـم بهـا تدريجيـا، تعتمـد عـلى دوافـع النـاس ومصالحهـم واحتياجاتهـم، وتعتمـد عـلى التقديـم العمـلي لنمـوذج أكـثر نجاحـا في تلبيـة مصالحهـم واحتياجاتهـم، مـما يوفـر إمكانيـة تغيـير مواقفهـم مـن الحيـاة تدريجيـا، وتنازلهـم عـن أفكارهـم الرجعيـة لصالـح الأفـكار التقدميـة، وزوال قناعتهـم القديمـة، واسـتبدالها بقناعـات جديـدة، وعـبر الزمـن الـذي لا يحـدث التطـور إلا عـبره، وعـبر التراكـم التدريجـي الـذي يحـدث التغـير النوعـي. إنهـا جوهـر فكـرة الدعايـة بالأعـمال، فوفقـا لمـا قالـه كروبوتكـين نفسـه، في سـياق مختلـف في مجلـة لـو ريفولـت (الثـوري):إنَّ "هيـكلا بنـيَ عـلى مـدى قـرون مـن التاريـخ لا يمكـن تدمـيره مـع بضعـة كيلوجرامـات مـن الديناميـت".

- عـرف البـشر العبوديـة الكاملـة والقنانـة والعمـل الجـبري والسـخرة لمـدة 8 آلاف سـنة، وكانـوا غالبـا في معـظ الأوقـات مستسـلمين لهـذا الوضـع طالما كانـوا يضمنون البقـاء عـلى قيـد الحيـاة، ولا يوجـد مـا يهـدد هـذا البقـاء مبـاشرة، بـل كانـوا يرونـه نظامـا طبيعيـا للحيـاة، وكانـت أقـصى أمـاني العبيـد والأقنـان تحسـين شروطـه في سـيد طيـب القلـب يحسـن معاملتهـم، إلى أن تـم اخـتراع الآلـة البخاريـة، ومـا نتـج عنهـا مـن الإنتـاج الآلي، واكتشـاف قانـون حفـظ وبقـاء الطاقـة (الطاقـة لا تفنـى ولا تسـتحدث مـن عـدم ويمكـن تحويـل شـكل مـن أشـكالها لشـكل آخر)،الـذي أثبـت إمكانيـة تحويـل الطاقـة الحراريـة لعمـل، خفـف مـن العمـل البـشري الشـاق، وسـلم البـشر لنـوع أخـف شـكليا وظاهريـا مـن العبوديـة الكاملـة هـو العمـل المأجـور، ومنـذ اللحظـة التـي تـم تسـييد العمـل المأجـور فيهـا، فـإن غالبيـة البـشر استسـلموا لهـذا النـوع مـن العبوديـة، وأصبحـوا رافضـين للأشـكال الأقـدم منهـا، وأصبـح أقـصى طموحهـم هـو تحسـين شروط وظـروف العبوديـة المأجـورة بيسـارهم ويمينهـم، مطالبـين بأجـر عـادل، وبثمـن عـادل، وحاكـم عـادل، وبدولـة عادلـة، رغـم أنـه لا يمكـن أن يكـون هنـاك أيّ عـدل في كل ذلـك، لأنهـا كلهـا أدوات اسـتعباد وقهـر وظلـم واسـتغلال في حـد ذاتهـا ... والعـدل ليـس واردا أن يتحقـق أصـلا إلا باختفـاء الأجـر والثمـن والحاكـم والدولـة ...وبرغـم ذلـك سـوف تجـد أن معظـم النـاس تبررهـا وتعتبرهـا نظـما طبيعيـة، وتدافـع عنهـا...و هـذا عـلى خـلاف تـام لمـا يطرحـه الكاتـب مـن ضرورة إلغـاء العمـل المأجـور في إطـار إلغـاء النقـود، وإلغـاء تحديـد ثمـن السـلعة والخدمـة بمـا فيهـا سـلعة العمـل الـذي لا أظـن إنهـا كانـت أبـدا مطالـب ملايـين العـمال المأجوريـن في يـوم مـن الأيـام، وإن كانـت تحقـق تحررهـم مـن العبوديـة، وفي الحقيقـة هـيَ أحـلام القلـة مـن الحالمـين بتحررهـم فقـط.

- هنـاك أسـاس اجتماعـي لعـدم شـعبية مبـدأ إلغـاء الملكيـة الخاصـة علينـا أن لا نغفلـه ..... فمـن خمـس سـنوات كان هنـاك 375 شـخص يملكـون مـن الـثروات مـا يملكـه النصـف الأفقـر مـن سـكان الأرض، أصبحـوا الان 62 شـخصا. كـما أن 131 ألـف شـخص يملكـون 94 بالمئـة مـن ثـروات الأرض تاركـين سـتة بالمئـة لباقـي السـكان. فعجلـة التنافـس الرأسـمالي تركـز الملكيـة، ومـن ثـم السـلطة في أيـدي أقليـة تتضـاءل بسرعـة واسـتمرار، وتـترك للبعـض الـذي يتزايـد حجمـه بمـرور الوقـت الفتـات مـن الـثروة والسـلطة، في صـور ملكيـات صغـيرة وقزميـة سـواء

للاستعمال أو الاستثمار، وهؤلاء تحديدا يشكلون حائط صد جماهيري هائل يتبنى بحماس الدفاع عن الملكية الخاصة، وعن حقوقها بشراسة، ويظل صغار الملاك يحلمون بنمو ملكياتهم الخاصة لتصبح أكبر لتنقلهم لمصاف السادة في يوم من الأيام، ومن ثم ليسوا على استعداد للتخلي عنها، ولا لسماع من يدعون للتخلي عنها، في حين يظل البعض من البشر محرومين من الملكية والسلطة. والحقيقة التي ينبغي أن نعترف بها أن استمرار النظام ليس مسئولية السادة فقط، هم يعرفون مصالحهم الأنانية، ويدافعون عنها، لكنه مسئولية العبيد المنسحقين والمحرومين أيضا، فالقمع ليس مبررا للخنوع، والحقيقة إنه ما كان يمكن لتلك الأقلية الضئيلة أن تحتكر الثروة والسلطة لنفسها حارمة كل تلك الغالبية الساحقة مسببة سقوطها في العبودية، لولا أن تلك الغالبية تدعم هذا النظام بقوة، وتتوحد مع مصالح السادة لا مصالحها، وتتواطأ معهم ضد حريتها وسعادتها واستقلالها الذاتي، وتدافع عنهم بقوة. والحقيقة أنها ترضى بالعظام والفتات إن كانت تملكه، وتحلم بالعظام والفتات إن لم تكن تملكه، تاركة اللحم والشحم لسادتها.. وكل ما تتمناه هو مزيدا من العظام والفتات لا أكثر.. يتم التواطؤ بالصمت، وبالسلبية، وبالهروب للأوهام، وبالحلم الخائب للانتقال لمصاف الأسياد، و بطلب الإصلاحات والإحسان، و بالدفاع عن حق الملكية الخاصة و قدسيتها وهو سر عبوديتها، ذلك الحق المحرومين منه بالفعل، أو حتى لو كانوا يملكون منه القدر الضئيل.

- افتراض أن العالم بأكمله سينتقل إلى اقتصاد مختلف وعقلاني عبر خيار واعٍ سيقوم به الناس، أمر شبه مستحيل، و حتى غير واقعي، نظراً لوزن مختلف القوى المستفيدة من الأمر الواقع والتي من مصلحتها الحفاظ عليه - حتى أن موجة بحجم الموجة الشيوعية ودولة بحجم الاتحاد السوفياتي لم تستطع فرض رؤيتها الاقتصادية، وبغض النظر عن مساوئ تلك التجربة إلا أنها تشير بوضوح إلى أن تحقيق انتقال جماعي كامل للكوكب إلى اقتصاد جديد هو طلب غير واقعي. كما أن هذا الفشل المدوي، ونتائجه الكارثية أفقد الاشتراكية والشيوعية الجاذبية الجماهيرية، فلم تسقط اشتراكية الدولة البيرقراطية، للتحول للأناركية الشيوعية بعد التخلص من الجوانب البيروقراطية والسلطوية والبرجوازية والفاسدة فيها، لكنها ارتدت بسهولة لرأسمالية متوحشة مافياوية، و ديمقراطية تمثيلية، و أحيانا سلطوية، وأحيانا

أخرى فاشية قومية، وترك الشعب ملكيته العامة التي صنعتها أجيال من آبائه وأجداده بتضحيات أسطورية، وبثمن فادح، تضيع من بين يديه بسهولة، وأحيانا وسط الترحيب وصرخات الفرح البلهاء، وبتأثير سحر إعلانات الكوكاكولا والجينز وماكدونالدز، وبلا مقاومة تذكر، لتتحول لملكية خاصة لحفنة من اللصوص. وتحولت التعاونيات لشركات رأسمالية بعد أن باع الناس أسهمهم مقابل صناديق الفودكا، وليسقطوا هم في الحرمان من الحقوق التي كانت تمنحها لهم الدولة، أما في الصين وتحت اشراف الحزب الشيوعي فقد فتحت الأبواب للاستثمارات الرأسمالية، لتعيد قصة الثورة الصناعية المريرة بكل مآسيها التي ذاقتها الطبقة العاملة الانجليزية.

- فى الحقيقة موضوع تحقيق قدر كبير من الاكتفاء الذاتى ضرورى لضمان الاستقلالية والحرية، و لكنه وإن كان ممكنا في الماضى البعيد، أصبح مستحيلا في الوقت الحاضر، فضلا عن إنه لابد له من شرطين موضوعيين أولهما توافر موارد هائلة، وكان هذا موجود بالصين والاتحاد السوفيتى على حد سواء، و الشرط الثانى هو توافر تكنولوجيا بديلة متطورة، وذات إنتاجية عالية، و هذا يتطلب قاعدة علمية وفنية متقدمة، كانت متوفرة أكثر فى الاتحاد السوفيتى من الصين، ولكن الاكتفاء الذاتى نفسه لا يمكن تحقيقه كاملا لسبب آخر هو أن هناك موارد مركزة بقوة فى بلد أو اثنين في العالم، فمثلا النيكل والكروم مركزان بنسبة85% فى جنوب أفريقيا، وهو معدن مهم فى صناعة الآلات، وبالطبع كلا من الصين والاتحاد السوفيتى كانا يمكنهما وفقا لمواردهما الهائلة تجنب المجاعات، وحرمان السكان من السلع الضرورية، لكن البيروقراطية الحاكمة ما كانت لتهتم بذلك، وكانت توجه الموارد فى سباق التسلح، وغزو الفضاء، ونفقات الحرب الباردة، وأمنها، ورفاهيتها، وأخيرا والأهم ...أنا لا يعنينى الشعارات المعلنة والنوايا الى كانت تعلنها الدعاية الشيوعية، يعنينى حقيقة مهمة أنه بعد مرحلة الرأسمالية التنافسية فى القرن19، تطورت الرأسمالية فى العالم للمرحلة الاحتكارية للقرن العشرين، والتى شهدت أشكال مختلفة ومتنوعة من تدخل الدولة المباشر فى الإنتاج والخدمات، والسياسات الحمائية، ومكاسب هائلة للطبقة العاملة، وتحسين أوضاعها إلى حد إدماجها بكل منظماتها فى صلب النظام والدولة سواء فى الشرق الشيوعى، أو الغرب الاشتراكى الديمقراطى، أو الرأسماليات البيروقراطية فى العالم الثالث، لكن الإنتاج

والخدمـات زادت إندماجـا وتشـابكا مـع الرأسـمالية الكوكبيـة في القـرن الواحـد والعشريـن، وتفككـت كل أشـكال دولنـة الإنتـاج، بحملـة خصصة وتحريـر اقتصادى قادتهـا تاتـشر وريجـان، وتبعهـما الجميـع، وانهـارت السياسـات الحمائيـة للإنتـاج القومـى، باتفاقيـات الجـات، وتـم سـحب المكاسـب مـن الطبقـة العاملـة، لانتهـاء أسـباب سـماح الرأسـمالية لمنحهـا تلـك المزايـا، وأصبـح مـن غـير الممكـن العـودة للوضـع السـابق فى القـرن 21، وأصبح الإندماج الاقتصادى فى السـوق العالمى ضرورة ملحـة، و لا شـك إن محـاولات الإكتفـاء الـذاتى و الانعـزال عـن السـوق العالمـى، سـوف يكـون ثمنهـا فـادح، ولا معنـى لـه، وكوريا الشـمالية ربما اسـتمرت لـكى تكون درسـا وعـبرة، فهنـاك مجاعـات، وعبوديـة معممـة للزعيـم الوطنـى المبجـل سـليل آل كيـم، وجيـش مـن أقـوى جيـوش العـالم، فليهنـأوا بجيشـهم فـلا خبـز ولا حريـة. تأمـل كل جوانـب الموضـوع، وتأمـل أن التطـور الرأسـمالى عـبر الخمـس قـرون الماضيـة، مـا كان ليتـم دون مئـات الملايـين مـن الضحايـا ليـس فقـط فى الحـروب التـى تـم خوضهـا، لكـن لتوحيـد الأسـواق الرأسـمالية القوميـة، والتراكـم الأولى لرأسـالمال، و والتوسـع الاسـتعمارى، وإدمـاج الجميـع قـسرا فى السـوق الرأسـمالى، والاسـتغلال البشـع للطبقـات العاملـة، ونهـب الـثروات، وتجـارة العبيـد، والحـروب العالميـة وغـير العالميـة، وهنـاك كتـاب اسـمه الكتـاب الأسـود للرأسـمالية، وكتـاب الطبقـة العاملـة فى انجلـترا، وغيرهـما يشرحـان كل ذلـك تفصيـلا. فالمحرومـون مـن السـلطة دائمـا مـا كانـوا ضحايـا السـلطويين سـواء مالـوا يمينـا أو يسـارا، فكـما توجـد فاشـية يمينيـة توجـد فاشـية يسـارية تعـبر عـن الطبقـات الحاكمـة أو الطامحـة في الحكـم.

- المتمسـكون بأننـا فى بلـد كمـصر يمكـن أن نحقـق الأناركيـة كاملـة، يجـب أن يقدمـوا حلـولا عمليـة ممكنـة لأربـع معوقـات أساسـية، أولهـا إمكانيـة تحقيـق الاكتفـاء الـذاتى للكوميونـات والتعاونيـات واتحاديتهـا فى الحـد الأدنى ، و لمـصر فى الحـد الأقـصى باعتبارهـا اتحـاد تعـاونى كـشرط أسـاسى للتحـرر وهـو مـا يسـتلزم تكنولوجيـا ومـوارد غـير متوفـرة الآن، ثانيهـا حـل مشـكلة الدفـاع أمـام جيـوش نظاميـة معاديـة تسـتخدم الهرميـة والسـلطوية و الانضبـاط والطاعـة العميـاء فضلا عـن التجهيـزات المعقـدة فى التسـليح والتدريـب، ثالثهـا حـل مشـكلة الترابـط العضـوى للإنتـاج عـبر العـالم كلـه، و كيـف سـوف نوفـر كامـل احتياجتنـا، و نحـن نسـتورد معظمهـا مـن الخـارج، ومـا ننتجـه بالداخـل مرتبـط إنتاجـه عضويـا بمـا

ينتج في الخارج،رابعا كيف سوف ننتظم في مجتمع منتج تعاوني يحقق كل احتياجاته الاستعمالية ومعظم سكانه مهمشون و متطفلون على الإنتاج و المنتجين، وكيف نحول هؤلاء المهمشين و المتطفلين لمنتجين, الواقع معقد جدا, والحلم سهل وجميل، و بلا شك علينا أن نسعى لتحقيقه بخطوات جزئية، وأهداف مرحلية، لا أن نجلس ونحلم فقط بإما الكل الآن أو الجلوس في صمت.

- هناك أسباب موضوعية أيضا تعوق تحقق ما يطرحه الكتاب عمليا، وهو إنتفاضة ثورية مسلحة على مستوى مدينة كبرى كباريس عبر ثورة على طراز ثورات القرون الثامن والتاسع عشر والعشرين، برغم الطبيعة العالمية للرأسمالية التي لا تسمح بتجاوزها إلّا عالميا، والمقاومة الدولية الخارجية للثورة الوليدة الذي قد يصل لغزوها بالسلاح كما حدث بالفعل تاريخيا، وصعوبة تحقيق الاكتفاء الذاتي محليا فورا، حتى ولو في دولة في ثراء الولايات المتحدة أو روسيا، في ظل الظروف الإنتاجية المعاصرة، وتنامي تسليح الجيوش، وقوات الشرطة بما لا يمكن معه هزيمتهما عسكريا بقوة عسكرية أبسط تسليحا منهما بمراحل، ولا يمكن أنْ تملك ما يملكوه من أسلحة، حتى أصبح لا يمكن للجماهير البسيطة التسلح الآن اقتحام الباستيل ولا قصر الشتاء، كما فعلوها في الثورتين الفرنسية والروسية، فالطائرات جاهزة لدكها فوق رؤوسهم لو احتلوها، وأخيرا التطور اللامتكافئ بين البلدان المختلفة، مما يصعب من عملية توحد كل شعوبها ضد كل حاكميها.

أعتقد إن الطريق العملي لتحقق الأناركية الشيوعية يمكن أن يكون بطريقة مختلفة، تدريجية وتطورية وتحررية في نفس الوقت، تتم من الأسفل الاقتصادي الاجتماعي الثقافي لا الأعلى السياسي، تستند إلى أسلوب النمل الأبيض في قطم تدريجي دؤوب لأساسات السلطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية سواء للدولة أو الرأسمالية، والسلطوية في مجمل العلاقات الاجتماعية، حتى تنهار في النهاية، طالما لا نستطيع ببنادقنا هدمها مرة واحدة، وبحيث لا نضطر لخيانة جوهر الأناركية التحرري لفرض رؤيتنا قسريا، هذا لو استطعنا.

نبدأ من حقيقة الفرق بين الملكية التعاونية والملكية الخاصة وملكية الدولة، والفرق بين الجمعية التعاونية والشركة التجارية والمؤسسة الحكومية... والفرق

بين طبيعة السهم والحصة في الشركة المدنية والتجارية وبين طبيعة السهم في التعاونية... والفرق بين توزيع العائد في الشركة الرأسمالية والمؤسسة الحكومية وتوزيع العائد في التعاونية.

يمكنك بالطبع أن تعترض مثل كروبوتكين على فائدة السهم الإسمي ثابت القيمة الممنوع تداوله في التعاونية برغم كونها جوازية و محدودة و مشروطة بتحقيق العائد و بموافقة الأعضاء، والتي لا تعطي سلطة مميزة لحاملي الأسهم حيث صوت واحد لكل عضو مهما بلغت قيمة أسهمه.. لكن يمكن ببساطة أن تؤسس تعاونيات لا يتم توزيع أيّ فوائد على أسهمها وهي موجودة بالفعل، وبالتالي تحويل الملكية الخاصة للمساهمة الاقتصادية لملكية تعاونية، وتقليص الملكيات الخاصة تدريجيا وطوعيا بادماجها في التعاونيات لتصبح ملكية تعاونية.

يمكنك أن تدفع بالاعتراض الشيوعي على توزيع العائد على المعاملات أيْ العائد على العمل في حالة إنتاج السلعة أو الخدمة أو على الاستهلاك في حالة استهلاك السلعة أو الخدمة باعتباره استمرار تحديد الثمن للعمل المأجور والسلعة والخدمة، وتبدي إنكارك لإمكانية تقدير قيمة العمل والسلعة والخدمة بالثمن، والحقيقة أنه لا يوجد اعتراض مبدئي أساسا على التوزيع المجانى وفق الحاجة... لكن لابد وأن يكون الاتفاق عليه وفق إرادة أعضاء التعاونية الحرة...وخصوصا أنه سوف يصبح صعب تحقيقه حتى لو أرادوا، لو كان لا يوجد من العائد أو السلع والخدمات ما يكفي كل احتياجات الأعضاء، فسوف يلجأون لتوزيعه وفق الحصص، فلكي يحققوا التوزيع حسب الحاجة، فلابد وأن تكون تعاونيتهم عضوة في اتحاد تعاوني كبير وغنى ومتنوع المجالات ومتعدد الأنشطة بما يكفى بحيث يمكن أن ينتج أو يوفر السلع والخدمات لكل أعضائه مجانا، وهذه مرحلة متقدمة جدا يدعمها مبدأ التعاون بين التعاونيات.

طبعا سوف يكون لك كل الحق في الاعتراض على تشغيل غير الأعضاء كعاملين بأجر في التعاونية، والبيع لغير الأعضاء، ولكن مبدأ باب العضوية المفتوحة يمنع العمل المأجور أو خدمة غير الأعضاء حيث يسهل اكتساب العضوية لمن يريد منتجا أو مستهلكا.

إذن فالمستقبل الذي ينبغي أن نناضل من أجله ليس هو الدولة المركزية التدخلية المالكة لوسائل الإنتاج، وليس دولة الرعاية الخيرية، وليس البلدة

المستقلة ذاتيا التي لا يمكن أن تحافظ على استقلالها في عالم يزداد اندماجا واعتمادية متبادلة....ولكن اتحاد تعاوني حر بين اتحادات تعاونية حرة قائمة على التوافق الحر، والتعاقد الحر، وقوية بما يكفي كيْ تلبي احتياجات أعضائها من السلع والخدمات مجانا، وهو ما يمكن تحققه ليس عن طريق ثورة يسهل قمعها وغزوها وانحرافها، ولكن من باطن المجتمع وبهدوء لا يستدعي قمعا، وبدون ضجيج يلفت الانتباه حتى يشتد ساعدها.

تجد بدايات هذه الاتحادات التعاونية الجنينية الأشهر في العالم في العالم الواقعي، وليس في الخيال.... في اتحاد موندراجون التعاوني في أسبانيا، واتحاد سوسيسولا التعاوني في فنزويلا على سبيل المثال...حتى ولو لم تكن نموذجية تماما، وحتى ولو لحقها بعض التشوه نتيجة علاقاتها بالسوق الرأسمالي، ونتيجة تدخل الدولة المهيمنة، وحتى و لو لم تستطع الاستقلال الكامل عن السوق الرأسمالي، ولا التحرر الكامل من هيمنة الدولة حتى الآن... ولم تحقق القدرة على توفير كل السلع والخدمات لأعضائها حتى الآن، فالتطور والنضال من أجل استقلالها وتحررها ونجاحها و قوتها يمكن أن يحقق ذلك....ما نحتاجه فقط أن نستطيع تأسيس آلاف الاتحادات التعاونية الحرة المستقلة مثلها، وبشرط أن تتخلص من تشوهاتها البيروقراطية والرأسمالية، وخصوصا إن عملقتها الحالية بدأت من تعاونيات متواضعة للغاية نشأت، وللغرابة في ظل فاشيات قومية، وليس في ظل أنظمة ليبرالية عريقة، ونمت بمرور الوقت لتصبح اتحادات تعاونية عملاقة.

يمكن طبعا أن تتأسس التعاونيات على أسس توافقية قائمة على التعاقد الحر، ولا تتبنى التدرج الإداري الهرمي، ولا مبدأ التمثيل الإداري، بل تقوم على تنظيم شبكي أفقي مثل اتحاد سوسيسولا...على عكس اتحاد موندراجون القائم على ديمقراطية الأغلبية والتدرج الهرمي ومبدأ التمثيل.

مع الانتباه إلى أن تبني التعاونيات لتكنولوجيا أكثر تطورا وإنتاجية، وأكثر حفاظا على الموارد والبيئة هو شرط تطورها ونجاحها وانتصارها على الرأسمالية والدولة، في النهاية.

في ضوء أن اقتصاد التعاونيات في العالم يساوي تاسع اقتصاد في العالم أيْ اقتصاد البرازيل تقريبا وأعلى من الاقتصاد الروسي.....هل يمكن أن يتكون اتحاد تعاوني عملاق على نطاق محلي أو إقليمي أو عالمي يوفر كل السلع والخدمات لكل

أعضائه مجانا مقابل عملهم ومساهمتهم فيه....أيْ يحقق استقلالية نسبية عن السوق الرأسمالي والحكومات..كيْ يصبح نموذج ومثال ناجح يثبت صحة أفكارنا.. طبعا الموضوع يحتاج دراسة علمية دقيقة قبل البت فيه .. لكن لما لا مبدأيا، وما الصعوبات التي تحول دون تحققه؟ وكيف يمكن تجاوزها؟ هذه هيَ الأسئلة التي ينبغي أن نسعى لإجابتها على النحو الصحيح.

التعاونيات كائنات بينية، حلقات في التطور الاجتماعي، لا هيَ رأسمالية ولا هيَ شيوعية، هيَ مرحلة تطور متاحة في أطار تطوير تدريجي للمجتمع ليس ثوري وليس جذري، وليس متطابق مع رؤيتنا النهائية للعالم، لكنه خطوة ضرورية جدا نحوه ، طالما العالم ليس مهيئا بعد كيْ يتغير بالضربة القاضية الفنية ... ولابد أن نشجعه وندعمه وندعو الناس إليه لحل مشاكلهم الراهنة، إلى أن تتغير الظروف لتغيير جذري وثوري لم يأت أوانه بعد، بحيث يمكن أن يكون لحديثنا أن يحوز الشعبية المطلوبة في سياق ثورة بطبيعتها لا يمكن التنبؤ بها أو توقعها... عندها نتكلم عن الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج، وإلغاء الملكية الخاصة، والابقاء على حقوق الاستخدام والانتفاع، حينها نتكلم عن الإنتاج من أجل الاستعمال الذي يحدد حجمه ونوعه مسبقا المنتجين والمستهلكين معا، وعندها نتكلم عن إنتاج من أجل اشباع الحاجات في حدود الموارد المتاحة وليس للتبادل والربح، وعندها نتحدث عن إلغاء النقود وعن التوزيع وفق الحاجة مجانا، وليس وفق العمل.

بالطبع لا يمكن أن تنجح التعاونيات وتزدهر إلا في ظل دولة توفر درجة عالية من الحريات الإنسانية السياسية والمدنية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وعدم التدخل في النشاط الاقتصادى الاجتماعى الثقافى بحيث تضمن حرية واستقلالية التعاونيات، دولة تدعم التعاونيات، وتحافظ على مبادئها وأهدافها وقيمها،أى دولة الحد الأدنى أو الدولة الحارسة التى تقتصر مهامها على الأمن الخارجى والداخلى والعدل والتمثيل الخارجى والمالية العامة، دولة تميل إلى اللامركزية الإدارية أكثر من المركزية. ومن ثم يصبح هذا هدف مرحلى للنضال من أجله، لاتاحة الفرصة للتعاونيات كى تزدهر وتنجح.

الحقيقة إن البشرية في وضع منحط فكثيرا من الناس أقصى طموحهم ديكتاتور عادل ونزيهٍ وقويٍ ...وكثيرون سقف أحلامهم لا يتجاوز ملء المعدة الفارغة... ومازال الناس يعولون كثيرا على الديمقراطية التمثيلية، وعلى الإصلاح عبر الدولة

البرجوازيـة، كلامنـا مهـما كان رائـع ومنطقـي ليـس مؤثـرا جماهيريـا، ويصعـب حتـى أن يصـل إليهـم، لكـن أن تطـرح حـل متـاح لمشـاكل النـاس يقربهـم عمليـا مـن تصـورك النهـائي عـن العـالم، ممكـن أن يرفـع مسـتوى أحلامهـم ووعيهـم، ويغـير أفكارهـم بالأعـمال والمثـال والنمـوذج وليـس بجميـل الـكلام.

سامح سعيد عبود

10 ابريل 2017

نبذة عن الكتاب

يفسر بيتر كروبوتكين فشل كل الثورات في العصر الحديث، بأنها ركزت على تحقيق كل ما بعد الطعام والسكن والملابس من احتياجات إنسانية ملحة، وأهملت توفيرها للناس، فانصرف الجوعى والعرايا والمشردين عن الثورة مرحبين بالثورة المضادة، تاركين الثرثرة للسياسيين والحالمين الشبعى... ومن هنا رأى إن توفير الطعام والملابس والمساكن وغيرها من الاحتياجات الضرورية مجانا للجميع كخطوة افتتاحية ضرورية لنجاح الثورة يأتى بعدها الحديث عن أى شيء آخر، ولذلك سمى كتابه الذي يشرح فيه سيناريو الثورة الناجحة بالاستيلاء على الخبز، يبدأ باسقاط حقوق الملكية الخاصة، ومصادرة وسائل الإنتاج والاستهلاك لصالح الشعب بواسطة الشعب، والبدء في توزيع الاحتياجات مجانا على كل السكان عبر لجان شعبية تطوعية عفوية في كل شارع وحي ومدينة...هذا هو شرط نجاح الثورة الاجتماعية الذي يشرحه الكتاب.

نبذة عن الكاتب

بيتر ألكسيفيتش كروبوتكين؛ 9 ديسمبر 1842 - 8 فبراير 1921 الثوري والعالم والفيلسوف، والمنظر الأبرز والأكثر منهجية وغزارة إنتاجية في التيار الأناركي الشيوعي. انحاز كروبوتكين لفكرة المجتمع الشيوعي الأناركي اللامركزي الخالي من الحكومة المركزية، والذي يقوم على الاتحادات الطوعية للمجتمعات المحلية ذات الحكم الذاتي، والتعاونيات التي يديرها أعضائها توافقيا. رافضا نموذج اشتراكية الدولة التي أسسها البلاشفة بعد الثورة الروسية، وكتب العديد من الكتب والكتيبات والمقالات، أبرزها "الاستيلاء على الخبز"وعنوانه بالروسية "الخبز والحرية"، و"الحقول، والمصانع وورش العمل"، و"أصل الدولة"، و"تاريخ الثورة الفرنسية"، و"مذكرات ثورى"، وطرح نظريته العلمية الرئيسية في البيولوجيا، في كتاب "المساعدة المتبادلة: عامل للتطور". كما ساهم بمقالة حول الأناركية إلى الموسوعة البريطانية الطبعة الحادية عشرة، وترك العمل غير المكتمل عن الفلسفة الأخلاقية الأناركية، والعديد من الكتب والكتيبات والمقالات والأوراق والأبحاث العلمية.

نبذة عن المترجم

سامح سعيد عبود ولد عام 1956 في مدينة العمال بالجيزة تخرج من معهد البصريات بالقاهرة عام 1980، وحاصل عى ليسانس حقوق جامعة القاهرة عام 1988، يعمل حاليًا باحث ومترجم وكاتب بمركز المحروسة للخدمات الصحفية والأبحاث والنشر من عام 1996، بعد فترة من العمل كمحامى حر من عام 1988 إلى 1996له تاريخ فى النضال السياسى فى عدد من المنظمات اليسارية المصريه من 1982 إلى 1993 قبل تحوله إلى الفكر الأناركى منتصف التسعينات، بعد جهد نظرى فى نقد الماركسية اللينينية، والمشاركة فى اللجان الشعبية لدعم الانتفاضة الفلسطينية و لجنة الدفاع عن حرية الفكر والاعتقاد و لجنة التنسيق العمالية، واللجنة الشعبية للدفاع عن ثورة 25 يناير بمدينة أكتوبر له عدة مؤلفات فى تاريخ وفلسفة العلوم الطبيعية والفكر السياسى والاجتماعى والاقتصادى ومنها العلم والأسطورة منهجان للتغيير الاجتماعي - تقدم علمي تأخر فكري - الأقليات العرقية والدينية في إيران - التعاونيات أداة للتقدم والتحرر - أصل الأناركية بدايات وتحولات. وبعض الأعمال المترجمة.

الخبز والحرية

يفسر كروبوتكين فشل كل الثورات في العصر الحديث، بأنها ركزت على تحقيق كل ما هو بعد الطعام والمسكن والملبس من احتياجات إنسانية ملحة، وأهملت توفيرها للناس، فانصرف العامة عن الثورة مرحبين بالثورة المضادة، تاركين الثرثرة للسياسيين والحالمين الشبعى.. ومن هنا رأى إن توفير الطعام والملابس والمساكن وغيرها من الاحتياجات الضرورية مجانا للجميع كخطوة افتتاحية ضرورية لنجاح الثورة، يأتي بعدها الحديث عن أى شيء آخر، ولذلك سمى كتابه الذي يشرح فيه سيناريو الثورة الناجحة بالاستيلاء على الخبز، يبدأ باسقاط حقوق الملكية الخاصة، ومصادرة وسائل الإنتاج والاستهلاك لصالح الشعب بواسطة الشعب، والبدء في توزيع الاحتياجات مجانا على كل السكان عبر لجان شعبية تطوعية عفوية في كل شارع وحي ومدينة.. هذا هو شرط نجاح الثورة الاجتماعية الذي يرشحه الكتاب.

"لا شأن للقانون باحترام الإنسان، لا شأن له بالحضارة.. الغرض الوحيد منه حماية الاستغلال"

بيتر كروبتكين

الغلاف: عبد الرحمن الصواف

ISBN 9789773136864

مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات